

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهدي هذه النسخة إلى
مكتبة الجامعة الإسلامية بقرية
مع عظيم القديس د. فهد

عبد المحسن

١٤٢٠ / ١٢ / ١٤

المكتبة
قسم الرسائل العامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهدي هذه النسخة إلى
مكتبة الجامعة الإسلامية بقرية
مع عظيم القديس وفتوى

عبد المحسن

١٤٠٢ / ١٢ / ١٤

المكتبة
قسم الرسائل العلمية

جامعة الفاتح

كلية التربية

قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية

الزمخشري

آثاره ومنهجه النحوي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

من الطالب

عبد الحميد قاسم الفجار

اشراف

الأستاذ الدكتور / عبد الجواد محمد الطيب

١٩٨٢م

١٧

١٠٩٥، ٤١٥ / ن.ع

٢٧/٧/٥٢

١ - لغة عربية - نحو - تاريخ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،

محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فقد أفاقت الأمة الإسلامية من سباتها العميق ، فرأت نفسها تتعثر

في خطواتها ، وما تزال آثار تلك السنة تثقل لمجانها ، وغسق الليل

يحف بها ، فأخذت تفكر طويلا ، فإذا بها تلحج آثار ماضيها البعيد

باشراقه المستنير ، وكأنه رؤيا ضام .

لقد وجدت نفسها في مؤخرة الركب تتقدمها حضارات متقدمة

مزهرة ، فجعلت تتحفز للحاق بذلك الركب ، وعلمت أن بداية الطريق

هو البعث الجديد ، فكان لزاما عليها أن تدرس ذلك العايش دراسة

واعية لكل ما يمت الى ذلك العهد بصلة : من علم ، وثقافة وأدب ،

ودراسة رجاله وابطاله ، من مفكرين ، وساسة ، وحكام ، وقادة نعلماء برزوا

في العلوم الدينية واللسانية .

ولا يخفى أن ذلك البناء الضخم أقامه فكر إسلامي عظيم جمع في

حناياه العديد من العظماء ، والمفكرين ، منهم العريس الخالص ، ومنهم

المستعرب الذي خدم هذا الفكر الإسلامي العريس في جدارة وإخلاص لا

يقل عن العرب الخالص ، بل لقد أصبح هو الآخر عربيا في لسانه ودينه

يدافع عن حياض هذه اللغة ، وهذا الدين ما وسعه ذلك .

هذا الصنف من العلماء نعدّه عربيا امتزج باللغة ، لسانا وتأليفا ،

وأخلص نفسه لهذا الدين شريعة وعقيدة ، فلهم الفضل في ذلك الجهاد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،
محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :
فقد أفاقت الأمة الإسلامية من سباتها العميق ، فرأت نفسها تتعثر
في خطواتها ، وما تزال آثار تلك السنة تثقل لمجفانها ، وغسقى الليث
يحف بها ، فأخذت تفكر طويلا ، فإذا بها تلح آثار ماضيها البعيد
باشراقه المستنير ، وكأنه رؤيا منام .

لقد وجدت نفسها في مؤخرة الركب تتقدمها حضارات متقدمة :
مزهرة ، فجعلت تتحفز للحاق بذلك الركب ، وعلمت أن بداية الطريق
هو البعث الجديد ، فكان لزاما عليها أن تدرس ذلك الماضي دراسة
واصية لكل ما يمت الى ذلك العهد بصلة : من علم ، وثقافة وأدب ،
ودراسة رجاله وابطاله ، من ملكرين ، وساسة ، وحكام ، وقادة ، وعلماء برزوا
في العلوم الدينية واللسانية .

ولا يخفى أن ذلك البناء الضخم أقامه فكر إسلامي عظيم جمع في
حناياه العديد من العظماء ، والمفكرين ، منهم العربي الخالص ، ومنهم
المستعرب الذي خدم هذا الفكر الإسلامي العربي في جدارة وإخلاص لا
يقبل عن العرب الخلل ، بل لقد أصبح هو الآخر عربيا في لسانه ودينه
يدافع عن حياض هذه اللغة ، وهذا الدين ما وسعه ذلك .

هذا الصنف من العلماء نعدّه عربيا امتزج باللغة ، لسانا وتأليفا ،
وأخلص نفسه لهذا الدين شريعة وعقيدة ، فلهم الفضل في ذلك الجهاد

(ب)

العظيم الذي وقفوا أنفسهم عليه ، وكرّسوا حياتهم له ، فلهم علينا حسن الذكر ، وواجب الشهادة ، وتقدير الخلف البار بأسلافه العظام .
وليس المقام هنا مقام تعداد مآثر هؤلاء العلماء حتى أبين ما عليه كل ، وما امتاز به كل واحد منهم في ميدانه ، فهم لا يحصون عدا ، ومآثرهم لا تقح تحت حصر ، فحسبى أن أتناول أحد هؤلاء العلماء وهو العلامة محمود بن عمر الزمخشري ، على ضوء هذا الفكر الذي بينت .
وقد تناولته تناولا يكشف عن بيئته ، وعصره ، وحياته ، وتطوره ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وتراثه العلمي ، ومضجيه فيه .

ولما كان ذلك العالم الجليل متشعب الثقافة اللسانية من نحو ولغة ، وتفسير ، وبلغية ، وأدب . كان البحث ملزما بالاعتماد بهذا الثقافة المتعددة الجوانب قبل الشروع في الجانب النحوي ، الذي هو موضوع البحث ، وقد كان الزمخشري في هذا الجانب متمكنا ، بز علماء عصره بتفوق وابداع .

وكان واجبا على أن أبدأ البحث بالقراءة الشاملة ، فرجعت الى العديد من المراجع المتحددة على تفاوتها ، وتعدد مناحيها ، واتجاهاتها ، وعصرها المختلفة بين قديم وحديث ، ورجعت الى كل ما وصل الى من المصادر المختلفة التي تتمثل في آثار الزمخشري نفسه ، وما يتمثل بها من شروح وحواشي .

وقد تلى ذلك جمع المادة وتنسيقها ، وعلى هذا الأساس ارتأيت

تقسيم البحث على النحو التالي :

مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة فصول ، وخاتمة .

أما المقدمة فهي هذه ، والتصعيد فهو في اقليم خوارزم ، من حيث الهيئة الجغرافية ، والاجتماعية ، والدينية ، والسياسية ، وحال اللغة العربية حتى عصر الزمخشري .

• وكان الفصل الأول : في نشأته وحياته .

والثاني : في اعتزاله الذي عقدت له فصلا خاصا لأهميته القصوى

في حياته ، وتراثه ، وعلمه .

والثالث : كان حول نشأته العلمية ، وشيوخه ، وتلاميذه ، ومؤلفاته .

والرابع : كان خاصا بالنحو ، مما لا في مذهبه النحوي وموقفه من

الدرستين البصرية والكوفية ، وموقفه من أئمة النحو السابقين عليه ، ثم

خرجت على النحاة المحدثين له وخصصت منهم أبا حيان ، وأبن هشام

لتأثر كل منهما بشخصيته العلمية الفذة .

أما الفصل الخامس : فقد جعلته في منهجه النحوي ، والأسلوب

التي قام عليها علم النحو عنده ، وشواهد النحوية .

والخاصة لخصت فيها أهم النقاط البارزة في البحث ، وما وصلت

إليه من جديد فيه ، وما صححته من آراء ومفاهيم وأحكام كانت تتجافى

عن الصواب .

وأنا على يقين من أن النتائج التي يعمل اليها باحث في مثل

هذا الموضوع ليست هي الكلمة الأخيرة ، ولكن هذا تعامري ما انتهيت

إليه ثمرة لما بذاته من جهد متواضع فيه .

• والله سبحانه الهادي الى سواء السبيل .

التمهيد

اقليم خوارزم : أوله بين الغمة والفتحة والألف مسترقة مختصة

ليست بالألف الصحيحة • (١)

اقليم خفت عليه راية الاسلام في وقت مبكر من فتوحاتنا الشاسعة ،
وطالما افتخر به تاريخنا العتيق ، فهو شاهد نستدل به على ما كان

عليه المسلمون من القوة والسلطان •

ولا يخرب عن يالنا أنه ثغر من ثغور الاسلام الحاذى لبلاد الترك ،

قد اكتنفه الشرك من كل جانب ، لذلك كان أهله في رباط دائم •

ويفخر الزمخشري بانتمائه الى هذا الاقليم ، ويؤكد أن له فضائل

على غيره من البلاد • ويوليه قدسية خاصة في أحاديث يوفعها الى

حضرة النبي صلى الله عليه وسلم • (٢)

وعن ابن ميمر أنه سأل رجلا من أهل خوارزم عن بلاده ، فذكر له

أن الرجل يفسل وجهه فيصير الماء على وجهه ثلجا •

نقال بشر تلك الوجوه بالجنة • (٣)

وينقل الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار ما كتب عن خوارزم فيقول :

"وهي ثغر من ثغور الاسلام ، قد اكتنفتها أهل الشرك ، وأحاطت بهم

قبائل الترك ، فغزو أهلها معهم دائم ، والقتال فيما بينهم قائم ،

ولأخلموا في ذلك نياتهم ، وأحوصوا عن طوياتهم ، وقد تكفل الله بنصرهم

على عامة الأوقات ، ومنحهم الغلبة في كافة الوقعات ، ولمسهم

(١) ياقوت : معجم البلدان ٣ : ١٤٧

(٢) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥١٩

الزمخشري : ربيع الأبرار ١ : ٣٤٩

(٣) السامرائي : الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠

السداد والديانة وعندهم الوفاء والأمانة ، وضمايرهم نقية طاهرة ،
 ورغباتهم فى أعنان الخير ظاهرة ودينهم محبة الاخيار ، ومقت الاشرار
 والاحسان الى الغرباء ، والتعطف على الضعفاء ، وخصائص أخرى لاتعد
 ولا تحصى " . (١)

ويحلق الزمخشري على هذا فى قوله : " ان رأس الفضائل فيها هو
 ما رزقته من المذهب السديد ، ذهب اهل العدل والتوحيد ، الباطشين
 فيه بقوة السواعد ، الرامين عنه بالنبل الصوارد ، الشاقين فيه له قائق
 الشعر المطيرين عن نحر اعدائه الشجر ، وذلك فى زمان ، وخاصة فى
 زماننا هذا ، فقد أظهر الله فيها ما شاء من السرح وأطال فيها
 السنة الحجج " . (٢)

ويعرف أهل خوارزم بالجد والنشاط كملأئهم أهل علم وتعلم فقد
 أنجب ذلك الاقليم العديد من العلماء الافاضل ، من أمثال : الزمخشري
 والجرجاني ، والخوارزمي ، وغيرهم .

ولما كانت شخصية الزمخشري الذى ينتمى الى هذا الاقليم هي

محور هذا البحث كان لزاما على الدارس لمثل هذا الموضوع أن
 يقلب صفحات المراجع التى يراها متصلة بالموضوع ليقتبس منها ما يمكن
 أن يهديه الى تمثل شخصية ذلك العالم ، الذى حاز أعجاب العلماء
 فى علمه وفضله .

من أجل هذا ينبغي لى أن أبحث جوانب حياته فى ضوء بيئته ،
 وبذلك أستطيع الخروج بصورة صادقة عن بناء شخصيته .

(١) ربيع الابرار ١ : ٣٥١

(٢) المرجع السابق ١ : ٣٥٢

البيئة الجغرافية والاقتصادية :

منذ أن تم فتح إقليم خوارزم واسمه يقترن بخراسان ، فكثيرا ما يقال : خراسان وما وراء النهر .

وخراسان تعنى في الفارسية القديمة "البلاد الشرقية " ولهذا كانت الكلمة تطلق على جميع البلاد الشرقية وما وراء نهر جيحون والذي كان يعتبر فاصلا طبيعيا بين من يتكلم الفارسية في الغرب ومن يتكلم التركمانية في الشرق .

فيصف الاصطحري، إقليم خوارزم بأنه منقطع عن خراسان وعماء وراء النهر وتحيط به المفاوز من كل جانب . (١)

وبقرب خوارزم على ست مراحل منها بحيرة تستمد من جيحون وبها جبل على ثمانية فراسخ من المدينة . (٢)

والشساء هناك شديد جدا حتى أن النهر وعرضه ميل يجمد ، والقوافل والعجل الموقرة تمر عليه ذاهبة وآتية ، وكل انواع السوائل تجمد من شدة البرد كما يصفها ياقوت . (٣)

ويصف الجرجانية بأنها عظيمة مشهورة على شاطئ جيحون ومن أمهات المدن وهى جامعة لأشتات الخيرات ، وأهل خوارزم يسمونها بلسانهم (كركانج) فعريت الى الجرجانية .

(١) الاصطحري، المسالك الممالك ص ١٦٨

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٢٦

(٣) معجم البلدان ٢ : ١١٩

ومما ينقل في وصفها : " سرت من دامغان مياسرا الى جرجان في
 صعود وهبوط ، وأودية هائله ، وجبال عالية . . . وهى مدينة
 حسنة على واد عظيم فى شخور بلدان السهل ، والجبل ، والبر والبحر
 بها الزيتون والنخل والجوز والرمان ، وقصب السكر ، وتخرج " (١) .
 فهذه اوصاف تنبىء أن اقليم خوارزم وقر الخيرات ، جنى الثمرات
 فيه حياة انطوى والسرور ، قشمه شارق ، وموجه واسعة ، يكسوها
 الريح الزاهر والجداول تنساب بمائها الحذب الفرات فى أحضان مرابه
 البعيدة ارجاء ، كما تتخللها اخاذيد الملتوية ، والجبال الراسخة
 بقممها الحالية ، وسفوحها التى يظللها ابيك ، فتكتمل الحياة الهادئة
 للانسان والحيوان والطير . فالمتعة متوفرة ، والمناظر جميلة ، والطبيعة
 جذابة ، لكن تناقض الجو وتقلبه كما يبدو من وصف بعض الشعراء لها ،
 قد يكون له تأثيره الذى لا يبرم كل انسان .

ينقل ياقوت عن ابن القاسم كفى الكفاة ذمه جرجان لهذا السبب
 فى قوله : (٢)

نحن من هوائك يا جر جان فى خطه وكرب شديد
 حرها ينضج الجلود فان هبت شماما تكدرت بركود

ويذكر أبو منصور النيسابورى فى شعره اختلاف الهواء بها فى

يوم واحد . (٣)

(١) معجم البلدان ١ : ١٢٠

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع نفسه

فالاقليم على الرغم من شدة حره وبرده ، وتقلب الجو فيه بين ساعة وأخرى فانه كثير الخيرات ، وأسباب الرزق فيه واسعة ، فقد كان أهله في ذلك الحين أصحاب مهناعات كالحدادة والتجارة وغيرهما . (١)

وكانت تصدر من ثياب القطن والصوف أمتعة كثيرة تنتقل الى الافاق وعامة يسارهم من التجارة ، واقتناء المواشى ومن الاوبار والخز ، وغير ذلك من أصناف الوبر . (٢)

وعى الرغم من مناخ الاقليم المتقلب فأهله أذكيا ، والبيئة تنمي ملكة الادب والشعر ، وتفتح القريحة وتريح النفس ومن ثم أنجب اقليمها كثيرا من أجلة العلماء الافاضل في مختلف العلوم الاسلامية والحربية ، والرياضية والفلسفية وغيرها من أمثال :

الإمام البخارى (ت ٢٥٦هـ) والإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) وأبو منصور الماتريدى (ت ٣٢٣هـ) وابن حبان التميمى السمرقندى (ت ٣٥٤هـ) ومحمد ابن علي القفال الشاشى (ت ٣٦٥هـ) وأبو الليث نصر بن محمد السمرقندى (ت ٣٧٣هـ) وابو بكر بن فورك الاصفهانى (ت ٤٠٦هـ) وكل هؤلاء محدث أو فقيه أو متكلم . (٣)

كما تخرج من علماء تلك الساحة على بن عبدالعزيز الجرجاني صاحب الوساطة (ت ٣٦٦هـ) وأبو منصور الازهرى صاحب التهذيب (ت ٣٧٠هـ)

(١) آثار البلاد واخبار العباد ص ٥٢٠

(٢) المسالك والممالك ص ١٧٠

(٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام ١ : ٢٦٢ - الزمخشري ص ٣٠

وأبو عمرو أحمد بن محمد الزوزنى وله شرح القصائد السبع (ت ٣٧٤هـ)
 وأبو بكر بن مهران النيسابورى له كتاب شامل وكتاب الغاية (ت ٣٨١هـ)
 واسماعيل بن حماد الجومرى صاحب السداح (ت ٣٩٨هـ) وأبو منصور الشعالى
 صاحب اليتيمة (ت ٤٢٩هـ) وأبو الحسن الباخري مؤلف دمية القصر فى
 شعراء العصر (ت ٤٦٧هـ) وعبدالقاهر الجرجانى صاحب دلائل الاعجاز
 (ت ٤٧١هـ) . (١)

ومن أشهر العلماء المعاصرين للزمخشري التبريزى (ت ٥٠٢هـ)
 والميدانى (ت ٥١٨هـ) والجواليقى (ت ٥٢٦هـ) وابن الشجرى (ت ٥٤٢هـ)
 ورشيد الدين الطوطا (ت ٥٧٣هـ) والانبارى (ت ٥٧٧هـ) وتاج الدين
 ابن ابى المعالى الخرازى (ت ٥٨١هـ) . (٢)

والكثير من غير هؤلاء سيأتى ذكرهم فى ثنايا البحث كانوا يجمعون
 اللسانين العربى والفارسى ولهذا كان بعضهم يوصف بذى اللسانين .
 (٣)

الخصائص الاجتماعية والدينية فى خوارزم :

يذكر الاصطخرى من خواص أهل الاقليم ، التعاون فيما بينهم وأنهم
 أهل مروءة ظاهرة ، وأكثر أهل خراسان انتشارا وسفرا ولغتهم تخالف لغة
 خراسان وخلقهم لا يخفى بين أهلها ، ولهم بأس على القتال ومنحة . (٤)

(١) ظهر الاسلام ١ : ٢٦٢ - معجم الادباء ١ : ١٠١

(٢) المرجع السابق ٢ : ١٦١

(٣) الشيرازى : الزمخشري لغويا ومفسرا ص ٦٣

(٤) المسالك والممالك ص ١٧٠

ويحدثنا ياقوت عن بساطة حالهم ، وقناعتهم في معيشتهم

قناة يكاد يستوى فيها الأغنياء والفقراء * (١)

أما شعورهم الديني في تلك المنطقة ، فكان حيا قويا ، فهم
شغور من شغور المسلمين يحيط بهم المشركون من كل جانب ، والقتال
بينهم ، ينقطع ، والعداوة بينهم مستمرة ، وقد أخلصوا نياتهم للجهاد
والدفاع عن دين الله ، لهذا فقد تكفل الله بنصرهم على أعدائهم ،
ومنحهم الغلبة عليهم * (٢)

ويروى ياقوت بأن لهم عادة دينية نادرة الوجود في مجتمع غير
مجتمعتهم وهي أن المؤذن يقوم في وقت سحره من الليل يقارب نصفه ،
في يزال يؤذن حتى الفجر (قامت قامت) (٣)

ويذكر ابن بطوطه أخرى فيقول : " ان لهم عادة جميلة في
الصره لم يرها لغيرهم ، وهي أن المؤذن يمسجدها يطوف كل واحد
منهم على دور جيران مسجده معلما اياهم بحضور الصرّة ، فمن لم يحضر
الصرّة مع الجماعة ضربه الإمام بحضور من الجماعة ، وفي كل مسجد درة
معلقة برسم ذلك ، ويخرم خمسة دنائير تنفق في مصالح المسجد ، ويطعام
الفقراء والمساكين ، ويذكرون أن هذه العادة مستمرة من قديم الزمن * (٤)
ولهم عشيات يجلسون فيها في جمع شهر رمضان للمناظرة بين يدي
السلطان ، فيبدأ هو فيسأل مسألة يتكلمون فيها * (٥)

(١) معجم البلدان ٢: ٣٩٦

(٢) ربيع البرار ١: ٣٥١

(٣) معجم البلدان ٢: ٤٨٤

(٤) رحلة ابن بطوطه ٣: ٤

(٥) أحسن التقاسيم ص ٢٨٤

وخوارزم معقل للمعتزلة من فترة طويلة ، حتى ليندر أن يوجد فيها

خوارزمي غير معتزلي ولعل الاعتزال صدر اليها من البصرة وبغداد إذ أنه ظهر هناك حتى كاد يعم المشرق كله . (١)

يقول المقدسي : انه وجد أكثر الشيعة في بلاد العجم معتزلة ،

وأكثر فقهاءهم على الاعتزال . (٢) وان العوام في الري يتابعون الرأي

الاعتزالي في خلق القرآن .

ويمتاز أهل جرجانية بعدم التعصب في مناقشاتهم ، وينكرون على من تعصب في ذلك .

والغالب عليهم ممارسة علم الكلام حتى في الاسواق . يناظرون فيه من غير

تعصب وإذا رأوا من أحد تعصبا ، أنكروا عليه وقالوا : ليس لك الا الغلبة بالحجة ، وإياك وفعل الجاهل . (٣)

وهناك من هو على غير مذعب الاعتزال ، ويظهر رأيه واضحا دون

ضمير . يذكر ياقوت أنه سأل القاسم بن الحسين الخوارزمي المولود سنة

٥٥٠ هـ ما مذهبك ؟

فقال : حنفي ولكن لست خوارزميا ، ويكررها ثم يقول : انما اشتغلت

ببخارى ، فأرى رأي أهلها فهو بهذا ينفي عن نفسه ان يكون معتزليا . (٤)

(١) أحسن التقاسيم ص ٢٨٤

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٦

(٣) آثار البلاد واخبار العباد ص ٥٢٠

(٤) معجم البلدان ٦ : ٢٢٩

الناحية السياسية :

تم للعرب فتح خوارزم سنة (٩١٣هـ) بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي (١٩٦٤هـ) . (١) وقد تعاقب على الاقليم منذ فتحه كثير من الولاة ، فكان يحكم حكما مستقرا حتى عهد الظاهريين ، ثم اضطرب فيه الحكم ، وبدأ يدخل مرحلة جديدة منذ حكمه بنو الصفار (٢٥٩-٢٦١هـ) .

ثم حكمه السامانيون حتى سنة ٣٨٩هـ وكانت عاصمتهم بخارى ، ولغتهم الفارسية ، واجتذبت عاصمتهم كثيرا من العلماء والشعراء ، وكانوا حماة لأهل السنة ، ثم قضى محمود بن سبكتكين على دولتهم سنة ٣٨٩هـ .

وكانت هذه الاحداث تتلاحق فحكما البويهيون أربعين سنة حتى ٤٢٩هـ ، وكانت هذه الفترة منذ قيام الظاهريين كلها قلاقل واضطرابات أدت الى انفصال بعض الولايات عن الخلافة العباسية ، فاصبحت بذلك امارات أو دولا مستقلة ليس للخلافة فيها سوى الدعاء على المنابر وقد زادت تلك الاضطرابات من أعماق الخلافة العباسية ، وما أن تولى البويهيون حتى أصبحت تلك الخلافة تحت رحمتهم وتعاني من سيارتهم .

أضف الى ذلك مؤامرات الدولة الفاطمية التي أحدثت في البلاد اضطرابات مذهبية عنيفة بين السنة والشيعة .

لهذا لم يجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٦٧-٤٦٨هـ) وسيلة سوى الاستنجاد بزعم الاترك السلاجقة - طغرلبيك - للقضاء على هذا الموضع الشاذ فأمر أن يخطب باسمه في مساجد بغداد .

استولى السلاجقة على مرو، ونيسابور، نيلخ وطبرستان وخوارزم ثم
الجبال وههذان ودينور والرى وأصفهان حتى سنة ٤٢٩ هـ وقد حرصوا
خلال زحفهم على اظهار تمسكهم بمذهب السنة ومحاربتهم للمذنب الشيعي^(١)
فتخلصت الدولة العباسية من الاضطرابات الداخلية الخطيرة ولم
يعمر طغرلبيك طويلا اذ توفي في رمضان سنة ٤٥٥ هـ فحمل لواء الجهاد
بعده ضد الروم ابنه - البارسلان - فرأى أن يستولى على حلب وشمال
الشام من يد الشيعة كي يحمي ظهره من الخطر الناطمي .^(٢)
فلما توفي البارسلان سنة ٤٦٥ هـ وتولى بعده ابنه - جلال الدين
ابو الفتح ملكشاه - سار على سياسة أبيه محاربا للنفوذ الفاطمي في الشام
حتى استطاع قائده (اتسز) أن يستولى على دمشق وينتزعها من يد
الشيعة بعد عدة محاولات فأخذت الامور بعد فتح دمشق تميل الى
الاستقرار ، وقد تعاون على هذا الاستقرار ثلاثة شخصيات فريدة في تلك
الحقبة وهم : الخليفة المقتدى بأمر الله والسلطان جلال الدين ملكشاه ،
والوزير نظام الملك .
وكان هذا الوزير من رجال العلم المشهورين ، ومن أكبر المشجعين
على نشر الثقافة العربية والاسلامية فكان أول وزير اتصل به الزمخشري وهو
في مقتبل شبابه اذ كان ذا مظامح فسيحة وآمال عريضة ، فوسح اتصالاته
بكبار رجال الدولة من ذلك الحين .

(١) العبادي ؛ من التاريخ العباسي والانديلسي عن ١٨١

(٢) ابن الاثير : الكامل حوادث ٤٦٢ هـ

منذ أن توفي ملكشاه سنة ٨٥ هـ وتولى ابنه -ميركياروق - بدأت المنازعات والحروب الداخلية مع اخوته واعمامه مما أدى الى تفكك الدولة فيما بينهم ومجزؤها عن سبب الغارات ، كما هزمت جيوشها أخيرا أمام شاهات خوارزم الذين بدأوا فى بناء دولتهم منذ ٤٧٠ هـ على يد أنوشتكين ولم يكن الزمخشري يبلغ من السن اذ ذلك سوى ثلاث سنين حين فتح عيبيه على دولة مستقلة تستطيع منازعة الدول الاخرى .

امتد حكم انوشتكين حتى سنة ٤٩٠ هـ ، وكان الزمخشري فى بداية

طموحه العلمى يحمل على نيل مكانته .

مشهورا

قلما خلف (تطب الدين محمد) أباه فى الحكم وكان بالادب

وانصرفه الى العلم ، يبدو ان الزمخشري قد نال عنده حظوة فهو يمدح

فيه رعاية العلم والأدب . (١)

ولما ولى (أشز) بن قلب الدين محمد اكتسب محبة السلطان وكان

راعيا للأدب وأهله حتى أن الزمخشري أهداه كتابه (مقدمة الأدب) .

وكان أشز أول من طمخ فى الاستقلال من أفراد هذا البيت ولكن

(سنجر) آخر سلاطين السلاجقة عزله اثر ثورته عليه سنة ٥٢٢ هـ ثم عاد

الى ولايته بعد قليل .

وفى سنة ٥٢٦ هـ سار أشز الى مدينة مرو فهزمه سنجر وتلى ابنه

واستولى على خوارزم وأقطعها ابن أخيه ، ثم استردها أشز وفكر فى

الثأر لمقتل ابنه . (٢)

(١) الجوينى : منهج الزمخشري ص ٣٨

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٤ : ٩٥

توالى الفتوحات لاتسز حتى تم له فتح نيسابور سنة ٥٣٧هـ ، وفي السنة التالية ٥٣٨هـ (وهى السنة التى توفى فيها الزمخشري) حاول سنجر محاصرة خوارزم ، ولكنه عجز عن ذلك فقبل الصلح مع اتسز سنة ٥٥٠هـ (١) فالفترة التى عاشها الزمخشري كانت فترة قلاقل مستمرة ، وحروب تكثف عن ساقها بين حين وآخر . فمرة بين جند السلاطين وخلفاء بغداد وأخرى بين الدويلات التى انفصلت عن الخلافة العباسية وكانت هذه الحروب على مستويات شتى ، فتكون بين الامراء كما تكون بين الحكام ذوى الاخوة والاعمام .

البيئة الثقافية

ينبغى لمن يتحدث فى هذا الجانب أن يلقى نظرة على الثقافة قبل الزمخشري ، فهى المعين الذى ورده ~~ومرسله~~ منه سجله .
 وللحديث يعود بنا الى الفتوحات الاسلامية ، واحتلال الشعب العربى بغيره من شعوب الاسلام ، إذ التقت أنواع الثقافات التى حملتها تلك الشعوب على اختلاف جنسياتها .
 فالعرب لهم ديوانهم الشعرى والنثرى متوجا بالقرآن الكريم ثم الحديث الشريف ، والعلوم الشرعية واللسانية ، والبلاد المفتوحة تحمل الوان حضاراتها ، وآدابها المتنوعة ، فتكونت تلك الثقافة الجديدة فى الدولة الاسلامية .

تطور الزمن على هذا الانفتاح ، وأخذ النشاط العلمى ينمو نموا مطردا فأصبح هناك العلماء والمؤلفون ، والمترجمون ، والمدرسون كل فى ميدانه وانتشرت المكتبات فعمت الاقطار الاسلامية .

ولما انفصل من جسم الخلافة العباسية مجموعة من الدول ، استقلت كل واحدة منها عن الاخرى . أخذ أمراؤها يقلدون قصر الخلافة فى كل شئ ، والعلم أهم ما يلقى على الأراء المهابة والجلال ، ففتحوا قصورهم للعلماء والنحاة ، والأدباء والشعراء والمؤدبين ، والمنجمين . فكثرت المحاورات والمناظرات بين العلماء ، فزاد التنافس بينهم .

ولم يكن اقليم خوارزم فى عزلة عن الحياة العلمية والأدبية الجارية فى ذلك الحين ، سواء فى عهد السامانيين ، أو البويهيين ، أو السلاجقة . فقد نشط أهلهم فى تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكانت المدارس فى الإقليم كثيرة ، والمكتبات منتشرة ، والحكام حريصون على تشجيع الحركة العلمية ، وتقريب العلماء والشعراء إليهم ليضيفوا على ملكهم جمالا وهيبة ووتارا لينافسوا جيرانهم السلاجقة فى الجاه والصيت .

يقول النسوى عن خوارزم : ان سلاطينهم عمروا قصورهم بالشعراء ، والكتاب والعلماء من فارس وعرب . وقربوهم إليهم وأغدقوا عليهم ، كما فتحو المدارس ، وشجحوها الوعاظ ، على الرغم من أن بعضهم كانوا أتراكا قليلي المعرفة باللغة العربية . (١)

ويصفه المقدسي بأنه أجل الأقاليم ، وأكثرها أجلة وعلماء ، وأن الفقهاء فيه يبلغون درجة الملوك . (١)

وكان موقف الحكام يشجع أهل العلم على المحاضرة ، والمناظرة ، وكان الكثير منهم يناقش العلماء ويجادلهم .

بيروى أن عضد الدولة ، كان محبا للعلم — وعثرا للعلماء ، وقد

حدث أنه كان يتلقى النحو واللغة . به علي أستاذه أبي على الفارسي

فسأله يوما بماذا ينتصب الاسم المستثنى في نحو: قام التوم إلا زيدا ؟

فقال أبو على : ينتصب بتقدير أستثنى زيدا .

فقال عضد الدولة : لم تدرت أستثنى زيدا فنصبت ؟ هلا قدرت امتح

زيد فرفعت ؟

فقال أبو على : هذا الذي ذكرته جواب ميداني ، فإذا رجعت قلت لك

الجواب الصحيح . (٢)

ولما صنف أبو على لعضد الدولة كتاب (الإيضاح) .

قال له : ما زاد على ما أعرف شيئا وإنما يملح عذا للصبيان

فألف له كتاب التكملة . (٣)

وكان من وزراء هذه الدولة الساجد من عباد ، الذي لم تشغله

الوزارة وأعباء الحكم عن الإملاء والتأليف في اللغة . (٤) وكان في

تسميه بأسمهان والرى وجرجان عشرات من ذوي العلم والأدب . (٥)

(١) - أحسن التقاسيم ص ٨٤

(٢) - معجم الادباء ١٢ : ٦٦ - ابن العماد : الشذرات ٣ : ٨٨

(٣) - معجم الادباء ٧ : ٢٣٨

(٤) - التنطى : انبئه الرواة ١ : ٢٠١ - كشف الظنون ١ : ٣١٠

(٥) - يتيمة الدهر ٣ : ١٩٢

وكان له أصدقاء من العلماء ، وندما في العلم يلوذون به • (١)
وكان السامانيون لا يقل شأنهم عن البويهيين في تقدير العلماء

فكان نوح بن منصور الساماني يقدر العلماء ، ويؤثر الانتفاع بهم في شؤون
الدولة ، ولما سمع بشهرة صاحب بن عباد ، كتب يستدعيه إلى بخارى
ليفوض إليه وزارته ويدبر مملكته فاعتذر صاحب بسبب كتبه التي تحتاج

— فيما يقال — إلى أرحمائه جهل لنقلها • (٢)

واشتهر وزيران من السامانيين بشغفهما بالأدب والعلم وهما :

أبو الفغل بن عبيد الله العلقمي الذي كان وزير المنصور بن نوح الساماني
وهو الذي ترجم تاريخ الطبري إلى الفارسية ، وأبو عبدالله محمد بن أحمد

(٣)

الجيهاني الذي كان وزيراً للملك السابق •

أما الدولة التي قامت على أنقاض الدولة البويهية وهي دولة السلاجقة

فلم تكن أقل عناية بالعلم والعلماء من سابقتها •

فقد قيض الله لها منذ تأسيسها الوزير (نظام الملك) الطوسي وكان
من رجال العلم المشهورين ومن أكبر المشجعين على نشر الثقافة بعامة
والثقافة الإسلامية بخاصة فأمر ببناء المدارس في أكثر المدن وأجرى لهم

الجرايات العظيمة • (٤)

وكان يهب إلى العلماء النابغين فيولبهم المناصب الرنيحة ويؤمن لهم الرزق
لينصرفوا إلى العلم • (٥)

(١) الشلقاني : رواية العربية فيما وراء العراق ص ٥٣

(٢) المرجع السابق

(٣) الزمخشري ص ٢٦

(٤) الكامل في التاريخ ط ٢ : ١٦٢

(٥) الزمخشري ص ١١

كما جعل لحامة العلماء فرضاً على الدولة تُؤديه إليهم ليظلوا في مأمن من عوارض الزمن . (١)

شجع هذا كله الآباء على تأديب أبنائهم ليؤهلوهم لحضور مجلسه والخطوة بقرية فنشأ للناس أولاد نجباً ، يصلحون لما يهيئهم له الوزير إذ كان يرشح كل أحد لمنصب يصلح له ، وإن وجد في بلده من تبحر وتميز في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفاً ، وجعل فيها دار كتب (٢) .
وممن عنوا بالثقافة الإسلامية من السلاجقة محمود بن سبكتكين ، فقد جمع العلماء في سجستان وكلفهم وضع كتاب في التفسير يجمعون فيه أقوال المفسرين ، ويبينون فيه وجوه الشرائع زعلل النحو والتصرف ويضمون إليه ما رواه ثقة الحديث ، وتم هذا العمل الضخم في مائة مجلد . (٣)

وذكر النسوي أن السلطان محمد بن تكتش سیر الى خوارزم (برهان الدين محمد بن عبدالعزيز البخاري) رئيس الحنفية ببخارى ، وكان في جملة من يعيش في ظل برهان الدين ما يقارب ستة آلاف فقيه . (٤)
لاحظ العلماء الى جانب ما عليه الأمراء من الاهتمام بالعلم ، ميلهم الى اقتناء الكتب ، فأصبحوا يهدون إليهم كتبهم أو يولفون لهم كتباً خاصة يدالبونها .

(٥) .
فألف البيهقي كتاب (المختصر) في النحو لأولاد المأمون .
وآلف الفراء كتاب (المذكر والمؤنث) وكتاب (البهي) لعبدالله

(١) الزمخشري ص ١١

(٢) الكامل لابن الأثير ١٠ : ٢٦

(٣) رواية العربية فيما وراء العراق ص ٧٣

(٤) سيرة جلال الدين منكبرتي ص ٦٨

(٥) الفهرست ص ١٠٠

ابن طاهر • (١)

• وصف ابن دريد أكبر كتبه وهو (الجمهرة) لآل ميكال
وأهدى أبو علي الفارسي كتاب (الإيضاح) وكتاب (التكملة) لعضد
الدولة البويهى •

وألف أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب (الغريب المصنف) الذى ألفه في
ثلاثين سنة ، وجاء به الى عبدالله بن طاهر ، فأمر له بألف دينار ،
ولما ألف غريب الحديث) أهداه إليه فقال : " ان عقلا بعث صاحبه
على عمل هذا الكتاب لتحقيق ألا يخرج إلى طلب معاش • وأوصى له كل
شهر بعشرة آلاف درهم • (٢)

وصنف أحمد بن فارس كتاب فقه اللغة ، وأهداه إلى الصحاب بن عباد
و يعرف بالصاحبى إلى اليوم •
وتطابقا لهذه العادة أهدى الزمخشري كتاب (مقدمة الأدب) إلى
الأمير (أئسز) بن خوارزم شاه •

يتبين من هذا أن رؤساء الإقليم وحكامه لم يكونوا مشجعين للعلم
فحسب بل كانوا علماء على الوجه الذى أوضحنا جانباً منه ، فكان طبيعياً
أن تذخر عواصم هذا الإقليم بالعلماء وأن يكون للعلوم الإسلامية والحربية
فيه شأنها الملحوظ •

المراكز الثقافية :

كان من أثر انتشار الثقافة أن تعددت المراكز الثقافية في العمام الإسلامية

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٥

(٢) المرجع السابق

وحفلت هذه المراكز بالعلماء في مختلف الميادين وكانت اللغة العربية في لغة العلم والسياسة والثقافة حتى في إيران حيث كانت الكتابة بخير العربية في ذلك الحين تعد نقما كبيرا .^(١)

كان الناس يتسابقون إلى اقتناء الكتب في جميع فروع المعرفة فازدادت حركة التأليف والترجمة ، وازداد بذلك افتتاح دور الثقافة التي كان يردها كل طبقات العلماء ، والطلاب والمثقفين على مختلف درجاتهم فتلق نظرة على تلك المراكز في ذلك الحين .

المساجد :

المسجد من أعظم مراكز الثقافة العربية والإسلامية وكان هو المكان الذي يتخذة العلماء مثابة لهم والمقر الذي يتخذونه لعقد جلساتهم . منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى وقتنا الحاضر والمسجد ينهش بتدريس مختلف العلوم ، كما نعرفه عن الأزهر الشريف الذي تاور إلى جامعة الأزهر أخيرا والذي كان إلى جانب التدريس يقوم بشئون الطلاب ويتم لهم المنح الدراسية .

وكذلك مسجد القرويين في فاس ، والزيتونة في تونس ومساجد قرابة التي اجتذبت إليها الأوربيين لارتشاف العلم والتزود من الثقافة الإسلامية وكان من أوائل هذه المساجد مسجد عمرو بن العاص ، وجامع أحمد بن طولون بمصر .^(٢)

(١) الزمخشري لخوايا ومفسرا ص ٤٥

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ٤ : ٤٢١

لما نشطت حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي ، وتقدمت صناعة الورق ، تبع ذلك ظهور كثير من الوراقين ، واتخذ العلماء والأدباء أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم ، فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية . وبهنا من هذه المكتبات بالدرجة الأولى المكتبات المحيطة ببيئة الزمخشرى وتتلخص فيما يلي :

مكتبات مرو : بها خزانة لنظام الملك في مدرسته ، وخزانتان للسمعانيين وخزانة أخرى في المدرسة العميدية ، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء

المتأخرين بها . والخزائن الخاتونية .

- ملاحظات مرو -

وفي هذا يقول ياقوت : كانت/عامرة بالكتب وسيما في خزانة السلطان سنجر السلجوقي ، وأنه كان بها عشر خزائن لم يعرف في الدنيا مثلها كثرة وجودة ، منها خزانتان في الجامع ، أحدهما يقال لها (العزيزية) وكان فيها اثنا عشر الف مجلد أو ما يقاربها . والأخرى يقال لها (الكمالية)

وبها خزائن شرف الملك المستوفى . (١)

مكتبة نوح بن نصر الساماني ، وقد ذُحرت بكثير من الكتب النادرة (٢)

مكتبة صاحب بن عباد وقد اعتذر بسببها عن تلبية دعوة نوح بن

منصور الساماني ، اذحتاج لنقلها الى أربعمئة جمل كما سلف ذكره . (٣)

مكتبة مؤيد الدين البلعمي وزير المستعصم وكانت تحتوى على عشرة آلاف مجلد من نفايس الكتب . (٤)

(١) معجم البلدان ٥ : ١١٤

(٢) تاريخ الاسلام السياسي ٤ : ٤٣١

(٣) المرجع السابق

(٤) تاريخ الاسلام السياسي ٤ : ٤٣١

لم تكن هذه المكتبات مجرد مخزائن للتباهى بل كانت تمد أصحابها
ومن يلوذ بهم من الباحثين والعلماء والطلاب بغير من العلم كل في
اختصاصه وميدانه وهي سهلة التناول كما يذكر ياقوت . (١)

المدارس:

لم تنشأ مدارس اسلامية قبل بداية القرن الخامس الهجرى حيث كانت
المساجد تقوم بمهمة نشر العلم .
وأول مدرسة أنشئت وانتظم فيها الطلاب للتعلم هي المدرسة
البيهقية نسبة للإمام البيهقي ت ٤٥٤ هـ - في نيسابور . (٢)
والثابت أن نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقي أسس
المدرستين اللتين تعرفان باسمه في بغداد ونيسابور ، وتعرف كل منهما
بالمدرسة النظامية ، كما أسس المدرسة الحفوية في بغداد ، وانتشرت
مدارسه في شتى البلاد مثل : نظامية بغداد ، ونيسابور وأصفهان ،
ومرو وعسكرمكرم ، وخوزستان ، والموصل ، وهراة ، وبلخ و آمد ونظامية
طوس . (٣)

وتد اتخذ السلاجقة نظام المدارس منشآت سنوية لمحاربة المذهب
الاسماعيلي الشيعي وسار على هذه السياسة نورالدين محمود زنكي في
الشام ، ثم صلاح الدين الأيوبي في مصر للقضاء على الدعوة الفاطمية . (٤)
والكثير من هذه المدارس تقع في إقليم خوارزم ، وما حوله من المدن وذلك

(١) معجم البلدان ٥ : ١١٤

(٢) الزمخشري ص ١١٣ لغويا ومفسرا ص ٤٧

(٣) المرجع السابق ص ٤٨

(٤) من التاريخ الحباسي والانديلسي ص ٢٠٠

مثل المدارس المنتشرة في : نيسابور ، ومرو ، وهراة ، وبلخ ، وأمد ، وطوس
فضلا عن المدارس التي بناها الامير سيكتكين أخو السلطان محمود الغزنوي
في الاقليم نفسه وهي : مدرستان باسمه ، وثالثة سماها السعيدية ، ورابعة
بناها لابي اسحق الاسفراييني .

ولم يكن بناء المدارس في البلاد الشرقية مقصورا على الملوك والوزراء
بل كان العلماء والشعب يسهمون في هذا الضمار كما بي بكر البشتي ،
فقد أنشأ مدرسة نيسابور ، ووقف عليها الكثير من امواله وعقاره . (١)
وبذلك كانت البلاد الشرقية من الخلافة العباسية تربة طيبة تثبت
أجلاء العلماء من المتخصصين في مختلف العلوم كما سيأتى في موضعه .

بلاط الحكام :

بدأت دار الخلافة ملجأ للعلماء ، والشعراء منذ الصدر الاول ،
عندما دون الخليفة العادل عمر بن الخطاب الدواوين ، وتطورت الامور
بعد ذلك حتى استقر الحكم للخلفاء الأمويين الذين فتحوا درهم
للشعراء والنسابين ، وما مدائح الفرزدق وجربير والاخلطل عنا ببعيد .
وما أن قامت الخليفة العباسية حتى توسع الامر بفعل الترجمة والتأليف ،
ففتح الخلفاء العباسيون دورهم المناظرات ، والمناقشات العلمية فأضحى ذلك
عادة تأثر بها الحكام الجدد الذين اقتطعوا ولايات من أطراف الخلافة ،
فأصبحوا حكاما يناغسون دار الخلافة بالعلم والعلماء حتى أمسى بلاط كل
منهم مركزا تقام فيه المناظرات واليك منها :

بلاط بنى بويه فى أصبهان والرى ، والبلاط السامانى فى بخارى

و بلاط شمس المعالى قابوس بن موشكمير فى طبرستان ، وبلاط --

خوارزمشاه مأمون الثانى فى خبوة ، وبلاط محمود الغزنوى فى غزنة وبلاط

السلاجقة فى مرو حاضرة خراسان حيث أقام أمراء السلاجقة ولا سيما

السلطان سنجر فى عهد الامراء الخوارزميين *

والمعلوم ان هذه كلها تقع فى إقليم خوارزم أو حوله وكان الزمخشرى

قد اتصل بهذه الحواضر ، وخاصة اتصاله بامراء الخوارزميين *

اللغة العربية فى الاقليم الشرقى :

بحكم انتشار الثقافة العربية والاسلامية فى خوارزم وما حولها ، تلزم

الأشارة الى ما كانت عليه اللغة العربية هناك *

أخذت اللغات القومية تختفى من وجه العربية شيئاً فشيئاً لتحل محلها

لغة القرآن الكريم ، حتى أصبحت لغة السياسة ، والحكم ، والادب والثقافة

بجانب الدين الاسلامى *

ولما تمزقت اطراف الخلافة وانتزع الولاة منها ما يقيمون عليه دولا تحكمتها

أسر غير عربية ، شجع أولئك الحكام الجدد مثل الصفاريين والسامانيين ،

العلماء والأدباء على الكتابة باللغة الفارسية وإحياء تراشها فأخذت اللغة

الفارسية تعود فى شرق ما بين النهرين ، كما بدأت اللغة العربية تفقد

مكان المدارة فى تلك البلاد رويدا رويدا ، وكان ذلك فى القرنين الثالث

والرابع *

يروى عن احياء اللغة الفارسية أن السلطان يعقوب بن ليث الصفارى

عندما تولى العرش، جاء الشعراء العرب، ونظموا له أشعارا بالعربية،
 فرد عليهم قائلا : لا أفهم هذا اللسان، ولا أريد أن اسمع ما لا أفهم .
 يتبين من هذا أن إحياء اللغة الفارسية بدأ في عهد الصفاريين
 (٢٥٤ - ٢٦٥ هـ . وجاء بعدهم السامانيون ، فسعى سلاطينهم لإحلال
 اللغة الفارسية مكان العربية حتى ظهر في عهدهم من بلاد ما وراء النهر
 وخراسان كثير من الشعراء ، والكتاب باللسان الفارسي ، فأخذت اللغة
 الفارسية مكانتها في البلاط (٢٦١ - ٢٨٦ هـ) فأكب العلماء والأدباء على
 ترجمة الكتب العربية الى الفارسية فترجم تفسير الطبري ، وترجم تاريخه بأمر
 من الملك منصور بن نوح الساماني .

وقد لاحظ المتنبى هذا التغيير، وغرابة اللسان العربي حين مروره ببلاد
 فارس ، قاصدا عند الدولة فتألى قصيدته التي يقول فيها :
 مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الريح من الزمان

xxx

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
 وقد ظل للغة العربية السيادة التامة في الشام ومصر والحجاز والعراق
 والبيئات القريبة من الجزيرة العربية . واحتفى بها العلماء والأدباء والشعرا
 والمفكرون ، وألّفوا فيها نفاثي الكتب العربية والاسلامية .
 وقد حدث وواج للغة العربية في الاقليم الشرقي خلال القرنين
 الخامس والسادس ، خصوصا بعد قيام العهد السلجوقي ، فاهتموا باللغة
 العربية وآزروها ، فهي لغة الدين والحكم والثقافة .
 ولم يفض سوى قرن من تولى السلاجقة للحكم حتى اختفى الكتاب الفرس
 من الدواوين ، وحلّ مكانهم كتاب . عرب أو مستعربون .
 وهكذا نجد ان اللغة العربية في عصر الزمخشري كانت لها الغلبة ،

(١) الزمخشري لغويا ومفسرا ٦٣٠

فقد زاحمت اللغة الفارسية نطخت عليها ذيوها وشهرة ، حتى يش الكتاب
 الفرس من احياء لغتهم ، فأخذوا في نشر العربية وإذا كتبوا بالفارسية
 كان الاسلوب والكلمات والاستدلال بالآيات والاحاديث ، والا شعار كلها
 عربية لذلك أخذ الادباء الفرس يهتمون بحفظ اللغة العربية وتواعدها
 وكان جل همهم أن يتعلموا نحوها وصرفها .
 ولعل الزمخشري كان له نصيب المشاركة/نصرة اللغة العربية
 ومهاجمة خصومها . (١)

الفصل الاول

الزمخشري

شأته وحياته

اسمه ، كنيته ولقبه :

- هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي ثم الزمخشري .
وقد اتفق كتاب التراجم على الاسمين الأول والثاني من هذه السلسلة
أما الثالث والرابع ، وهو (محمد بن أحمد) فمنهم من ذكرهما على هذا
الترتيب ، (١) ومنهم من خالف بينهما . (٢)
وهناك من ذكر (محمود بن عمر) دون أن يزيد على ذلك (٣)
ولا أعتقد أن بينه وبين ما سبق خلافا ، ولكنه من قبيل الإيجاز والاكتفاء .
ويذكر السامرائي أن هذا الاسم نقله من خط الزمخشري نفسه في
إجازته للسلفي . (٤) ولعل هذا هو الصحيح بين ما عرضناه .
ويكاد يجمع المؤرخون والباحثون على أن الزمخشري يكنى (أبا القاسم)
ولم أر من شذ عن هذا فيما تحت يدي من مراجع الآب ابن العماد في
كتابه (شذرات الذهب) فكنيته عنده (أبو القاسم) اللهم إلا أن يكون
ذلك خطأ مطبعيا لا يستحق الوقوف عنده .
وفي كل حال هو مشهور بأبي القاسم ، ويؤيد ذلك مقاماته التي
تتخللها هذه الكنية دائما دون اختلاف أو تغيير .
ويلقب الزمخشري (بجارالله) وهذا اللقب الذي عرف به ، لانعرف
أحدا لقب به غيره ، فمن أين جاءه هذا اللقب ؟ ومن الذي لقبه به ؟
بعض الروايات تذكر أنه لقب بجار الله ، لكثرة مجاورته لبيت الله
الحقيق . (٥)

- (١) وفيات الاعيان ٥ : ١٦٨ - تاج الحروس ١١ : ٤٤٩
ابن العماد : شذرات الذهب ٤ : ١٢١ - النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤
(٢) معجم الادباء ١٩٩ : ١١٧ - الحوفي : الزمخشري ص ٣٥
(٣) شرح المفصل لابن يعيش ١ : ٢ - دائرة المعارف الإسلامية باللغة
العربية ١٠ : ٤٠٣
(٤) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ص ٢٢ - الشذرات ٤ : ١١٨
(٥) ابن يعيش ١ : ٢ - تاج الحروس ١١ : ٤٤٩ - النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤

أما الذى لقبه به فلعله شيخه وتلميذه على - التصغير - بن عيسى بن وهاس حين حضر عليه وقت جواره فأطلق عليه هذا اللقب . (١)
ومن القابہ نسبتان ، هما : الزمخشري والخوارزمي ، وقد صار على النسبة الاولى ، كثير من المؤرخين ، وأصحاب التراجم ، منهم : القزويني في (آثار البلاد وأخبار العباد) وياقوت في (معجم الادباء) ووافتهما بعض المحدثين . (٢)
أما نسبه (الخوارزمي) فقد نسيه بها : الذهبي في كتابه (العبر في خبر من غبر) والزبيدي في معجمه (تاج العروس) .
وهناك من يجمع بين النسبتين فيقول : (الزمخشري الخوارزمي)
ومن هؤلاء : ابن شجري بردي في كتابه (النجوم الزاهرة) وابن الحماد في كتابه (شذرات الذهب) .
فهو منسوب مرة الى قريته ومسقط رأسه (زمخشر) وأخرى الى إقليمه خوارزم الذى طالما افتخر به .
ولكن نسبه التى اشتهر بها هي النسبة الى قريته ، وكانت قرية صغيرة ليست بذات بال كما يروى الزمخشري نفسه في رسالته التى كتبها لابي طاهر السلفى ردا على دعوته له فى طلب الإجازة حيثقال : " وأما المولد فقرية مجهولة من خوارزم تسمى زمخشر وسمعت أبا رحمه الله يقول : اجتاز أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها ، فقيل : اسم القرية زمخشر واسم كبيرها الرداد . فقال : لاخير فى شر ورد ولم يللم بها " (٣)
ويبدو ان القرية قد تطورت بها الحال في عهد المتدسى ، اذ كتب عنها يقول : " زمخشر : قرية عليها حصن وخذق ومحبس وأبواب محددة والجسور - ترفح كل ليلة ، والجادة تشق البلد والجامع ظريف بطرف السوق " (٤)
ولم تشهر القرية الا بعد أن نبغ الزمخشري وطار صيته ، فعرفت بانتسابه اليها .

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص ١ - البلاغة القرآنية ص ٢١ الزمخشري : الاحاجى النحوية المحقق ص ٥

(٣) معجم البلدان ١ : ١٤٧ - تاج العروس مادة زمخشر

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٨٩

مولده :

أكثر المراجع التي رجعت إليها تنبئ أن ولادة الزمخشري كانت في
قرية التي ينسب إليها (زمخشر) في شهر رجب سنة سبع وستين
وأربعمائة (١) .

ولم يحدث خلاف بين المؤرخين وأصحاب التراجم في مكان ولادته
أما تاريخها فيذكر أنه ولد في أواخر شهر رجب سنة ثمان وستين وأربعمائة (٢) .
ولعل إجماعهم يرجح بما اعتمده القفطي في ولادته .

أصله وأسرته :

تشير الدلائل التاريخية إلى أن الزمخشري كان فارسياً ، ومع هذا فمن يتابع
سيرته يرى مدى اندفاعه نحو العروبة والدين الإسلامي ، وإخلاصه لهما ،
وذوده عن حياتهما .

وقد يلاحظ المقتفي لترجمته أن ليس هناك بين المراجع من تعرض
للبحث عن أصله أو أسرته ، ولعل السبب في ذلك أن آله - باستثناء
أبيه - كانوا من المغمورين الذين لم يتح لأحد منهم مكانة سياسية أو
ثقافية أو اجتماعية ، أو علمية تظهره كما فعل الزمخشري نفسه .
والحديث عن أسرته لم يأت إلا عن طريقه ، وذكر أقرانه لم يسلنا إلا في
شعره ، وليس لنا شاهد على ما يقول عنهم في ديوانه سواه .
وقد بين لنا مدى استقامة أسرته ، ونزاهتها في أبيات من شعره (٣)

كما ذكر أباه وما يكتنفه من تقوى ، فهو صوام قوام ، ذو طباع صافية
وهو ممتنع اللون من خشية الله ، وكان محولاً كما يوحي بذلك شعره . (٤)

(١) انظر : ابن الأنباري : نزهة الألباء ، ص ٢٩٢ - معجم الأدباء ، ١٩ : ١٢٧
- الزمخشري ، ص ٣٥ - دائرة المعارف الإسلامية ، ١٠ : ٤٠٣ - المزهر
٢ : ٤٦٨ - الكشاف ، ٤ : ٣٠٧ - منهج الزمخشري ، ص ٢٣ - الدراسات
النحوية واللغوية ، ص ١٠ - المدارس النحوية ، ص ٢٨٣ .

(٢) انباء الرواة ، ٣ : ٢٧١

(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص ٢٥

(٤) منهج الزمخشري في تفسير القرآن ، ص ٢٦ - البلاغة القرآنية ، ص ٢٤

ويبدو أن أباه قد وصى به الوشاة ، إلى كافي الكفاة مؤيد الملك
 (ت ٤٩٤ هـ) (١) فسجنه ، ومكث في السجن بنحو سنين ، وكان سبب
 سجنه مجهولا ، إلا أن الواضح من شعر الزمخشري أن السبب كان سياسيا
 فهو يستعطف (مؤيد الملك) ويستشفعه بفضل أبيه ، ويعلمه وبالضعفاء
 من اطفاله ، وهو يرى في سجن أبيه أسرا ، وليس ارتكابا لجريمة ضارة
 بالمجتمع فيقول : (٢)

أكفا الكفاة مؤيد الملك الذى خضع الزمان لعزه وجلاله
 ارحم أبى لشبابه ولفضله وارحمه للضعفاء من اطفاله
 ارحم أسيرا لورآه من العدى أقسامهم قلبا لرق لحاله

ولكن مؤيد الملك لم يستجب لنداء الزمخشري في طلب الرحمة بأبيه
 ذلك لأنه كان سياسيا حريصا ، شديد الحيطة ، ولعل هذه الصفات هي
 التى دفعت بعض المؤرخين أن يصفوه بسوء السيرة كما فعل ابن الاثير (٣)
 مات والد الزمخشري في السجن ولم يتجاوز عمر الابن في ذلك الحين
 إحدى وعشرين سنة ، وكان أبوه قريب عهد بالشباب حين توفي كما بينأنا
 شعر الزمخشري . (٤)

وهكذا فقد أبوه الذى شمل بعطفه ، ورعاه في حادثته ، وما زاد الابن
 حسرة وأسى أنه لم يكن عند أبيه حين وافاه الاجل ، فهو دائم الترحال
 في طلب العلم ، ووالده مكبل في ظلمات السجن ، ويبدو أنهما كانا يحسان
 لذعة الفراق معا في حياتهما ، فكيف الفراق الدائم الذى يحبر عنه في
 هذا الرثاء : (٥)

(١) هو ابن نظام الملك الذى كان بتولى رئاسة دواوين السلاجقة
 في ذلك الحين .

(٢) منهج الزمخشري ص ٢٥

(٣) الكامل في التاريخ ٨ : ١٩٧

(٤) بهيجة الحسنى : الزمخشري شاعرا ص ٥ - الزمخشري مناقب العشرة

المحقق ص ١٠

(٥) منهج الزمخشري ص ٢٦ - البلاغة القرآنية ص ٢٤

ياحسرة أنني لم أروغلتها وغلتي بزمان فيه نجتمع
 قد كنت أشكو فراقا قبل منقطحا وكيف لي بعده بالعيش منقطع
 هذا شأن أبيه ، حياة كلها إرهاق ، وعيلة وسجن ، وموت بطيء .
 أما أمه فنلمس مما ذكره عنها أنها صالحة ثقية ، ذات عاطفة رقيقة
 حتى على بغاء الطير أو ضعف الحيوان .

فقد تحدث عن سبب سقوط رجله حين سئل عن ذلك ، فقال : دعاء
 الوالدة ، وذلك أنه كان في صباح أمسك عصفورا ، فربطه بخيط في رجله
 فأفلت من يده ، فأدركه وقد دخل في خرق ، فجذبه فانقطعت رجله في
 الخيد ، فتألمت والدته لذلك ودعت عليه . بقطع رجله كما قطع رجل
 العصفور ، فلما عمل إلى سن الطلب رحل إلى بخارى يطلب العلم ،
 فسقط عن الدابة ، فانكسرت رجله ، ثم انتهى الأمر إلى قطعها بسبب ذلك (١)
 رقة إنسانية فاقت عاطفة الأمومة ، فقد أنساها نزع رحل العصفور ابنها
 فاندفعت تلقى عليه اللوم ، فتدعو تلك الدعوة التي انطلقت وكأنها سهم
 أصاب هدفه .

كان لهذه الأم أثرها البالغ في حياة صغيرها ، فقد سهرت على
 تهذيب طبعه ، وحسن تربيته فنبت نباتا حسنا ، وصار إلى ما صار إليه
 من صلاح وتقوى ، وخدمة للعلم والدين .

إن شيئا بعد هذا عن حيلة أمه لم يصلنا ، وأكثر من هذه القصة
 التي ارتبطت بقطع رجله لم نعرف عن حياتها ، أو أسرتها ، أو عملها
 شيئا وكل ما هنالك عورثاؤه أياها رثاء ينم عن شدة جزعه ، وتفججه عليها (٢)
 فهو يبكيها بدمعة لاتجف ، ويتمنى أن تكون روحه وأرواح عشيرته لها فداء .
 أما عن أقاربه فقد ذكر من ضرستهم المنية منهم ، ذكر أن له جدا
 وأخا ، وعمما وخالين شهد المنايا تتخطفهم ورثاهم في شعره . (٣)

(١) معجم الأدباء ١٩ : ١٢٧ - الشذرات ٤ : ١١٨ - الوفيات ٥ : ١٦٨

(٢) الزمخشري شاعرا ص ٥

(٣) منهج الزمخشري ص ٢٧

هذا كل ما نعرف عن أسرة الزمخشري وآله ، وهى كما أُلْمعنا إشارات

عابرة جاءت على لسان الرجل فى شعره .

شخصيته :

البحث فى الشخصية هو البحث فى صفاتها ، وهى إما حسية أو معنوية

فالحسية : تقوم على الصفات الحلقية من المحاسن والعيوب .

والمعنوية : تقوم على الأخلاق التى يتفاعل بها الانسان مع المجتمع

وأهم ضوابط هذه الصفة هو الدين ، فكلما زاد قرب الانسان ^{ضوابط} ~~منه~~ منه

كلما استقام خلقه ، وكلما بعد عنه كلما تاه والتبس عليه أمره .

ولم يصلنا شئ عما كتب فى صفات الزمخشري الحسية ولحل ما كتب

عن صفاته المعنوية أضعاف ما كتب عن صفاته الجسدية .

والصفة الوحيدة التى كررتها المراجع المتعددة ، هى ستوط ساقه ،

ويبدو وأنه كان شديد الحساسية إزاء هذا العيب ، فقد عمل جاهداً على

أن يتم الكثير من صفاته المعنوية تحويها لهذا النقص شأنه فى ذلك

شأن الكثيرين من أصحاب العاهات .

وقد ذكر أنه كان اذا مشى ألقى على رجله المبتورة الثياب الطوالى

فيئان من يراه أنه ليس بأعرج . (١)

أما صفاته المعنوية ، فيمكن تقسيمها قسمين :

الأول : سن الشباب المتوثب من المخامرة والطموح .

الثانى : الميل الى الهدوء والاستقرار ، والنظر الى الدار الآخرة .

فالطور الاول : يبدأ بولادته ويتتهى بمرضته المنذرة وينبش أن

أن القى الضوء على المؤثرات التي كانت توجه تصرفاته مع غيره .
 فقد ولد لأبوين صالحين وعاش في كنفهما حياة الطفولة ، وأول عهد
 عهد الشباب وكانا صاحبي دين وتقوى شكونا له البيئة الخامة التي
 رعته رعاية حسنة طيبة ، بعيدا عن مؤثرات الجهل والضلال ، وأوسهما
 في تنشئته تنشئة دينية إذ كان أبوه عالم قريته وكان ورعا موصوفا قواما
 حريصا على مكارم الاخلاق ، وكانت أمه ذات عاطفة دينية وانسانية رقيقة
 فأضحى ثمرة طيبة لشجرة طيبة .

ولا شك أنه كان هناك تعاون في تنشئته بين أهله وبيئته العلمية التي
 كان لها الأثر العظيم في هذا التدين وكانت هذه البيئة تمثلها
 مدارس الحديث الكثيرة التي أسسها نظام الملك ، كما تمثلها مجالسه التي
 كان يعمرها القراء والفقهاء وأهل الخير والصالح .
 وقد هيأته هذه النشئة منذ أصبح في باكورة شبابه إلى أن تطمح إلى
 نفسه للوصول إلى أسياب المناصب من العلماء ، والحكام والوراء والامراء
 علّه يتبوأ مكانة تليق بعلمه وذكائه ، وأدبه كما كان يرجو أن ينال من
 المال ما يكفل له حياة رغيدة تجعله في مصاف الطبقة المرموقة في ذلك
 العصر ، فوسم اتصالاته برجال الدولة السلجوقية ، وكان الفضل في الاتصال
 يعود إلى أحد شيوخه إذ قدمه إلى الوزير نظام الملك .

ومنذ أن اتصل بهذه الطبقة ، وتفاعل بعلوم الشباب المتوقد إذ
 يهيمه الشهرة والافصاح عن الذات كثيرا ، لذلك يناقش العلماء ومدح الامراء
 وطلب الجائزة لكنه طلبها في عزة نفس ، وكان يحتفظ بهذه العزة مبكرا ،

فقد مدح نظام الملك قبل الثامنة عشرة ، وكما شفه بفقره وحاجته مح
اعتداده بعلمه وأدبه * (١)

ولكن مبيحاته عند الوزير ذهبت أدراج الرياح ، ولم يحظ منه بطائل
كما قال ولعل ذلك يرجع الى عقيدته الاعتزالية التي تناقض عقيدة الوزير
نفسه *

ومح هذا لم يكف عن المدح والشكوى بعد وفاة الوزير فقد أخذت
قدمه تحمله إلى أعتاب الساسة والأمرء ، ويعرض رأس ماله من علم وأدب
ليلقى منهم العون الذي يستطيع به أن يعول الأسرة والضعفاء الذين
تركهم أبوه ولعله يستطيع بذلك أيضا مواصلة الدرس والبحث العلمي
يقول مادحا الوزير مجير الدولة ، ومفتخرا في آن واحد : (٢)

فمن مبلغ عنى الوزير بأنى كفيل بخاد من شاه ورائح

فليت رحالى ألتيت بفنائيه فارتع فى شعمايه غير نازح

ويقدح زندا وارىا من مناقبى اذا صلدت كل الزناد لقادح

وقد يفهم من شعره أنه تمنى أن يكون غنيا بالمال والجاه ولا يريد

تلك الألقاب والنعوت الكريمة حين يقول : (٣)

فيا ليتنى أصبحت مستخنيا ولم أك فخر خوارزم ورأس الافاضل

ويا ليتنى مرضى مديقى ومسحس عدوى وأنى فى فهامة باقل

فلمست بفضل بالغا ولو اننى كقس إباد أو كسحبان وائل

ولكن يبدو أنه ليس جادا فى أمانيه هذه ولعل مبعث هذا أنه

كان يرى الدنيا مقبلة على من دونه فى معارفه وعلمه فكان كثيرا ما يرفع

عقيرته مادحا نفسه ، مفتخرا بعلمه ، ومولفاته * (٤)

(١) الزمخشري ص ٧٣ - ربيع الابرار المحقق ١ : ١٠

(٢) منهج الزمخشري ص ٣٤

(٣) الزمخشري ص ٧٥

(٤) ربيع الابرار المحقق ١ : ١٦

وتد لخص أخلاجه في هذه الفترة السابقة لمرضته المنذرة بأنه ان من
 الله عليه بالسحة ألا يظأ بأخمصه عتية السلطان ، وأن يربأ بنفسه ولسانه
 عن قرنه الشعر في الحكام ، وأن يحف عن عداياهم ، ويجد في اسقاط
 اسمه من الديوان ومحوه ، وأن يحف نفسه حتى تعرف ما فاتها في سنى
 جاهليتها . . . (١) فهو يطلق على هذه الفترة سنى الجاهلية من عمره .
 ويقول وهو يؤنب نفسه في مائة الانابة : " أبعد ما عطلت شببيتك
 في التغزل والتشبيب ، وذهبت بمفوة عمرك في صفة الحب والحبيب ،
 واشملت حلمك في أودية الهوى ، وعكفت همك على أبرق الحمى وسقط اللوى
 واتخذت بقر الجواء بلاهك ، وفتنتك ، ووعبت لظباء وجرة ذكائك وفطنتك . . ."
 بخا يده لخص حياته في شبابه ، وبين مستوى ما كان عليه من اسراق
 رديئة ثم اتجه نحو خط الجادة في حياته الجديدة .

الطوز الثاني :

فاذا ما برى من مرضته تلك وعاود نشاطه نراه يرتضى لنفسه أخلاقا
 جديدة يلخصها في خطابه نفسه " . . . وتتقن بقرمبيها وللمريها ، وأن
 يعتنم بحبل التوكل ، ويتبتل إلى ربه ويتنسك ويجعل مسكنه لنفسه محبسا
 ويتخذها لها مخبسا . . . وأن لا يدرس من العلوم التي هو بصددنا إلا ما
 هو مهيب بدراسة من الهدى ، داع له عن مشايحة الهوى . . . وتاب
 القوة النمود . . . (٢)

(١) انظر : الزمخشري : مقامات الزمخشري ٨ - ١٠

(٢) المصدر السابق ص ٣٤

(٣) المصدر نفسه ص ٨ - ١١

تنفيذا لهذه الخطة التي اختطها لنفسه لزم بيته أربع سنوات يراقب نفسه ويؤلف الكتب النافعة في دنيا الناس وأحراهم : ألف المفصل ، والمقامات والفائق في غريب الحديث ، وكتب أخرى كثيرة وأخذت نزعة الفخر والإعجاب بنفسه تنزوي حتى زالت ، ثم تنسك وزهد في آخر أيامه فأصبح شديد للتواضع في نفسه وعلمه . يبدو ذلك واضحا في كتبه التي ألفها ، وينبغي أن نورد بعض النماذج التي توضح للقارئ مدى التغيير الذي مرأ عليه .

— يقول في مقامة الإنابة مخاطبا نفسه : " تريد ويحك أن تسهر على ما فعلت ، وأن تشيع النار التي أشعلت ، مهلا مهلا فطست لذلك أهلا عليك بالخروق الواهية ، متنوقا في رفوها ، وبالكلوم الدامية متنطسا في أسوها أنب الى الله لعل الإنابة تحصي ، وافزع الى الله لعل الفرع يخلص . . . " (١)

— وينقل عنه الساموئي قوله : " ان النفس لاء مارة بالسوء تطلب منك أن يكون مسكنها دارا ثورا " وسكنها مهلاة حورا تجر في عرصتها فضول مرطها " وفي جوابه لأبي طاهر السلفي حين كتب اليه من الاسكندرية يستجيزه :

" ما مثلي مع اعلام العلماء الأكمل السهلا مع مهاجج السماء والجهاج المفر من الرهام ، مع الخوادي العامرة للقيعان والآكام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبغات مع الطير العتاق وما التقيب بالعلامة الأشبه الرقم بالعلامة ، والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثاني الرواية وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ظلى فيها أقلص من ظل حصاة . . . " (٣)

(١) مقامات الزمخشري ٣٤

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٢

(٣) الكشاف ٤ : ٢٠٨

— ويحدثه رشيد الدين الوطواط أحد تلاميذه عن أخلاته العلمية ،
وما كان يحدث بينهما من حوار علمي فيقول : " وقد جرى بيني وبينه
في حياته وأوقات راحته ، مما يتعلق بفنون الأدب وأقسام علوم العرب
مسائل أكثر من ان يحصى عددها ويستعصى أمرها ورجح فيها الى كلامي
ونزل على أحكامي " (١)

مما تقدم يتبين لنا الفرق بين عهدين عاشهما الزمخشري عهد الشباب
الطامح الذي كان لا يسلم فيه لأحد في قضية ، وقد ذكر أنه كان يقول :
" أنا ابو القاسم المعتزلي من يبارزني ؟ " (٢)
ثم تهدأ تلك الثورة وتتزوى فيحل مكانها فضل اهل العلم ونموذج العلماء
الاتقيا في تواضعه وقد رأينا كيف أن ذلك الشيخ الحملاق ينزل عند ارادة
تلميذه ويمنح العلم حقه .

فحق لنا أن نعدّه صبورا على مرارة الحق مع أنه من أرباب هذه
العلوم ، وأصحاب هذه الفنون ، فهو مع الحق ولو على نفسه .
انصرافه عن الزواج :

عاش الزمخشري عزبا لم يتزوج ، فلم يشغل نفسه بصاحبة ولا ولد
واختار هذه الطريقة قبله بعض العلماء منهم : الكسائي ، والطبري ،
وأبو حيان التوحيدى . (٣)

ولعل السبب في سلوكهم هذا ، هو انصرافهم الى طلب العلم ووجود
لذتهم فيه ، فمما به البحث والتحصيل ، واذا كان أحد منهم لم يقصح عن سبب
انصرافه عن الزواج فان الزمخشري قد علل عزوفه ذلك ببعض العلل فهو

(١) رشيد الدين الوطواط : من رسائل البلغاء ص ٣٧٨

(٢) الشيرازي : الزمخشري لغويا ومفسرا ص ١٥٨

(٣) البلاغة القرآنية ص ٢٦ — أحمد الحوفي : الطبري ص ٤٢

فهو يخشى + يولد له ولد غير كيس فيكون سباً وعارا ، وكم من والد
يرى ولداً ويشقى ثم يشقيه ولده ، حين يراه حقيراً ، يعبأ به وييلتفرت

اليه فهو يقول في ذلك : (١)

تصفحت أو ود الرجال فلم أكد أصادف مراً يفضى امرأته وأباً

أخو شقوة ما زال مركب طفله فأصبح ذاك الطفل للناس مركباً

لذا تركت النسل واخترت سيرة مسيحية أحسن بجذلك مذهباً

وأدري كيف يسبق الزمن فيحكى هذا الحكم ، أو يتحلل بتلك

العلة وما علمه بمستقبل ذلك المولود ان كان صالحاً أم طالها ؟ أم

اطلح على الغيب ؟ .

وكيف يسعى لنفسه بسيرة مسيحية ، ويشنى على تلك الطريقة وهو

المذى ينقل عن نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم : (٢) " من أحب

فطرتي فليستن بسنتي وهي الناح " .

وقوله : " من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا " .

وقوله : " اذا تزوج أحدكم عج شيطاناً ، ياويل له ، عصم ابن آدم مني

ثلثي دينه " . (٣)

وللزمخشري حملٌ عجيبٌ يصب فيها جأ غضبه على الزواج والنساء

فمن أقواله في ذلم : " أدري أيهما أشقى : من يحوم في أمواج

أم من يقوم على الزواج " . (٤)

ويقول : " أنت من النسوة من اتخذ النسوة أسوة "

ويقول : " النساء متى عرفن قلبك بالرغام الصقن أنفل بالرغام " (٥)

(١) الزمخشري ص ٦٧ - البرغوثي القرآنية ص ٢٦

(٢) الكشاف ٣ : ٦٣

(٣) المصدر السابق

(٤) الزمخشري شاعراً ص ٤

فهو صارم في هذا الامر دون تردد ولعله نسي كل دوافع الزواج حتى التي كتبها بيده عن رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم ،اذ يخاطب عياضا "يا عياض (١) لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا غاني مكاشر" (٢) فهو يردف أقواله السابقة بهذا الحديث ،والأحاديث في هذا الشأن مستفيضة .

ولكن ،لعل الزمخشري وجد انفسه مخرجا دينيا يعتمد عليه في تركه

الزواج فهو يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : " اذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت العزوة والعزلة والترهب عليسى رؤس الجبال (٣) وفي حديث آخر " يأتى على الناس زمان لاتنال فيه المعيشة الا بالمعصية ، فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوة " (٤) .

والزمخشري أجل من أن ينال عيشه بالمعصية فقد ثبت علمه وتقواه ولا ينبغي له أن يتردد في مثل هذا .ليترك النسل خشية الاملاق ، كما لا يصح أن يأخذ بهذا الحديث وحده دون الأحاديث التي تحثه على

الزواج .
أصر الزمخشري على موقفه هذا حتى الأمه أهلته ونصحوه بالزواج فكان

يرد عليهم نصحهم ويلومهم في دعوتهم ويبين لهم فساد الأولاد ، وقبائحهم وأن من له عيال شقي طيلة دهره فهو يخشى فضيحة الابن لأنها فضيحة لأبيه ،وينبغي له أن يترفع عن تلك الفجائع . (٥)

والاسباب التي التمسها الزمخشري مبررا لعدم زواجه ،أسباب واهية ،

(١) هو عياض بن غنم من شجعان الصحابة وغزاتهم ت ٢٠ هـ .

(٢) الكشف ٣ : ٦٣

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر نفسه

(٥) منهج الزمخشري ص ٤٣ - البلاغة القرآنية ص ٢٦ - الزمخشري شاعرا ص ٤

ولكن بقی هناك سبب تحدث به واعتمد عليه ، وهذا السبب من اليسير أن

يلجأ اليه أمثال الزمخشري وذلك هو العلم • انظر اليه في قوله : (١)

سهرى لتفقيح العلوم الذي من وصل غانية وطول عناق
وشمايلي طريا لحل عويصة أشهى وأحلى من مدامة ساق

فلا تصرف إلى العلم عنده أجدر من الزواج ولكن هناك من العلماء

من يضاهنه بل يرجحونه ، ولا نعلم أنهم تركوا الزواج من أجل ذلك •

ومع هذا يبدو من الشعر المنسوب للزمخشري في روضات الجنات

أنه تزوج (٢)

فلعل عزوفه عن المرأة مرده إلى زواجه الذي لم يصحبه فيه التوفيق

ثم ان عاهته ربما كان لها في هذا الموضوع شأن •

جواره الاول لبیت الله الحرام :

كانت نفس الزمخشري في شبيبته تطمح في الوصول الى ما يرى أنه

أليق به ويعلمه الخزير ، أن يعيش في كنف السلطان علّه بذلك يخدم آله

ومذهبه ، فلما لم يتحقق أمله ولم يبلغ ما كان يهدف اليه فكر في الرحيل •

ولكن نزوعه إلى وطنه وحبه إياه كان سببا يحول دون تنفيذ رغبته تلك •

فعبّر عما تنطوى عليه نفسه من ألم وحسرة وشعور بالاذلال في قوله : (٣)

وما منزل الاذلال للحر منزلا وان كان عيش الحر فيه رغيدا

سأرحل عنها ثم لست براجح وأضرب رمى في البلاد بعيدا

فلا كنت ان خيمت فيها ابن حرة ولاعشت بين الصالحين حميدا

وجعل يكرر ما بنفسه من ألم ومرارة حتى مرض مرضة أنهكت قواه تلك

(١) الكشاف ٤ : ٣٠٣ - البلاغة القرآنية ص ٢٧

(٢) الخونساري روضات الجنات ص ٣٢٣

(٣) منهج الزمخشري ص ٣٣

هي المرضة المنذرة كما سماها ، فاخذ على نفسه العهد ان من الله
 عليه بالشفاء الألبان يظأعتبة سلطان ، أو يمدح واليا ، أو يطمع في منصب •
 وتاب بعدها توبة نصوحا وجعل لنفسه منهاجا يسير عليه •
 من الله عليه بالشفاء ، فعاود التأليف والمناظرة ، وكان ينزع الى طهارة
 النفس ، ففكر جادا في الحج إلى بيت الله الحرام ومجاورته هناك • فشرح
 الله صدره ، وعبر عن نيته وهو في طريقه فجعل يعبر فيها عن غيظته
 وسعادته في قصيدة مطلعها : (١)

سيري تماثر حيث شئت وحدثي أني إلى بطحاء مكة سائر
 حتى أنيخ وبين أطماري فتى للكعبة البيت الحرام مجاور

وفي هذه القصيدة يعترف الزمخشري بكبائر مثل الجبال وذنوب لا
 يكثرها الحمى ويرجو الله أن يكسوه لباس البر ويعلن أنه ترك وطنه
 مهاجرا الى الله وأن هذه الهجرة هي تجارة الأبرار ونعم التاجر من يبيع
 دنياه بدينه ويعلن أن كل بيع سوى ما عقده التقى فهو بيع خاسر ، فيقول :
 خربت هذا العمر غير بقية فلعلني لك يا بقية عامر
 ثم يصرح بأنه سيقى بين وفود مكة ، ويضرب قلبه حتى يحل أجله وهو
 ضيف الله وحسبه جواره ، يقول في قصيدته هذه :

بغناء بيت الله أضرب قتي حتى يحل بي الضريح القابر
 ألقى العصا بين الحطيم وزمزم لا يطببني اخوة وعشائر

استقرت بلبله بمكة البلد الحرام ، وهناك عرف أميرا شريفا ذا فضل
 وعلم غزير ، هو علي بن عيسى من وهاس الحسنى فرحب بالزمخشري ، ورفع
 من شأنه ورعاه وبنى له منزلا على باب أجياد وتوطدت بينهما الصداقة والمودة
 وتبادلا الاستفادة العلمية ، والاخوة الصادقة •

جعل الزمخشري يتردد على بيت الله الحرام مطمئناً ، هادئ النفس
 في رعاية ذلك الأمير وكنفه ، والأمير يبذل في سبيله الغالي والرخيص
 فيمدحه الزمخشري معترفاً بأياديه عليه ، ويمدح فيه انتماءه لسلالة الرسول
 صلى الله عليه وسلم . (١) وعند اتافته بالحجاز زار نمدان ، ومدح آل
 زبير هناك . (٢)

ومكث يتحلف في أرجاء الجزيرة العربية ، ويتعرف على أهلها . (٣)
 انتداح الزمخشري للعلم في مكة ، ووفد اليه طلاب كثيرون فضلاً عن فتیان

مكة المذنبين كانوا في طليعة تلك الجموع الحاشدة . (٤)

حنث نفس الزمخشري الى وطنه - وأى نفس لا تحن الى مرتع سبها
 وملعب طفولتها ، فنفسه نفس بشرية تهفو مرة وتجفو أخرى ، تحن لذكرى
 عزيزة سكنت اليها مدة من الزمن - فاراد أن يطفى سدى شوقه الذي
 عبر عنه في شعره . (٥)

وظال هذا الحنين يعاود الزمخشري حتى عاد الى خوارزم وأقام فيها

• زماناً

جـواره الثاني :

منذ فارق الحرم الشريف راجعاً الى وطنه ، عاوده الشوق ، والحنين
 الى الأماكن المقدسة ، وكان شوقه اليها أشد مما كان عليه .

(١) النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ - الزمخشري ص ٤٣ منهج الزمخشري ص ٢٦

(٢) الزمخشري ص ٤٣

(٣) أساس البلاغة مادة (ترب)

(٤) انباه الرواة ٣ : ٢٦٥ - مناقب العشرة مقدمة المحقق ص ١٤

(٥) البلاغة القرآنية ص ٤١

لقد بكى فراقه هذا في تصائد تعبر عن مرارة ، وألم على ما فرط منه فهو . يكي على الصخر المبارك كالخنساء تبكي صخره فيقول : (١)
تذكرت أيامي بها فكأنني قد اختلفت زرق الاسنة فيج مدري
أبيت على الصخر المبارك باكيا كما كانت الخنساء تبكي على صدم
وتزداد حسراته لبيعه الفوز بالشتاوة واستبداله الدنيا بالآخرة فهو
يكابد ليلا أسود ، وقد غار مجرى دمه ، ولا يلتمس لنفسه عذرا في رحيله
عن مكة . (٢)

لهذا عزم على العودة الى أم القرى ، ليكون في رحاب بيت الله ،
وكانت عودته تلك في سنة ٥٢٦ هـ وجاور بها جواره الثاني سبع سنين ،
فاستقر به المقام وكان راضيا عن نفسه شاغلا قلبه بعبادة ربه . وقد قال في
ذلك شعرا ينم عن راحة ضمير ، وسعادة نفس . (٣)

مكث عند وصوله مدة لدى ابن وهام ، وصحبه ما شاء الله ان يمكث
وتوثقت بينهما ^{الروابط} . وتبادلوا المدح وأقر الزمخشري للشريف باتعامه
وأياديه عليه . (٤)

أكب الزمخشري على التأليف في بيت الله الحرام ، فألف الكثير من
كتبه هناك كما جمع ديوان أشعاره تنفيذا لاقتراح الشريف ابن وهام ،
عاود الزمخشري الحنين الى وطنه فتوجه اليه ، وأثناء عودته مر ببغداد
سنة ٥٣٣ هـ ، وقرأ بعض كتب اللغة على ابي منصور الجواليقي ، ينقل صاحب
وفيات الأعيان عن بعضهم قوله : تدم علينا بغداد سنة ٥٣٣ هـ ورأيت

(١) منهج الزمخشري ص ٣٧

(٢) مناقب العشرة للمحقق ص ١٥

(٣) البلاغة القرآنية ص ٤٣ - مناقب العشرة المحقق ص ١٥

(٤) ربيع الأبرار المحقق ١ : ١٢

عند شيخنا أبي منصور الجواليقي مرتين . (١)

مدة جواره :

لم يرد شيء عن مدة جوار الزمخشري وقد اختلف الكاتبون في هذا الامر ، فمحقق ربيع الأبرار يرى أنه عاد من جواره الاوّل الى بلاده سنة ٥٢٥ هـ . (٢)

لكن الراجح أنه عاد الى مكة لجواره الثاني سنة ٥٢٦ هـ وفي أثناء عودته مر بالشام ومدح تاج الملك صاحب دمشق المتوفي في ذلك العام الذي عاود فيه جواره ، ولما تولى ابنه شمس الملك أرسل اليه بقسيمة تهنئة من مكة المكرمة . (٣)

ويقول صاحب كتاب (الزمخشري لغويا ومفسرا) : لا ندري متى فارق الزمخشري مكة الى بلاده حوارزم للمرة الاخيرة ، ولكننا نعرف أنه تردد على بغداد مرتين آخرهما سنة ٥٢٣ هـ ، وقد يكون أنه نهى إقامته ذلك العام . (٤) وهذا التاريخ الذي حدده لانها جواره الثاني متفق عليه .

ولكنه يتفق في الخطأ حين يعلن ان الزمخشري رحل الى مكة المكرمة نحو عام ٥١٢ هـ وأقام فيها مجاورا . (٥) وألف في هذه الفترة : المفصل (٥١٢ - ٥١٥ هـ) والفائق (٥١٦ هـ) وفي هذا العام عاوده الحنين الى وطنه ، فتوجه إليه ثم عاد الى مكة مرة أخرى قبل ٥٢٠ هـ أو على الاصح ٥١٨ هـ حيث لقي فيها اليايبي (٦) وقرأ عليه كتاب سيبويه (٧)

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٤٤٠ - منهج الزمخشري ص ٤٢

(٢) ربيع الابرار المحقق ١ : ١٢

(٣) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٢٤٣

(٤) الزمخشري لغويا ومفسرا ص ١٦

(٥) المرجع السابق ص ١٠٤

(٦) عبدالله بن الحدة اليايبي : نحوي أندلسي كان مجاورا بمكة (ت ٥١٨ هـ) انظر البحر المحيط ٤ : ٣٧٢ - بغية الوعاة ١ : ١٨٤

(٧) الزمخشري لغويا ومفسرا ص ١١١

ويقول : وطالت إقامته بمكة في المرة الثانية ، فامتدت قريبا من الأرح
عشرة سنة) . (١)

وكانه يقول هذا ليربط بين جواره الثاني الذي حدده بسنة ٥١٨ هـ
ومروره الأخير ببغداد سنة ٥٣٣ هـ في نهاية هذا الجوار .
ويضعف قوله هذا أنه يخفل مرور الزمخشري بالشام في سنة ٥٢٦ هـ
ومدحه لتاج الملك .

ويبدو لي أن مدة جوار الزمخشري الاول كانت خمس سنين ومدة
الثاني كانت سبعا . فالجوار الاول يبدأ بسنة ٥١٦ هـ وينتهي بسنة ٥٢١ هـ
وفي هذا الجوار التقى باليابري ٥١٨ هـ كما سبقت الإشارة .

والجوار الثاني يبدأ في ٥٢٦ هـ وينتهي هذا الجوار في ٥٣٣ هـ حيث
(٢)
التقى بالجواليقي في بغداد أثناء عودته ، ويثبت هذا من شعره اذ يقول :

فجاورت ربي وعمو خير مجاور	لدى بيته البيت المحرم عاكفا
أقمت باذن الله خمسا كواملا	وصادفت سبعا بالمعرف واقفا
وتم لي الكشف ثم ببلدة	بها هبط التنزيل للحق كاشفا
وزرت ابن عباس بوج ونممت	يدى عند رأس الحبر منه طرائف

لقد شعر الزمخشري بموجة من الزهد عارمة فاختر لنفسه الطريقة
الأويسية ، ونقل كتبه الى مشهد الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان ورقفها
عليه ليستفيد بها علماء المسلمين وطلاب العلم ، ولم يبق معه غير كتاب
الله المبين . (٣)

وافته منيته بجرجانية خوارزم وقد اتفقت المراجع التي وصلت اليها أنها
كانت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، ومنهم من حدد اليوم بيوم عرفة من

(١) الزمخشري لغويا ومفسرا ص ١١٦

(٢) منهج الزمخشري ص ٢٠

(٣) ربيع الابرار ١ : ١٤

ذلك العام • (١)

ويتفق ابن كثير معهم فى سنة وفاته ولكنه يقول : انه توفى عن

ست وسبعين سنة • (٢)

ومعنى ذلك أن ميلاده يكون سنة اثنتين وستين واربعمائة ولم يقل به

غيره •

وعبارة ابن العماد واضحة لا لبس فيها حين يذكر وفيات خمسمائة

وثمان وثلاثين للمهجرة فيقول : " وفيها توفى أبو القاسم الزمخشري

محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي صاحب الكشاف ، والمفصل ، علان احدى

وسبعين سنة " (٣) وهذا موافق للجميع كما يضعف من رواية ابن كثير •

هذا ، ورتاه احد فتيان مكة بقوله : (٤)

فارض ، مكة تزي الدمع مقلتها حزنا لفرقة جار الله محمود

ويذكر ابن خلكان ان الزمخشري أوصى أن تكتب على قبره هذه

الابيات • (٥)

يا من يرى مد البعوض ، جناحها فى ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى نياط عروقها فى نحرها والمخ فى تلك العظام النحل

انظر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه فى الزمان الاول

ويقول اليافعى : ان الزمخشري أوصى أن يكتب على قبره هذين

البيتين : (١٦)

(١) شذرات الذهب ٤ : ١٢١ - نزحة الألباء ٢ : ٢٩٢ - الكشاف ٤ : ٣١٠

تاج العروس مادة (زمخشري) - دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣
النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ - البحر المحيط ١ : ١٠

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢ : ٢١٩

(٣) شذرات الذهب ٤ : ١٢١ - اليافعى مرآة الجنان ٣ : ٢٧١

(٤) الزمخشري : مناقب العشرة المحقق مرآة

(٥) وفيات الاعيان ٥ : ١٦٨ - ربيع الابرار المحقق ١ : ١٤

(٦) مرآة الجنان ٣ : ٢٧١ - الداودى طبقات المفسرين ٢ : ٣١٦

الهي لقد أصبحت ضيفك في الشرى
وللضيف حق عند كل كريم

فهب لي ذنوبي في قرأى فانها
عظام ولا يقرى بخير عظيم

لعل هذه الابيات توحى بعودة الزمخشري الى أحضان السنة المحمدية
وتركه لمذهب الاعتزال فالفكر الاعتزالي يقر بأن الاله يعلم الكلليات دون
الجزئيات سبحانه • (١)

(١) أحمد محمود صبحي : في علم الكلام ص ١٣

الاعتزاز
التمتع
مدى تأثير
وقد
يظهر
ترتيب
والكبيرة
ومما
يضم مع
تدكم لنا
نظار
بل هو
يطلب
البحر
رشد
لم
نصوا

الفصل الثاني

الزمخشري والاعتزاز

زيشية المعتزلة

الاعتزال نقطة بارزة في حياة الزمخشري ، كان له أثره المباشر في اتجاهاته العقلية واللغوية والثقافية ، لذلك خصصت هذا الفصل ليتضح مدى تأثره بتلك الفرقة ، ومدى تفانيه وإخلاصه في خدمة ذلك المذهب ؛ وقد نشأت هذه الفرقة بسبب/أحد تلاميذ الحسن البصري حين كان يحضر دروس الحسن البصري ، فقدم رجل يسأل الشيخ عن رأى الدين في مرتكب الكبيرة قائلًا : لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج بها عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج .

وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تنهر مع الإيمان ولا ينهر مع الإيمان محصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا ؟ (١) فاجابه بأنه منافق .

فقال واصل بن عطاء : مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن بالطلاق ولا كافر مطلقا بل هو في منزلة بين المنزلتين ثم انسلخ عن حلقة الدرس ، واتخذ لنفسه مجلسا في مكان آخر من المسجد وتبعه مناصروه في الرأى ، فقال الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) : اعتزلنا واصل فسمى هو وأصحابه بالمعتزلة .

ومنذ ذلك الحين نشأت فرقة المعتزلة : وكان رأسها واصل هذا (٢) . لم يقف الأمر بالمعتزلة عند مسألة مرتكب الكبيرة ، بل تطور بهم إلى أن نصبوا أنفسهم للدفاع عن الاسلام وحمايته .

فقد دخل الاسلام بعد الفتح اهل ديانات مختلفة من يهودية ،

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٦٠

(٢) الثعالبي : لطائف المعارف ص ١٠٧

وفصرائية ومانوية، وزرادشتية وبرهمنية وصابئة، ودعريين وغيرهم •
 وكان ممن أسلم من هؤلاء عداء في تلك الديانات لعلمهم غير مخلصين
 بالاسلام فاخذوا يفكرون في مسائل يثيرونها، لتدخل في جدل ومناقشات
 يلبسونها ثوب الاسلام • (١)

نهى المعتزلة للدفاع عن الاسلام منذ رد واهل على مخالفى مذهب
 وهو في الثلاثين من عمره، وألف كتابا للرد على المانوية سماه " الف
 مسألة للرد على المانوية " (٢)

كان المعتزلة قد تسلحوا باملاح الذى يتحصن به هؤلاء المخالفون
 وهو الفلسفة اليونانية بما فيها من منطق ولاهوت •

فانكب علما رُغم وطلابهم على الفلسفة يدرسونها وخاصة فلسفة أفلاطون
 وأرسطو فأصبحوا بذلك من أقدس المسلمين على المجادلات الكلامية -
 ولعل هذه الفلسفة كانت أوضح ما تكون ^{عند} علمائهم مثل: ابراهيم النظام

ت ٢٢١ هـ وابو الهذيل العلاف (ت ٢٣٥ هـ) والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) (٣)

يحكى المرتضى عن مناظرات أبى الهذيل مع المجوس والثنوية وغيرهم
 أنها طويلة مدودة وكان يقطع خصمه بأقل كلام، ويقال إنه أسلم على
 يديه ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل • (٤)

وللجاحظ في هذا الميدان بلاء عظيم فله رسالة في الرد على النصارى

(١) أحمد أمين: ضحى الاسلام ٢ : ٧

(٢) المرتضى : المنية والأمل ص ٢١ - الزمخشري ص ١١٨ - المنية ص ١١٨
 - منهج الزمخشري ص ٦٦

(٣) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٣٩

(٤) المرتضى : المنية والأمل ص ٢١

وله كتاب للرد على الرافضة وله ردود ومناقشات في كتاب الحيوان . (١)

ويورد الجاحظ أيضا آراء وردود استاذة النظام على أصحاب الديانات

المختلفة كرده على الديسانية ، (٢)

أصول عقيدة المعتزلة :

يدعى المعتزلة أنهم يسندون أصولهم ^{أراشهم} إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم يستقون من واصل بن عطاء ومن عمرو بن عبيد ، وهذان أخذان من محمد بن علي بن أبي طالب وابنه أبي هاشم عبدالله ، وقد أخذ محمد عن أبيه علي وأخذ علي عن النبي عليه الصلاة والسلام .

يقرر المرتضى في أماليه أن أصولهم مأخوذة من كلام علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - وخطبه وأنها تتضمن من ذلك ما لا مزيد عليه ولا غاية

وراءه ، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ما اسهب

المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح

لتلك الأصول . (٣)

ويفخر المعتزلة بأن سند مذهبهم أضح الاسانيد ، وأنه أوضح من

الفلق ، إذ يتصل بواصل وعمرو حتى النبي صلى الله عليه وسلم وأما

سائر المذاهب فليس لها سند محمول به .

فالخوارج حدث مذهبهم في أيام علي رضى الله عنه وقد ظهرت تخطئته

إياهم ومناظرته لهم ، وقتال من بقى على ذلك الاعتقاد . (٤)

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٤ : ٩٢ ، ٨٥ - ٥ : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ،

(٢) الحيوان ٥ : ٤٦

(٣) أمالي المرتضى ١ : ١٠٣

(٤) المنية والأمل ص ٥

والرافضة حدث مذهبهم بعد مضى الصدر الأول . (١)

والمجبرة حدث مذهبهم فى دولة معاوية ، وملوك بنى مروان ،
فهو حادث مستند الى من لا ترضى طريقته .

وأما الحشوية فلا سلف لهم ، وانما تمسكوا بظواهر الأخبار ولا

يرجعون الى تحقيق . (٢)

ويلاحظ المرء أنهم لم يأتوا أهل السنة بذكر فى هذا المجال

ولكنهم يحرفون أن أهل سندهم هو القرآن الكريم والسنة المطهرة .

والمعتزلة يذكرون أخبارا عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، والخلفاء

يتخذونها سندا يقرر مبادئهم وأصول هذه المبادئ ، منها :

خبر عن على رضى الله عنه يقول فيه : ان الله تعالى ، أمر

تخييرا ونهى تحذيرا ، ولم يكلف مجبرا ، ولا بعث الأنبياء عبثا . (٣)

ويروون أن أبا بكر سئل عن الكلالة ، وابن مسعود عن المرأة

المفوضة فى مهرها ، فقال كل واحد منهما حين سئل : أقول فيها برأى

فان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فعنى ومن الشيطان ، ومن هذا

يستتجون التصريح بالعدل وانكار الجبر . (٤)

ويذكرون أن الحسين بن على بعث كتابا الى أهل البصرة ، قال

فيه : " من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على

ربه فقد فجر " . (٥)

(١) الفنية والأمل ص ٥

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع نفسه ص ٧

(٤) منهج الزمخشري ص ٦٨

(٥) الفنية والأمل ص ١٠

ويقولون إن النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن تفسير (سبحان الله فقال : هو تنزيهه عن كل شر ، وكان يقول في الصلاة والشر ليس اليلقى) وهناك بعض الأدلة يسوقونها ولا تسمح ظروف البحث باستقصائها . (٢)

الزمخشري والفكر الاعتزالي :

يشمل الحديث ناحيتين هما : قواعد مذهب الاعتزال التي أسسها واصل بن عطاء مؤسس الفرقة ، والثاني منهجهم في تأكيد فكرهم الاعتزالي

١- قواعد مذهب الاعتزال :

أما قواعد واصل التي دار حولها مذهب الاعتزال فهي أربع : (٣)

التوحيد : وهو القول بنفي صفات الباري سبحانه وتعالى وهذه الصفات هي : العلم ، والقدرة ، والارادة ، والحياة .

فنفوا عن الله الصفات القديمة وقالوا : إنه سبحانه عالم بذاته قادر بذاته ، مرید بذاته ، حي بذاته لا يعلم وقدرة ، وإرادة ، وحياة .

فهي صفات قديمة به ، لأنها لو شاركته تلك الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الألوهية . (٤) ففي نظرهم من أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت الهين .

ونفوا التشبيه عن الله سبحانه نفيا قاطعا ، مكانا وجهة وصورة وجسما وتحيزا وتخيرا وأوجبوا تأويله الآيات المتشابهة وسموا هذا توحيدا . (٥)

(١) الضنية والأمل ص ١٠

(٢) انظر الضنية والأمل ص ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠

(٣) الملل والنحل ١ : ٥٧ ، ٥٨

(٤) المرجع السابق ١ : ٥٥

(٥) نفس المرجع ١ : ٤٩

وقد حرص الزمخشري -المعتزلي - على تأويل الآيات الكريمة لتوافق عقيدتهم هذه وكان مندفعاً في الانتصار لذهبه أيها اندفاع • ويبدو ذلك فيما يأتي :

في قوله تعالى : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " (١)

قال : وجه ربك ذاته • والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومسكين

مكة يقولون : أين وجه عيسى كريم ينقذني من الهوان • وقرأ عبد الله

(ذي الجلال) على صفة ربك ، ومعناه الذي يجعله الموحدون عن التشبيه

بخلقه ، أو الذي يقال ما أجلك وأكرمك ، أو من عنده الجلال والإكرام

لالمخلصين من عباده • (٢)

وفي قوله تعالى : " إن الذين يبایعونك إنما يبایعون الله يد الله

فوق أيديهم " • (٣)

قال : أكد المبايعة على طريق التخييل فقال : " يد الله فوق أيديهم "

أيدهم " يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي

المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح ، وعن صفات الأجسام

وإنما المعنى تقرير عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت

بينهما ، كقوله تعالى : " من يطع الرسول فقد أطاع الله " • (٤)

والمراد بيعة الرضوان • (٥)

(١) سورة الرحمن آية ٢٧

(٢) الكشاف ٢ : ٤٢٥

(٣) الفتح آية ١٠

(٤) الكشاف ٢ : ٢٨٣

(٥) النساء آية ٨١

وفي قوله تعالى : " ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر

كيف تعملون " (١)

قال : أي استخلفكم في الأرض بعد القرون التي أهلكتنا لننظر

أتعلمون خيرا أم شرا ، فنعاملكم على حسب عملكم .

فان قلت : كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة ؟

قلت : هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشئ موجودا أشبه

بنظر الناظر وهيان المعايين في تحققه . (٢)

وهل على ذلك ابن المنير بقوله : كنت أحسب أن الزمخشري يقتصم

على انكار رؤية العبد لله تعالى ، فقدم إلى ذلك انكار رؤية الله . (٣)

أي أن الله لا يرى ولا يرى ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

العدل :

ومفهوم هذه القاعدة عندهم ، هو ما يقتضيه العقل من الحكمة ، وهو

إصدار الفعل على وجه المصواب والمصلحة . (٤) ويسمون أصحاب العدل

والتوحيد ، ويلقبون بالتدرية . (٥)

قرروا على أن هذه القاعدة أكثر ما يقرر قاعدة الصفات فقال : ان

البارئ تعالى حكيم عادل ، لا يجوز أن يخلف إليه شروط ظلم ، ولا يجوز

أن يريد بالعباد شيئا خلاف ما يأمر ويحكم عليهم ، ثم يجازيهم

عليه ، فالعبد هو الفاعل للخير والشر ، والايقان والكفر ، والطاعة والمعصية ،

(١) يونس آية ١٤

(٢) الكشاف ١ : ٤١٦

(٣) ابن المنير : للإنتصاف على الكشاف ١ : ٤١٦

(٤) صبحي أحمد : في علم الكلام ص ١٠٩

الشهرستاني : الطلوع والينحلال ١ : ٥٤

وهو العجazy على فعله ، والرّب تعالى أقدره على ذلك كله . (١)

قاله سبحانه عادل ، والظلم ضغى منه ، وهو يريد لعباده خير

ما يكون ، ولا يريد السر ولا يأمر به ، لذلك يعرفون أن الله لم يخلق

أفعال العباد وإنما يحطون أعمالهم أحرارا فيعابون على الخير ، ويحاقبون

على الشر ، فانقبوا بذلك الى نشرة الصلح والصلح : أى أن الله يقصد

من أعماله نفع العباد ويلاهم .

جاء الزمخشري مؤيدا لهذه القاعدة ، فقال فى قوله تعالى : " وعلى

الله قصد السبيل ، ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين " (٢) معناه

ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه ، كقوله : " ان علمنا للهدى "

فان قلت : لم غير أسلوب الكلام فى قوله (ومنها جائز) ؟

قلت : ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ، ولو

كان الأمر كما تزعم المجبرة لقليل : وعلى الله قصد السبيل وعليه جائزها ،

أو وعليه الجائر ، وقرأ عبد الله (ومنكم الجائر) يحضى ومنكم جائز من القصد

بمعنى اختياره ، والله يرى منه ، ولو شاء لهداكم أجمعين قصرا .

وعلق ابن المنير على هذا الرأى بقوله : أين يذهب به من تنمة

الآية ، وذلك قوله تعالى : " ولو شاء لهداكم أجمعين " ولو كان الأمر كما

تزعم القدريّة لكان الكلام : وقد هداكم أجمعين ، وما كأنهم الا يؤمنون

بمعنى الكتاب ويكفرون ببعض ، فان ذهبوا الى تأويل الهداية بالقصر

واللجاء ، فما كأنهم الا يحرفون الكلم عن مواضعه .

(١) الطل والنحل ١ : ٥٨

(٢) سورة النحل آية ٩

(٣) الزمخشري : الكشاف ٢ : ٤٠٣ . وانظر الانتصاف نفس الصفحة .

وفى قوله تعالى : " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " . (١)

قال : اذ عمادة الملوك والجبابرة الا يسألهم من فى مملكتهم عن :

أفعالهم وهما يوردون ويصدرون من تدبير مملكتهم ، تهسيها وجلالا مع .

جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم ، كان ملك الملوك ورب الارباب

وخالقهم ورازقهم أولى يالا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر فى العقول

من أن ما يفعله كله معقول بدواعى الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل

القبائح . (٢)

وعلق ابن الصير على ذلك بقوله : " سحقا لها من لفظة ما أسوأ . . .

ادبها مع الله تعالى ، أعنى قوله دواعى الحكمة فان الدواعى والصورف

انما تستعمل فى حق المحدثين ، كقولك : هو مما توفر دواعى الناس اليه

أو صورفهم عنه . " (٣)

المنزلة بين المنزلتين :

وقد سبقت الإشارة لهذا عند اعتزال واحل لشيخه الحسن البصرى :

وقرر ذلك بقوله : إن الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سعى المرء

مؤمنا ، وهو اسم مدح . والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق

اسم المدح فلا يسمى مؤمنا ، وليس هو بكافر مطلقا أيضا ، لأن الشهادة

وسائر أعمال الخير موجودة فيه ، ولا وجه لانكارها لكنه إذا خرج من الدنيا

على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار بخالد فيها إذ ليس فى الآخرة

(١) الأنبياء آية ٢٣

(٢) الكشاف ٢ : ٥٦٠ ط الحلبي .

(٣) ابن الصير : الانتصاف حاشية على الكشاف ٢ : ٤٣

(١)
 إلا الفريقان ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، لكنه يخفف عنه العذاب
 لم ^{يحظ} ٨ وأصل ^{بموافقة} أهل السنة ، في إشارته لوصف الأيمان ، والفسق

وبذلك اعتبر رأيه خروجاً على رأى الجماعة ، وانشقاقاً وبدعة في القول (٢)
 واعتبر أهل السنة رأيه في مرتكب الكبيرة ميلاً إلى رأى الخوارج ،
 واعتبر هذا الرأى غريباً حين يجعل الفاسق في منزلة بين المؤمن . . .

والكافر ثم يسوى بينه وبين الكافر في خلود العذاب . (٣)

وجاء الزمخشري مؤيداً لرأى المعتزلة بأن الفاسق في منزلة بين
 المنزلتين وعلى هذا الرأى أول بعض الآيات الكريمة ، ففي قوله تعالى :
 " وما يضل به إلا الفاسقين "

قال : الفاسق في الشريعة ، الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة

وهو النازل بين المنزلتين ، أى بين منزلة المؤمن والكافر . (٤)

وفى قوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغييب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم

ينفقون " (٥)

قال : الأيمان الصحيح أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه

بعمله ، فمن أخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادتين

فتمت كافر ، ومن أخل بالعمل فهو فاسق .

وعلق ابن المنير بقوله : إنه أراد بالفاسق غير المؤمن وغير الكافر وهذا

(١) الملل والنحل ١ : ٦١

(٢) فى علم الكلام ص ١٣٢

(٣) المربع السابق ص ١٣٣

(٤) الكشف ١ : ٢٦٧ لظالم الحلبى

(٥) سورة البقرة آية ٣

من الاسماء التى سماها القدرية وما انزل الله بها من سلطان . (١)
 وفى قوله تعالى : " ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا " وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما .
 قال : إن الله ذكر المؤمنين الأبرار ، وذكر الكفار ولم يذكر الفسقة
 لأن الناس حينئذ إما مؤمن تقي ، وإما مشرك ، وإما حدث أصحاب المنزلة
 بين المنزلتين بعد ذلك . (٢)

قوله ، أسئل فى الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين :

قال : ان احدهما مخطئ ، لا بعينه وكذلك قوله فى عثمان - رضى
 الله عنه - وقاتليه وخاذليه . إن أحد الفريقين فاسق وأقل درجات
 الفريقين أنه لا تقبل شهادتهما ، كما لا تقبل شهادة المتلاعنين . (٤)
 ولم يتعرض الزمخشري لهذه القاعدة التى عرضها واحل ولعل ذلك
 يرجع الى اجلاله لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .
 هذه القواعد الأربع هى التى بدأ البحث فيها فى عهد واحل ،
 ثم اخذت الفرقة تبحث فى مسائل مستحدثة مثل : الوعد والوعيد
 والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما اخذت الفرقة نفسها تتفرع الى
 فرق تتفق وتختلف فيما بينها مثل الواعلية والنظامية ، والجاحظية .
 وقد حاول علماء هذه الفرقة الاتصال بالخلفاء ورجال الحكم انتصارا
 لمذهبهم وقد استغلوا هذه الصلة للإنزال بخمومهم الكثير من الضرر

(١) الكشاف ١ : ١٧

(٢) الاسراء آية ٩ - ١٠

(٣) الكشاف ١ : ٥٤١

(٤) الملل والنحل ١ : ٦١

وقد حاول الزمخشري الاتصال بالطبقات الحاكمة ولعله تصور استغلال ذلك في نصرة مذهبه لو تم له ما يريد ، فقد ثبت أنه كان شديد التعصب لمذهبه الاعتزالي حتى روى أنه إذا استأذن على أحد يقول لمن يأخذ له الاذن قل له : أبو القاسم المعتزلي بالبواب . (٢)

وكان اول انتصار لصلتهم باحكام هذه استخدام المأمون في مسألة خلق القرآن اذ كان تلميذا لأبي العذيل العلاف أحد أئمتهم . ولم يغيب عن ذهن الزمخشري هذا الموقف ، فقد وجه تأويله لآية الكريمة في قوله تعالى : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ورب أرني انظر إليك قال لن تراني " . (٣)

فقال : كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك ، وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض الأجرام ، كما خلقه مخطوطا في اللوح ، وروى أن موسى عليه السلام كان يسمح ذلك الكلام من كل جهة . (٤) وهذا تصريح منه بخلق كلام الله جل وعلا .

استمر الاضطهاد الذي وقع على العلماء بسبب هذه الفتنة حتى جاء المتوكل فانتصر لهم ضد المعتزلة . (٥)

فأخذ الاعتزال في الاندثار في الاقطار التي غلب عليها أهل السنة

(١) اسلام بلا مذاهب ص ٢٣١

(٢) الوفيات ٥ : ١٧٠

(٣) الاعراف آية ١٤٣

(٤) الكشاف ط الحلبي ٢ : ١١١

(٥) يوم الاسلام ص ٨٨ - اسلام بلا مذاهب ص ٣٣٧

وخاصة بعد ظهور مذهب الأشاعرة الذي اتخذ موقفا وسطا بين السنة
والمعتزلة . (١)

ولكن أهل خوارزم بقوا على مذهبهم المعتزلى ، وان كان حكامهم
من أهل السنة . (٢)

— منهجهم فى تأكيد مذهبهم المعتزلى :

حاول المعتزلة تأكيد وجهة نظرهم المعتزلية فى بحوثهم العلمية
على مختلف العلوم وهم بموجب مذهبهم يصرفون كثيرا من التعبيرات عن
الحقيقة الى المجاز ، ويظهر هذا جليا عند الزمخشرى فى تفسير كشافه ،
وعند غيره من أعلامهم . فابن جنى مثله - وهو معتزلى - يرى أن قوله
تعالى : " خلق السموات والأرض " (٣) مجاز ، حقيقة ، ولو كان
حقيقة ، مجازا لكان خالقا للكفر والعدوان وغيرهما . (٤)

وكانوا بحكم مواقفهم الجدلية مضطرين ، لانتخاب اللفظ الدقيق ،
والتعبير الجميل فأقبلوا على روائع الكلم يحفظونه ، ويروونه ، ان قرآنا
أو شعرا أو غيرها .

يقول الجاحظ : " . . . وروت المعتزلة عامة الأشعار وكان بشر (٥)

أرواهم للشعر خاصة . (٦)

(١) وفيات الأعيان ١ : ٥٧٨

(٢) منهج الزمخشرى ص ٢٠

(٣) سورة النحل آية ٣

(٤) ابن جنى الحصائص ٢ : ٤٤٩

(٥) بشر بن المعتمر مؤسس فرع بغداد للمذهب المعتزلى ت ٢١٠ هـ

انظر فى علم الكرم ص ٨٤

(٦) الجاحظ : الحيوان ٦ : ٥٠٤

وللنظام أشعار تأخذ بالقلب والسمع، إلى جانب حفظه للقرآن والتوراة

والإنجيل والزيور وتفسيرهما . (١)

ولبشر قصيدة واحدة في أربعين ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين .

المخالفين .

هذا وقد كان الجاحظ كثير الرواية للشعر كما تشهد بذلك كتبه .

وكان من طبيعتهم اذا أقبلوا على دراسة علم ان يعتمدوا فيه على

المهارة العقلية، والرياضة الفكرية، لذا فهم يقدسون العقل .

يقول الجاحظ : وللأمور حكمان حكم ظاهر للحواس، وحكم باطن

للعقول، والعقل هو الحجة . (٢)

ويقول بشر بن الصعتر : (٣)

لله در العقل من رائد وصاحب في العسر واليسر

وحاكم يقضى على غائب قضية الشاهد للأمر

لهذا كان لزاما عليهم أن يجعلوا حول مذاهبهم سورا عقليا يحفظه

من الضياع والهدم، ويتكون هذا السور من الفلسفة واللغة، وقد سبقت

الإشارة إلى الفلسفة بما يكفى دليلا على اهتمامهم بها .

أما اللغة فقد قالوا فيها بحرية الارادة، وساندوا الدعوة إليها ولا شئ

عندهم أُبلغ في اظهار هذه الحرية من الكلمة المعبرة عنها، ومن هنا كان

الانطلاق في التجديد، وبعثه على أصول غير تلك التي ورثوها عن

الجاهليين، فكان لهم الأثر الكبير في القياس في اللغة كما يظهر ذلك في

(١) منهج الزمخشري ص ٧١

(٢) الحيوان ٦ : ٢٩١

(٣) منهج الزمخشري ص ٧٠

قولهم بأن اللغة اصطلاحية من وضع البشر لا توقيفية، وكما يظهر في تحرر الجاحظ وأمثاله من المعتزلة في تشقيقهم الكلام واستعمالهم للمولد من الألفاظ بل الأعجمي، وعلى هذا سار أيضا زعيما مدرسة القياس أبو علي الفارسي، وابن جني .

ويبدو ذلك واضحا في البحوث التي حققها الزمخشري في كتبه وتفريقه بين دلالة الألفاظ عن طريق الحقيقة، ودلالاتها عن طريق المجاز . (١)

كما أن له تأثيره البالغ في بحوثه النحوية واللغوية، والبلاغية في كشافه وتأثير عقليته الاعتزالية في توجيه تفسير كثير من الآيات تأييدا لعقيدته عن طريق التأويلات البعيدة، وأسوق بعض النماذج التي تبين مدى خدمة الزمخشري لمذهبه الاعتزالي في كشافه باستخدامه مقدرته الفائقة في التأويل واعتماده على اللغة فمن ذلك :

- في قوله تعالى : " ونودوا أن تكلم الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون " (٢)
- (٣) قال : بما كنتم تعملون بسبب أعمالكم ، لا بالفضل كما تقول المبطلون .
- وفي التصريح بـ" التحويض، وتسمى بـ" المقابلة . (٤)
- وابن هشام يروي هذا في معنى اللبيب بشأن الباء في قوله تعالى :
- " ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون " (٥) اذ يقول : وإنما لم نقدرها بـ" السببية كما قال المعتزلة . (٦)

(١) سعيد الافغانى : فى أصول النحو ص ٩٣

(٢) الاعراف آية ٤٣

(٣) الكشاف ط الحلبي ١ : ٥٤٩

(٤) الأزهرى : التصريح ١٢ : ٢

(٥) النحل آية ٣٢

(٦) معنى اللبيب على الامير ١ : ٤٧

وفى قوله تعالى : " من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم " (١)

قال : معنى يضلله أى يخذله ، ويخله وضلاله لم يلطف به لأنهم ليس من اهل اللطف .

ويرد ابن الضير بقوله : وعذا من تحريفاته للهداية ، والضلال اتباعا لمعتقده الفاسد فى أن الله تعالى لا يخلق الهدى ولا الضلال ، وانهما من جملة مخلوقات العباد ، وكما يخرق عليه هذه العقيدة فيروم أن يرفحها وقد اتسع الخرق على الراقع . (٢)

وفى قوله تعالى : " سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا " (٣)

قال : فان قلت : كيف جاز له أن يستغفر للكافر ، وان يعده بذلك ؟ قلت : قالوا : اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر والنواهي الشرعية على الكفار ، والمراد اشتراط الايمان . (٤)

ورد ابن المنير : وهذه لمظ من الاعتزال مستطيرة من شرر شر قاعدة الحسين والتقيح ، والحق أن العقل لا مدخل له فى أن يحكم بحكم الله تعالى قبل ورود الشرع به ، ثم يعرف الزمخشري بها ، فانه جعل العقل يسوغ الاستغفار وجعل الشرع مانعا منه ، ولا يتصور هذا على قاعدتهم المهدمة كما لا يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل فى الامهات . نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافه وأما ما يظهر العقل

(١) الانعام آية ٣٩

(٢) الكشاف ١٧ : ٢ ، ١٨

(٣) مريم آية ٤٧

(٤) الكشاف ط الحلبي ٢ : ٥١٢

خلافه فلا . (١)

وفى قوله تعالى : " قال رب أرني أنظر إليك . . . " (٢)

يقول : والتقدير أرني نفسك انظر إليك . . .

فرد عليه ابن المنير : ما أشد ما اضطرب كلامه في هذه الآية ،

لأن غرضه أن يدحض الحق بالضلالة ، ويشين بكفه وجه الغزاة . . .

ويقول : فالحق أن موسى عليه السلام إنما طلب الرؤية لنفسه لحلمه بجواز

ذلك على الله . . . والحديث فى ذلك يطول . (٣)

وفى قوله تعالى : " سبحانه بل عباد مكرمون " (٤)

قال الزمخشري : مقربون عندي مفضلون على سائر عباد الله . . .

فرد ابن المنير : وهذا التفسير من جعل القرآن تبعاً للرأى ، فإنه

لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده ، وليس

غرضنا إلا بيان أنه حمل الآية ما لا تحتطه وتناول منها ما لا تعطيه ،

لأنه ادعى أنهم مكرمون على سائر الخلق لآعلى بعضهم ، فدعواه شاملة

ودليله مطلق . (٥)

— ومن صرفه صفات الله تعالى عن الحقيقة الى المجاز ، جاء في

الكشاف ، فان قلت : ما معنى وعف الله بالرحمة ، ومعناها العطف والحنو

ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها ؟

(١) الانتصاف على الكشاف ط الحلبي ٢ : ٥١٢

(٢) الاعراف آية ١٤٧

(٣) انظر : الانتصاف على الكشاف ط الحلبي ٢ : ١١٢ ، ١١٣

(٤) الانبياء آية ٢٧

(٥) الانتصاف ٢ : ٥٦٩

قلت : هو مجاز عن انعامه على عباده ، لأن الملك اذا عطف على
رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وانعامه . (١)

واستناد الى قاعدة أن الرب منزه أن يضاف اليه شر وظلم ، وكفر
ومعصية صرف الزمخشري الآيات التي فيها اسناد الاغواء الى الله تعالى
ونحو ذلك الى المجاز وعمد الى التأويل ، مثل ما جاء في قوله تعالى :
" ختم الله على قلوبهم . . . " (٢)

قال : فان قلت : فلم أسند الختم الى الله تعالى ، واسناده الية

يدل على المنع من قبول الحق ؟

قلت : القصد الى صفة القلوب .

فعلق امين المنير على هذا بقوله : هذا أول عشواء خبطها في مهواة
من الأهواء . (٣)

وذهب الزمخشري الى أن الاسم يختلف عن المسمى ، لا كما يقول

أهل السنة بأنه عين المسمى .

جاء في الكشاف في قوله تعالى : " وعلم آدم الاسماء كلها . (٤) .

أى اسماء المسميات ، فحذف المضاف اليه لكونه معلوما . (٥)

وجاء في التصريح : اختلفوا في الاسم والمسمى ، أهل عما متخايران

أولا ؟
فالأول رأى المعتزلة والثانى قول الأشعري وهو مذهب أهل السنة

(١) الكشاف ط الحلبي ١ : ٣٦

(٢) البقرة آية ٧

(٣) الكشاف ط الحلبي ١ : ١٢١

(٤) البقرة آية ٣١

(٥) الكشاف الحلبي ١ : ٢١٠

ثم قال الازهرى : والتحقيق أن الخلاف لفظى ، وذلك أن الاسم اذا أُريد به اللفظ فغير المسمى ، وان أُريد به ذات الشئ فهو عينه . (١)
 هذا ولم يكن الزمخشري مقلداً فى مذهبه الكلامى بل كان له اجتهاده فى محيط هذا المذهب ، على أساس فهمه للنص .
 فقد خرج على المعتزلة فى تفسير قوله تعالى : " قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم " (٢)

قال الزمخشري : الشئ أعم الهام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه ، فيقع على القديم والجرم ، والحرنز ، والمحال . ولذلك صح أن فى الله عز وجل شئ لا كالأشياء .

قال ابن المنير : وتفسيره الشئ يخالف الفريقين ، الأشعرية فانهم فسروه بالموجود ليس إلا ، والمعتزلة فانهم قالوا : المعلوم الذى يصح وجوده فانفقوا على خروج المستحيل . (٣)

الزمخشري والمذاهب الأخرى :

سبق القول بأن الزمخشري كان معتزلياً مجاهراً بعقيدته ومذهبه متعصباً لهما فكان له بذلك امداءٌ كثيرون من الفرق الأخرى ولكنه لم يهادن أحداً منهم بل كان صريحاً كل الصراحة فى مجابتهم فانكر ما يعتقد بطلانه من آرائهم وهاجم كل من كان فى عصره من الفرق الإسلامية

(١) الانعام آية ١٩
 (١) الازهرى : شرح التصريح ٧ : ١
 (٢) الأنعام آية ١٩
 (٣) الكشاف وهامشه ط الحلبي ٩ : ٢

الأخرى ، والميك نماذج من ذلك في ايجاز :

المصحلة : قال في مقدمة كتابه ربيع الأبرار : " . . . والمصلاة

والسجود على النبي المرسل رحمة للعالمين ، المنبثت قدوة للعالمين ،

أد دعوى بآياته حجج المبطلين ، ومحق بمعجزاته شبه المصطلين " . (١)

الحشوية المجبرة : في تفسير قوله تعالى " ولقد كرّمنا بني آدم وحطناهم

في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً " (٢)

قال : على كثير من خلقنا ، هو ما سوى المرسلين ، وحسب بني

آدم تفضيلاً أن ترفع عليهم الملائكة ، وهم هم ، ومنزلتهم عند الله منزلتهم .

والعجب من المجبر كيف عكسوا في كل شيء ، وكابروا حتى جهّروهم

عادة المكابر على العظمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك بما

سمعوا تفضيح الله أمرهم ، وتكثيرهم من التعظيم لذكورهم ، وعلموا أين أسكنهم

وأنى قرّبهم ، وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم . . . ثم قال :

فانظر الى تعلمهم وتشبهتهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الله العظمى ،

كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط ، فظنك لفة

السخيمة لا تنحل من قلوبهم . (٣)

وهاجم المجبرة مرة أخرى في تفسير قوله تعالى : " وتلن حاش

الله ما هذا بشرا ان هذا الاّ ولك كريم " . (٤)

يقول : كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الجن

الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجورة من تفضيل

(١) ربيع الأبرار ١ : ٢٥

(٢) سورة الإسراء آية ٧٠

(٣) الكشاف ٢ : ٤٥٩

(٤) سورة يوسف آية ٢١

الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب . (١)

المتصوفة : في تفسير قوله تعالى : " من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه . . . " (٢)

ساق بعد أن فسر هذه الآية قوله : وأما ما يعتقدُه أَجْهَلُ الناس وأعداهم للعلم وأهلُه . . . وهم الفرقة المفتعلة من الصوف ، وما يدينون به من المحبة والعشق ، والتفنى على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الخزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنهنل سمحة موسى عند ذلك الطور . . . (٣)

وعند تفسير قوله تعالى : " ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق . . . " (٤)

يقول : ومن بدع المتصوفة : الرعد صعقات الملائكة ، والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاء وهم . . . (٥)

أهل السنة : كان كثير التناول عليهم ، ويحتد في النيل منهم وكان يظهر تعصبه ضد أعلام السنة كقوله : زعم ابن قتيبة كذا وكذا ، أما إذا تعرض لأعلام المعتزلة فهو يثنى عليهم كقوله في عمرو بن عبيد : فله دره أسدا فراسا كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع أهل

(١) الكشاف الحلبي ٢ : ٢١٧

(٢) المائدة آية ٤ هـ

(٣) الكشاف الحلبي ١ : ٦٢١

(٤) الرعد آية ١٣

(٥) الكشاف الحلبي ٢ : ٣٥٣

الأهواء والبعد باحتجاجه • (١)

وفى تفسير قوله تعالى : " قال رب أرني أنظر اليك ، قال لن تراني

ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ••• (٢)

يقول : ولا بغرنك تسترهم بالبلكفة غانه من منهوبات أشياخهم والقول

ما قاله بعض العدليين فيهم : (٣)

لجماعة سماوا هواهم سنة وجماعة حمر لعمرى موكفة

قد شبهوه بخلقه وتخوفرا شح الورى فتستروا بالبلكفة

ولم يفض غذا دون / أهل السنة ، ومنهم القاضى أبو بكر السكونى

مفندا أقوالهم • (٤)

وكان الزمخشري فى نقده إياهم : يقول : امش فى دينك

تحت راية السلطان - يحنى العقل - ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان ،

فما الأسد المحتجب فى عرينه أعز من الرجل المحتج على قرينه وما العنز

الجرياء تحت الشمأل البليل أذل من المقلد عند صاحب الدليل • (٥)

ويقول : وجامع الروايات الكثيرة ولا حجة عنده مقوية أو قرظ ظهره

بالحطب وأفقل زنده • (٦)

وتعريض الزمخشري هكذا بأهل السنة ، واتهامه إياهم بالتقليد وسماع

الرواية دون تثبت ، اتهام قديم عرف به المعتزلة ، وكان يسمون أهل السنة

(١) البلاغة القرآنية ص ٣٢

(٢) الاعراف آية ١٤٣

(٣) ابو حيان : البحر المحيط ٤ : ٣٨٥

(٤) المرجع السابق

(٥) البلاغة القرآنية ص ٣٢

(٦) المرجع السابق

بالحوام الذين لانا سر لهم .

فقد ذكروا أن عند الدولة لاحظوا خلو مجلسه من أهل السنة .

فقال : هذا مجلس عام بالعلماء ، ألا أنى لأرى فيه واحدا من أهل

الإثبات ، والحديث ، أما لهؤلاء المثبتة من ناصر ؟ فقال القاسمى ابن

بشر بن الحسين وكان من شياطين المعتزلة : ليس لهم ناصر ، وإنما عامة

أصحاب تقليد ورواية ، يروون الخبر وضده ويعتقدونهما جميعا لا يعرفون

النظر والمعتزلة فرسان الجدل والمناظرة . (١)

والواقع أن هذه تهمة لا دليل عليها فكثير من علماء الأشاعرة ،

والماتريدية أقدر على مقارعة الحجة من علماء المعتزلة ، ولهم منهجهم فى

البحث والمناظرة . وليس الفكر الإسلامى فى هذا المجال نتاجا للفكر

الاعتزالى ، وإنما هو نتاج كل تلك الفرق السابق ذكرها . (٢)

(١) البلاغة القرآنية ص ٣٢

(٢) لمعرفة جهود أهل السنة فى الفكر الإسلامى ، ينظر :

الفرق للبغدادى ، ومقالات الإسلاميين للأشعرى ، والملل والنحل للشهرستانى . . . وغيرها .

الفصل الثالث

الزه مشـرى
علمه و منزلته

بين

العالماء و الحـكام

أول ما يظالعلنا عن تعليم الزمخشري أنه تلقاه عن والده ، (١)
ثم أخذ يتنقل في حياته الأولى تلميذاً على شيوخ خوارزم ولما اشتد عوده
رحل إلى بخارى . (٢)

شغل الفتى منذ نعومة أظفاره بالعلم ، ووصل فيه ليله بنهاره
وليس غريباً أن ينصرف عن شواغل الدنيا إلى تحصيل العلم ، فقد أخلص
في الطلب وذاق حلاوته ، فتمت عنده ملكة البحث ، وبرز في علوم شتى ،
فهو إمام في التفسير يعد من المفسرين الممتازين ، ونحوى بارز الرأي
والاجتهاد ، هذا فضلاً عن أصالته وفضله في علم البيان واللغة والأدب
شعره ونثره ، لذلك وصف بالعدد من النعوت العلمية التي شاركتها
حياته ، كقولهم : العلامة وعلامة الدنيا ، والإمام وإمام وقته ، وإمام عصره
وفريد عصره ووحيد دهره ، وفخر خوارزم ورأس الأفاضل .
وكان كثير المطالعة للكتب ، دقيق المراجعة للمسائل فحوصل إلى ذروة
العلوم التي درسها ، وغزارة مؤلفاته المتشعبة الجوانب تدلنا على مدى علمه
واطلاعه .

لقد وفي العلم حقه ومنحه إخلاصه فأثنى عليه العلماء ، فقال عنه ياقوت :
" كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب وأصح العلم كبير الفضل متقناً
في علوم شتى " . (٣)

(١) مناقب العشرة المبشرين بالجنة المحقق ص ١٠

(٢) منهج الزمخشري ص ٢٧ - الزمخشري ص ٤٩

(٣) معجم الأدباء ١٩٤ : ١٢٦

وقال ابن خلكان : " كان امام عصره من غير منازع تشدّد إليه الرحال
في فنونه " . (١)

وفي الشذرات : " هو ابو القايم الزمخشري النحوي اللشوي ،
المفسر صاحب الكشاف والمفعل " . . . (٢)

ويذكر المقزويني انه كان بالغا في علم العربية وعلم البيان وله تصانيف حسنة
ليس لأحد مثلها في فصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني ، مع إيجاز في اللفظ
حتى لو أن أحدا أراد أن ينقص من كلامه حرفا أو يزيد فيه حرفا لبان
الخلل ، وانه كان من أهل العلم والفضل . (٣)

شيوخ الزمخشري :

ذكرت كتب المراجع العديد من شيوخ الزمخشري فمن هؤلاء الشيوخ

— ابن البطر نصر بن احمد بن عبدالله :

قال عنه صاحب (تاج العروس) تفرد في وقته ورحل إليه الناس ،
روى عنه ابو طاهر السلفي وأبو الفتح ابن البطي ، وشهادة الكاتبة

(ت ٤٩٤ هـ) . (٤)

— قاضي القضاة أبو عبدالله محمد بن علي الدامخاني :

ولي القضاة ببغداد مدة وكان فقيها فاضلا محنفي المذهب ،

التقى به الزمخشري في بغداد (ت ٤٩٨ هـ) . (٥)

(١) الوفيات ٢ : ١٠٧

(٢) الشذرات : ٤ : ١١٨

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٣٣

(٤) تاج العروس مادة بطر

(٥) الوفيات ٢ : ١٠٧

— وأبو مضر محمود بن جرير الضبي الإسبهباني : (١)

بهذا الاسم ذكره : ياقوت والداودي ، وابن خلكان والذهبي والسيوطي ، وابن شغرى بردى ، والزركلى ، وقد خلفهم فى هذا كل من : ابن العماد ، والانبارى فقد ذكراه بأبى مضر منصور ولعل ذلك تحريف من أحد النساخ أو خطأ مطبعى . (٢)

وكان أبو مضر يلقب بفريد العصور . ويذكر أنه كان وحيد دهره فى علم اللغة ، والنحو ويضرب به المثل فى أنواع الفضائل . أقام فى خوارزم مدة انتفع به وبعلمه الناس ، فتخرج على يديه جماعة من كبار العلماء فى اللغة والنحو منهم الزمخشري .

وقيل انه هو الذى أدخل الى خوارزم مذهب الاعتزال ولكن سبق القول بأن هذا المذهب دخل الأقاليم الشرقية مبكرا فخلعه كان مجددا وباعثا للنشاط الاعتزالى .

كان لأبى مضر أعظم الأثر فى نفس الزمخشري ، وهو مع علمه الخبير لم يعرف له مصنف مذكور إلا كتاب يشتمل على نثف وأشعار وحكايات وأخبار سماه زاد الراكب) . (٣) (ت ٥٠٧هـ) ورثاه الزمخشري شعرا . (٤)

— وأبى بكر عبدالله بن طلحة بن محمد اليبيرى الأندلسي : من أهل يابرة من بلاد الاندلس ، نحوى ، اصولى ، فقيه ، روى عن

-
- (١) معجم الأدباء ١٩ : ١٢٧ — طبقات المفسرين ٢ : ٣١٤ — الوفيات ٥ : ١٦٨
النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ — ٥٥٨
(٢) الشذرات ٤ : ١١٨ — نزهة الألباء ص ٢٩٠
(٣) معجم الادباء ١٩ : ١٢٧
(٤) النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ — نزهة الالباء ص ٢٩٠ معجم الادباء ١٩ : ١٢٧

عن أبي الوليد الهاجى ، وشرح رسالة أبي زيد ، ورد على ابن حزم ،

قرأ عليه الزمخشري كتاب سيبويه بمكة المكرمة . (ت ٥١٨ هـ) . (١)

— أبو منصور ، موهوب بن أبى طاهر الجواليقى :

كان إماما في فنون الأدب ، درّس في المدرسة النظامية بعد الخطيب

التبريزى ، وهو في اللغة أمثل منه في النحو ، وكان متواضعا من أهل

السنة .

قرأ على الخطيب التبريزى ، وكتب بخطه كثيرا من كتب الحديث

والأدب وكان يعلّم بالمقتضى لأمر الله لديانته وطهارته .

قرأ عليه الزمخشري بعض كتب اللغة والأدب .

وله من الكتب : كتاب الفروض ، وكتاب المختار في بعض مسائل النحو

وشرح أدب الكاتب والمعرب من الكلام الأعجمى ، والتكملة فيما يلحن

فيه العامة ، أكمل به درة الخواص للحريرى . (ت ٥٣٩ هـ) (٢)

— وابن الشجرى منبىة الله أبو السعادات :

ينتهى نسبه الى على بن أبى طالب وكان فرد زمانه في العلوم

العربية وعلم النحو سبعين عاما .

له من المؤلفات : الأمالى ، والانتصار^{على} لابن الخشاب والحماسة

ضاهى بها حماسة أبى تمام ، وكتاب ما اختلف لفظه واتفق معناه ، وشرح

كتاب اللصعوى (التمهيد الملوكى) وهما لابن جنى وله غير ذلك من الكتب

(٣) . (٥٤٢ هـ)

٣١ : ١

(١) بغية الوعاة ٢ : ٢٨٤ — البحر المحيط ٤ : ٣٧٢ — طبقات المفسرين :

(٢) الانباه ٣ : ٢٧٠ — بغية الوعاة ٢ : ٤٠١ — الفيروز ابادى : البلغة ص ٢٧

(٣) نزهة الألباء ص ٤٧٠ — الزمخشري ص ٥٠

— وابن وهاس : ابو الحسين على بن عيسى :

كان شريفا جليلا من أهل مكة وشرفائها ، وامرائها ، وكان ذا فضل وعلم غزير ، وله تمانيف مفيدة في النظم والنثر .

لقى الزمخشري منه ترحيبا وحفاوة ورعاية وكراما مدة جواره وأخذ
(١)
عنه الزمخشري كما أخذ هو عن الزمخشري ، وقال كل منهما شعرا في الآخر .
توفى ابن وهاس في أول ولاية الأمير عيسى بن خليفة ، أمير مكة سنة
نيف وخمسين وخمسائة ، وكان الناس يقولون : ما جمع الله لنا بين ولاية
عيسى وبقا على بن عيسى . (٢)

— وابو الحسن على بن المظفر النيسابوري :

ذكره بهذا الاسم معجم الادباء ، وتاج العروس ، وطبقات المفسرين
لداودي . (٣)

وقال ياقوت : كان ابو الحسن كاتباً شاعراً موهوباً ، موهباً لأهل
خوارزم وهو شيخ الزمخشري قبل أبي مضر ، وله مؤلفات منها : تهذيب
ديوان الأدب وتهذيب اصلاح المنطق ، ومحاسن من اسمه الحسن وزيادات
أخبار خوارزم وديوان شعر ، وديوان رسائل . (٤)

اراد الدكتور الحوفي أن يصحح هذا الاسم إذ لم يوجد له ترجمة
فاعتقد أنه خطأ وأن الصواب هو : أبو على الحسن بن المظفر ولهذا

(١) النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ — الزمخشري شاعرا ص ١

(٢) معجم الادباء ٤ : ٥٨

(٣) المرجع السابق ١٩٨ : ١٢٧ — تاج العروس مادة زمخشري

(٤) معجم الادباء ١٩ : ١٢٧

ولهذا الاسم ترجمة في معجم الأدباء ٩ : ١٩١ أما الاسم الاول - ابو الحسن علي فيوجد عنه حديث ضمن ترجمة الزمخشري في معجم الأدباء ١٩ : ١٢٧ ، ولكنه لم يذكر له تاريخ وفاة .

وما ذهب اليه الحوفي بأن أبا علي الحسن هو شيخ الزمخشري فهو بجانبه الصواب ، فقد توفي سنة ٤٤٢ هـ والزمخشري ولد ٤٦٧ هـ فمحال أن يكون الحسن شيخا للزمخشري على ذلك .

والذي كتبه ياقوت في تلك الصفحة والجزء : مات ابو علي الحسن بن

المظفر الأديب الضرير النيسابوري ثم الخوارزمي في الرابع والحشرين من شهر رمضان سنة ٤٤٢ هـ وهو شيخ أبي القاسم الزمخشري قبل أبي مضر

وله نظم ونثر . (١)

ولعل علي هذا هو ابن الحسن المذكور بياقوت ٩ : ١٩١ وبذلك

تتفق حياته مع وجود الزمخشري .

- والامام ركن الدين محمود الاصولي :

أخذ من الزمخشري وأعطاه ، فهو شيخ للزمخشري وتلميذ له ، فكان الاصولي يقرأ عليه علم التفسير ويأخذ منه الزمخشري علم الاصول . (٢)

- وابو منصور نصر الحارثي :

ذكره السيوطي في بغية الوعاة . (٣)

- وابو سعد الشقاني نسبة الى شقان من قرى نيسابور . (٤)

(١) معجم الأدباء ٩ : ١٩١

(٢) الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري ص ٢٠

(٣) تاج العروس ١١ : ٤٤٩ - بغية الوعاة ٢ : ٣٨٨

(٤) معجم الادباء ١٩ : ١٢٧ - طبقات المفسرين للداودي ٢ : ٣١٤

تلاميذ الزمخشري

كان للزمخشري حظ وافر في الأخذ عنه في كل مكان حل به ،
حتى يمكن أن نطلق عليه مدرسة متنقلة كانت تعلم مختلف العلوم الانسانية
يقول القفطي : ما أدخل بلدًا إلا واجتمعوا عليه ، وتلمذوا له ،
واستفادوا منه (١)

كان لهذه المدرسة الكثير من التلاميذ المجتهدين الذين يكون
لها كل اخلاص وقد أثبت كتاب التراجم الكثير من تلاميذ الزمخشري الفواعل
وهريديه الذين وصلت اليها أخبارهم ، أو غيرها ممن لم يبلغوا هذه الدرجة
العلمية ، أما الذين وصلت أخبارهم اليها من تلاميذه ، أو من روا عنه أو
استجازوه فهم النزر اليسير ، فمن تلاميذه :

— محمد بن أبي القاسم بن بايجوك البقالي الخوارزمي :

ذكر أنه كان اثنى عشرًا في الأدب ، وحجة في لسان العرب (٢)

أخذ عن الزمخشري اللغة والنحو وسمع منه الحديث ، وجلس بعده في

مجلسه للدرس . (٣)
وكان كثير الفوائد عزيز الجانب كريم النفس نزيه الخلق لا يدخل

فيما لا يعنيه وله في نقد الشعر جهد . (٤)

له من التصانيف : مفتاح التنزيل وتقويم اللسان في النحو والاعجاب
في الاعراب والبداية في المعاني وانبيان مميزات العرب وميادها وشرح

(١) الانباه ٣ : ٢٧٠

(٢) بغية الوعاة ٢ : ٩٢

(٣) طبقات النحاة لابن قاضي شهبة ص ٢٣١ — بغية الوعاة ٢ : ٩٢

(٤) المرجع السابق

أسماء الله تعالى ، والتراجم بلسان الأعاجم ، والتفسير والفتاوى والتنبية
على إعجاز القرآن . (١) (ت ٥٦٢ هـ)

— والموفق بن احمد بن ابي سعيد اسحق ابو المؤيد المعروف
باختاب خوارزم :

كان متمكنا في العربية غزير العلم ، فقيها فاضلا ، أدبيا شاعرا ،

قرأ على الزمخشري وله خطب وشعر ، (ت ٥٦٨ هـ) . (٢)

أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن هارون العمراني الخوارزمي
الموصوف بحجة الأفاضل ، وفخر المشايخ .

قرأ على الزمخشري فسار أكبر اصحابه وأوفرهم حظا من علومه المتشعبة

وكان ولوعا بالسمع والكتابة وجعل في آخر عمره أيامه متمورة على نشر العلم

وإفادة طالبه ، ففزع الناس إليه في حل المشكلات ، وكان علما في الدين

والملاح ، زاهدا ، يقول عنه صاحب تاريخ خوارزم : " العمراني حجة

الأفاضل ، سيد الأدباء ، قدوة المشايخ ، المحيط بأسرار الادب ، المطلع

على غوامض كلام العرب " . (٣)

(٤)

• له في التفسير واشتقاق الاسماء ، والمواضع والبلدان ، (ت ٥٦٨ هـ) .

— المطرزي ناصر بن عبد السيد بن علي :

فقيه نحوي أديب ، حنفي المذهب . كانت له معرفة تامة بهذه العلوم

(١) الأعلام ٧ : ٢٢٧ — بغية الوعاة ٢ : ٩٢

(٢) بغية الوعاة ٢ : ٣٠٨

(٣) معجم الأدباء ١٥ : ٦١ — بغية الوعاة ١ : ٣٥٠

(٤) بغية الوعاة ١ : ٣٥٠ — منهج الزمخشري ص ٤٦٤

- ويقال إنه كان بخوارزم خليفة الزمخشري . (١)
- له من المصنفات : شرح مقامات الحريري ، والمعرب في لغة الفقه ،
والمعرب في شرح المعرب ، والاقناع في اللغة ومختصر المصباح في النحو
ومختصر الاصلاح لابن السكيت ، (ت ٦١٠ هـ) . (٢)
- على — بالتصغير — بن حمزة بن وهاس :
- قرأ على الزمخشري بمكة وقد سبق الحديث عنه شيخا وتلميذا
للزمخشري .

- ركن الدين محمود الاصولي :
- تلميذ وشيخ للزمخشري ، وقد سبق الحديث عنه في شيوخه . (٣)
- أبو عمرو عامر بن الحسن السمسار بزمخشري :
- ذكر بعض كتاب التراجم أنه ابن اخت الزمخشري . (٤)
- وأبو المحاسن اسماعيل بن عبد الله الطويلي . (٥)
- وأبو يوسف يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي :
- أحد الأئمة في النحو والأدب ، لم يكتف بالأخذ عن الزمخشري بل
طالت ملازمته إياه . (٦)

- وأبو طاهر سامان بن عبد الملك الفقيه بخوارزم . (٧)
- وأبو سعيد أحمد بن محمود الشاتي بسمرقند . (٨)
- (١) بخية الوعاة ٢ : ٣١١ — التبريج على التوضيح ١ : ٢٤٢
- (٢) تاج العروس مادة (طرز)
- (٣) الدراسات اللغوية والنحوية ص ١٩
- (٤) منهج الزمخشري ص ٤٦
- (٥) الدراسات اللغوية والنحوية ص ١٩
- (٦) معجم الادباء ٢٠ : ٥٥
- (٧) الدراسات اللغوية والنحوية ص ١٩ — منهج الزمخشري ص ٤٦
- (٨) المرجعان السابقان

— وابو المحاسن عبد الرحيم بن عبدالله البزار بابيورد . (١)

— ويعقوب بن شيرين : وهو الذى رضى الزمخشري عند وفاته وقد سبق
الحديث عنه عند الكلام عن وفاة الزمخشري .

اجازاته

الب الاجازة من الزمخشري جماعة من العلماء منهم :

— الحافظ أحمد بن محمد السلفى :

كتب اليه من الاسكندرية يستجيزه فى مسوعاته ، ومصنفاته وكان

الزمخشري حينئذ مجاورا بمكة ، فرد عليه ردا لا يشفى غليله فلما كان العام

الثانى كتب اليه مع الحجاج استجازة أخرى بين فيها مقصوده وطلب منه

فى آخرها ان لا يحوجه الى المراجعة لبعد المسافة فكتب اليه الزمخشري

يتواضع ويتماغر ، ولم يصرح له بالاجازة ويقول ابن خلكان : " وما أعلم هل

أجازه بعد ذلك أو لا ؟ " (٢)

وينقل السامرائى نص اجازة الزمخشري له بعد أن تأبى عليه قبل ذلك

ومنها : " وقد أجزت له أن يروى عنى تصانيفى ٠٠٠ وأنا محمود بن عمر

بن محمد . بن أحمد الخوارزمى ثم الزمخشري ومنسوب إلى قرية هى مسقط

رأسى " (٢) .

وكان السلفى من الحفاظ الكثيرين ارتحل فى طلب الحديث ، وطاف

(١) الدراسات اللغوية والنحوية ص ١٩

(٢)

معجم الادب ١٩ : ١٢٢ — الوفيات ٥ : ١٧٠ — الشذرات ٤ : ١٢٠

(٣) الدراسات اللغوية والنحوية ص ٢٢

بالبلاد ، والتقى بافاضل العلماء ، فروى عن ابى محمد جعفر بن السراج وغيره من الائمة ، وتوجه اليه الناس ليفيدوا منه علما ، فسمعوا منه وانتفعوا

به ، ولم يكن آخر حياته من يعدله علما ، (ت ٥٧٦ هـ) . (١)

— زينب بنت الشعرى : وهى حرة بنت أبى القاسم (أم المؤيد) أصلها

من جرجان وتسكن نيسابور ، وكان والدها يحرف بالشعرى . وكانت عالمة أدركت

صناعة من أعيان العلماء ، وأخذت عنهم رواية وإجازة ، فأجاز لها غير

الزمخشرى ، الحافظ ابو الحسن عبدالخاغر بن اسماعيل ، وأجازت هى لابن

خلكان ، (ت ٦١٥ هـ) . (٢)

— رشيد الدين الوطواط : محمد بن محمد بن عبدالجليل طلب

من الزمخشرى إجازة يكتبها بخط يده لتكون شرفا يدوم له مدى الدهر . (٣)

(١) الوفيات ١ : ٣٧

(٢) الاعلام ٤ : ٣١ - الوفيات ٥ : ١٧١

(٣) معجم الادباء ١٩ : ٢٩ - البغية ١ : ٢٢٦

بين العلماء والحكام

لما اشتد عود الزمخشري ، تطلعت نفسه إلى ما عليه العلماء المشهورون في زمانه من مكانة اجتماعية مرموقة وما هم عليه من صلة بالأمراء والحكام ، ونوال جوائزهم فانخرط في سلك ذلك المجتمع ، وجعل يوطد علاقاته بتلك الطبقات العلمية والاجتماعية ، فكان بينه وبين العلماء والأدباء مناظرات علمية ومنافسات للوصول إلى غايته .

لقد بزز العلماء في كثير من النواحي ولكن ناحية واحدة أخفق فيها وهي نوال غايته من الأمراء فهو يرى نفسه في مكانة لا تليق به ويعلمه ، فألح في الشكوى ولم يفلح في الوصول إلى ما تطمح إليه نفسه ، ولعل ذلك راجع إلى كيد العلماء له عند الأمراء والوزراء .

من أجل ذلك شدد هجومه على العلماء وذكر نفاقهم للأمراء السوفقال :

" ما للعلماء سوء جمعوا عزائم الشرع ودونوها ، شرخصوا فيها للأمراء السوء وهونوها . أكمام واسعة فيها أصلال لا سعة ، وأقلام كأنها أزلام " . (١)

وهذه الفترة التي طلحت نفسه فيها لأن يبزز العلماء ويكتسب الجوائز

كانت فترة الشباب حتى إذا ما انتقلت بمرضته المنذرة والتي عاهد فيها نفسه ألا يطأ عتبة سلطان كانه بذلك أفاق من غيبوبته .

لقد أفاق من غمرة الشباب ، وبدأ يبني مجدا علميا بديلا عن المجد المادي وأخذ يصلح ما بينه وبين أهل العلم فارتفعت مكانته بين العلماء ، وذاع صيته في الآفاق والتقى بجلتهم في ذلك الحين فقد التقى بالشيخ الشريف

ابى السعادات هبة الله بن الشجرى فى بغداد اذ كان الزمخشرى فى طريقه الى الحج فجاهه ابن الشجرى . مهثما فلما جالسه مدحه الشريف متمثلا : (

كانت مسالة الركبان تخبرنى عن أحمد بن دواد أطييب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى
فلما فرغ الشريف شكره الزمخشرى وعظمه وتصاغر له ، ثم قال له : إن
زيد الخيل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحين بصر بالنبي رفع
صوته بالشهادتين ، فقال له الرسول الكريم : يا زيد الخيل كل رجل وصف لى
وجدته دون الصفة إلا أنت فانك ذوق ما وصفت وكذلك الشريف ودعى له وأثنى
عليه . (٢)

وتبادل الزمخشرى مع ابن وهاس الود والصفاء وتبادل المدح وومما

قاله الزمخشرى فى ابن وهاس : (٢)

معاليك والسبح الطبايق سوا معالى الورى أرض وهين سما
ومدح ابن وهاس الزمخشرى بشعر نوه فيه بحلمه وفضله وذكر أنه أبعد صيته
خوارزم . (٤)

والزمخشرى لا يخفى إعجابه بالعلماء السابقين عليه بقدم ثابتة فى علم

ما فهو يشير فى مقدمة كتابه (المستقصى فى الامثال) الى الميدانى بالحالم
المنصف وينتظر حكمه على كتابه لأن الميدانى أرسخ قدما فى هذا المجال . (٥)

(١) معجم الادباء ١٩ : ١٢٧ - نزهة الألباء ص ١٦١ - الشذرات ٤ : ١٣٢

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٢

(٣) منهج الزمخشرى ص ٤١

(٤) البلاغة القرآنية ص ٤١

(٥) المستقصى فى الامثال مقدمة المؤلف ٥

وكان يطلق على محمود بن عبدالعزيز العارضى (الجاحظ الثانى)

لكثرة حفظه وفصاحة لفظه . (١)

وهو لا يهضم حق عالم أخذ عنه علما ممن سبقوه ، وتفسيره مشحون بأسماء

أعلام العلماء وأسماء شيوخه من المعتزلة ، كما يذكر أعيان النحاة والبلاغيين ،

وكل من أخذ من تراثهم فى مختلف مؤلفاته ولو أردنا أن نسرده أسماءهم لطال الأمر

قدم الزمخشري على أبى الفضل أحمد بن محمد الميدانى النيسابورى ،

فذكر فى كتابه (الهادى للشادى) فأنكر عليه تسمية الكتاب بهذا الاسم ،

وقال له : كيف سميت هذا الكتاب مع نفاسته وغموض معانيه ودقتها بهذا

الاسم ؟ فان الشادى من أخذ طرفا من العلم وهذا الكتاب لا يليق إلا بمن كان

منتهيا لامبتدئا .

ولما فارقه إلى خوارزم عمد إلى بعض كتبه فزاد على اسم الميدانى نونا قبل

الميم ، فصارت (النמידانى) ومعناها : الذى لا يعرف .

فلما فارقه نظر الميدانى فى الكتاب فشق عليه ذلك فمتتبع بعض كتب

الزمخشري فخير الميم من الزمخشري نونا فصارت (الزنخشري) ومعناها كما

يروى القفطى بالفارسية (بائع زوجته) ، ويذكر الأتبارى فى نزهة الألباء ان لها

معنى آخر قبيحا (٠٠٠) فلما وقف الزمخشري على ذلك كتب الى الميدانى

واعذرا ليه من ذلك فكتب إليه : " اذا رجعت رجعتنا وقبلنا عذرك " (٢)

وهذا يبين ان للزمخشري مواقف جد مع العلماء فان له مواقف مرح

وملاطفة ولكنها قد تجر عليه غضبهم كما بدا فى هذه اللطيفة .

(١) البغية الوعاة ٢ : ٣٨٨

(٢) نزهة الألباء ص ٢٨٨

أما الأمراء فلم يكن أسعد حظا معهم من العلماء فقد أجهد نفسه في رفع عقبرته بمدحهم منذ لقائه بنظام الملك مع شيخه أبي مضر، ولعل الذي داعب خياله منذ الوهلة الأولى نحو الوصول إلى منصب يليق بخزارة علمه وعلو همته، فهو يمدح نظام الملك ويتشكى إليه حين يرى أن من دونه قد تصدروا ورفقوا في المناصب ولم يحظ هو بطائل فهو يخاطبه في قصيدة طويلة منها :

وكم قلت ألقى في وزارتك المنى وأدراك، وحدي ما ارتجى كل أمل
ولم أدرك أن الإردنيين يرون ما تمنوا وأنى لست أحظى بطائل
وامتدح (هوئيد الملك) بن نظام الملك، وكان بليغا في النظم والنثر،

امتدحه الزمخشري والأمل يراوده في المنصب . (١)

ولما وجد أن التلميح لا يغنى عن التصريح أخذ يعدد مآثر نفسه فيجهر بعلمه وفضله ويعرض مآثر لقاته التي يعجز عن مثلها أساطين العلماء، فقد مدح مجير الدولة أبا الفتح علي بن الحسين الإردستاني الذي أصبح كاتباً للرسائل فهو يعرض، كتبه عليه عله بذلك ينال آماله فيقول : (٢)

وأصبحت كالمقصوس ريش، جناحه أنور بركن كلما كنت جانح
نظاسي آمال عرائس، وجابر لكسر مهيضات الخطوب الفوادح

x x x

وفي شرح أبيات الكتاب لبعضهم ما يرى في صفاتي مجملا غير شارح
وأنموذجا أنفذت منه يضمه رجائي أرى فيه وجوه المناجح
أراقب عن عين الوزير اطلاعاه عليه وحسبى منه لمحة لامح

(١) منهج الزمخشري ص ٣٣

(٢) المرجع السابق ص ٤١١

وكان أحيانا يمدح الأمير أو الوزير من أجل عمل صالح يخدم الإسلام
ولا يسأله مناصبا أو جاهها في دولته ، ولعله وطد نفسه على الاحتقاق في
الوصول إلى تلك الأمانى .

نقد مدح محمد بن أبي الفتح ملك شاه حينما شئت شمل الباطنية ،
وخرّب ديارهم لما علم من خطرهم على الإسلام والمسلمين يتمدّحه بأصله العريق
وعدالته وحسن سيرته ونصرة الحق . فيقول : (١)

ابن السلاطين من أبناء سلجوق وابن الخضارف منهم والخرانيق
لله من عادل من حق سيرته ونصرة الحق ان يدعى بقاروق
مستوجب مريم جمع الشرك مبغضة محبب في بنى الإسلام مرموق
ونراه يمدح الحكام برعايتهم للأدب ، فقد مدح خوارزم شاه لرعايته للأدب
ويبدو أن الزمخشري نال عنده حظوة إذ أكثر من عطاياه . (٢)

ويمدح على بن أرسلان بقصيدة طويلة يصف فيها ورعه وتقواه وينعته
بالبلاغة والفصاحة ، وعلو القدر والمكانة ويشير إلى سخائه وكرمه - (٣)
وهكذا تطورت به الحال من طموح وأمل في المناصب في سلك الدولة
إلى قناعة ورضى ، وتقدير للصفات الحميدة التي يلمسها في الحكام دون أن
ينتظر منهم شيئا .

وكان هناك من راسل الزمخشري ، إعجابا به وبعلمه وفضله ، من هؤلاء :
شبل الدولة أبو الهيجاء مقبل بن عطية البكري . ختن نظام الملك فقد أرسل إليه

(١) الكامل لابن الأثير ١٠ : ١٨٤

(٢) منهج الزمخشري ص ٣٨

(٣) الزمخشري شاعرا ص ١١

شعرا يرفع من شأنه ، ويبين فضله ، ويصفه بالبحر ، فرد عليه الزمخشري
 بشعر مماثل . (١)

كما راسله منتجب الملك فمقد بحث اليه قصيدة وهو في مكة ، يعبر
 فيها له عن حبه اياه ، ويصفه بشقيق النفس ، وأنه ارتضخ من در العلوم
 وتغنى ، بعلمه الدنيا ، ولعلمه في كل ناحية من نواحي الدنيا شعاع . (٢)

تراثه العلمى

ترك الزمخشري تراثا ضخما فى علوم مختلفة من : تفسير ،
 وحديث ، ونحو ، ولغة ، ولم ينس حظه من الأدب شعره ونثره .
 ومن هذا التراث ما هو مطبوع ، ومنه ما لا يزال مخطوطا ، ومنه ما
 هو مفقود أو فى حكم المفقود ، لذلك جعلت تراثه العلمى فى ثلاث مجموعات
 على الترتيب المذكور وحاولت فى كل مجموعة أن أبدأها بالمادة الدينىة

(١) انباه الرواة ٣ : ٢٦٦

(٢) المرجع السابق ٣ : ٢٧٢

تفسير أو حديث، أو فقه - ثم بالكتب النحوية فاللغوية ثم الأدبيات
نثر وشعر .

اولا : فى علوم الدين .

- " الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأناويل فى وجوه التأويل " وهو كتاب فى التفسير ، وأعظم مؤلفاته شأنًا ، بدأ فى تأليفه فى مطلع سنة ٥٢٦ هـ وانتهى منه سنة ٥٢٨ هـ فى مكة المكرمة خلال جواره الثانى ، وأهداه لابن وهاس . (١)

ويبدو من مقدمته أنه كتبه مرتين :

الأولى : وهى تتمثل فيما أهلاه على تلاميذه وإخوانه فى المذهب الاعتزالي وكانوا كلما رجعوا إليه فى تفسيرية ، أبرز لهم بعض الحقائق ، استظفروا شوقًا إلى مصنف يضم أطرافًا من ذلك ، حتى اجتمعوا إليه مقترحين أن يولى عليهم ، " الكشاف عن حقائق التنزيل . . . " فاستجاب طلبتهم . (٢)

أما الثانية : فالمعتقد أنه هذا الذى بين أيدينا وهو يبين أن ابن وهاس كان يحدث نفسه أثناء غيبة الزمخشري فى خوارزم ، بالوفادة عليه فى خوارزم ليتوصل إلى هذا الغرض ، فيقول الزمخشري فى ذلك : " وقد ضاقت على المهتجى الحيل ، وعيت به العلل ، ورأيتنى قد أخذت منى السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التى سمعتها العرب دقاقة الرقاب فآخذت فى طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن الشرائد ،

(١) الإحاجى للنحوية المحقق ص ١٦

(٢) الكشاف ١ : ١٧

(١) ووفق الله وسدد، ففرغ منه في مقدار/أبي بكر الصديق رضی الله عنه . . . ”
ويذكر أن الزمخشري كان قد افتتح كشفه بقوله : ” الحمد لله الذى
خلق القرآن ” فقالوا له : لو تركته على هذا لزهد فيه الناس فغيرها بقوله
” الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ” وقيل إن هذا من

إصلاح الناس وليس من الزمخشري نفسه . (٢)

ويقول صاحب كشف الظنون إنه ” رأى النسخة الأصلية التى هى بخط
الزمخشري نفسه بيده فى مدينة السلام مخطبة فى تربة الإمام أبي حنيفة
خالية من أثر الكشط والإصلاح ، وفى مقدمتها ” الحمد لله الذى أنزل
القرآن ” . (٣)

وهو يهتم فى تفسيره هذا بتوجيه الآيات الكريمة لخدمة عقيدته الاعتزالية
ويعنى عناية كبيرة بأبراز مواطن البلاغة ، كما يهتم بالنحو اهتماما خاصا ،
ويسهب فى الاستشهاد بالقراءات ويعزز شرحه بشواهد شعرية كثيرة من
أشعار القدماء . (٤)

والزمخشري فى تفسيره هذا شديد الإنكار على المخالفين للمعتزلة كثير
التشنيع على غيرهم من الفرق لذلك نجد كثيرا من العلماء ، وخاصة أهل السنة
قد نقدوا آراءه وناقشوها ، وردوا عليها ردودا تتفق واسلوبه من هوادة أو
عنف .

ويبدو أن الزمخشري قد اطلع على كتب التفسير التى سبقته وأفاد منها

(١) الكشف ١ : ٢٠

(٢) الوفيات ٥ : ١٧٠

(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ٢ : ١٤٨٢

(٤) دائرة المعارف الاسلامية باللغة العربية ١٠ : ٤٠٤

وخامية تفاسير المعتزلة • (١) كما ورد في كشافه أسماء كثير من الصحابة رضي
الله عنهم منهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وأبو هريرة وعبدالله بن
مسعود وعبدالله بن عباس وغيرهم • وكذلك بعض أسماء التابعين من الفقهاء
والمفسرين وأسماء اللغويين والنحاة والقراء وغيرهم •

وقد ظل الكشاف حتى الآن محتفظا بمكانته ومحاول بعض المفسرين أن
ينهج طريقه ولعل البيضاوي وهو سني حين كتب تفسيره ، جعله نظيرا لتفسير
الزمخشري عند المعتزلة ، بل حاول أن يتفوق عليه فيما يتعلق بالنحو ،
والاستشهاد بالقراءات المختلفة • (٢)

وقد اعتنى بالكتاب خلق كثير من نساخ وشرح ومعلقين نذكر بروكلمن
أن للكتاب أكثر من خمسين وتسعين مخطوطة ، واثنيتين وعشرين شرحا وتعليقا
وتسعة مختصرات وثلاثة ردود عليه ، وما تزال نسخة الأصل الأولى التي نقلت
من السواد محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني • (٣)

ويبدو أن الزمخشري كان يعتز بكشافه وكثيرا ما كان يفخر به • (٤)

وقد طبع الكشاف طبعات عديدة كان أولها طبعة (نسان ليسانس)
وخادم حسين وعبد الحمى كلكتا ١٨٥٦ م في مجلدين • وتلتها طبعة بولاق
١٢٩١ هـ وطبعات أخرى في مصر ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣١٨ هـ • (٥)
وطبع بالمطبعة البهية المصرية ١٣٤٢ هـ ، وطبعته مطبعة مصطفى البابي

(١) انظر: الزمخشري ص ١٠٩ - ١١١

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٤

(٣) بروكلمن ٢ : ٢٦٠

(٤) الزمخشري ص ٢٤٢

(٥) معجم المطبوعات العربية ص ٩٧٥

الحلبى ١٨٣٥ هـ - ١٩٦٦ م . وكذلك، دار الكتاب العربى ببيروت . (١)

الفائق فى غريب الحديث ؛ الكتاب شبه معجم لغوى يتصل

بالاحاديث الشريفة ومقدماتها الغريبة لذلك أوردته فى هذا المكان .

وقد أتمه صاحبه فى شهر ربيع الآخر سنة ٥١٦ هـ . (٢) وهو يورد الكلمات

الغريبة فى الأحاديث والآثار ويشرحها بطريقته الخاصة وهى أن يعرض

الكلمة فيأتى بفعلها الثلاثى على طريقة المعجم مراعى الحرف الأول والثانى

فهو يذكر مثلا العمزة مع الباء ، ثم الهمزة مع التاء ، ثم مع الثاء ، وهكذا ،

ولكنه وراء الحرف القانى قد لا يلتزم الترتيب فهو مثلا يذكر (أبط) بعد

(أبن) ، و(جدل) قبل (جدف) . (٣)

وهو حين يفسر فيه كلمة أو يبين معنى قد يبيث آراءه فى النحو أو البلاغة

ويستشهد بكثير من أمثال العرب وشعرهم ونثرهم . وهذه بعض الأمثلة التى

توضح طريقته . :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يوطن من المسجد للصلاة

والذكر رجل آلا يشبش الله به من حين يخرج من بيته كما تشبش أهل

البيت بغائبهم إذا قدم عليهم "

قال الزمخشري : التشبش بالانسان المسرة به والإقبال عليه ، وهو من

معنى البشاشة لا من لفظها عند أصحابنا البصريين ، وهذا مثل لارتضاء الله

فعله ووقوعه الموقع الجميل عنده .

يخرج : فى موضع الجر باضافة الحين اليه والاقوات تضاف الى الجمل ،

ومن لابتداء الغاية والمعنى أن التشبش يبتدىء من وقت خروجه من بيته الى

(١) معجم المطبوعات العربية ٩٧٥

(٢) كشف الظنون ٢ : ١٢١٧ - دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٤

(٣) الفائق ١ : ١٧٨

الى أن يدخل المسجد ، غترك ذكر الانتباه ، لأنه مفهوم ، ونظيره
 شفت البرق من السحاب .

ولا يجوز أن يفتح حين كما فتحه في قوله :

• على حين عاتبت المشيب على الصبا •

لأنه منسب الى معرب ، وذاك الى مبنى • (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : " ان الاسلام ليأرز الى المدينة كما

تأرز الحية الى جحرها " •

قال : ينضوى اليه وينضم ، ومنه الأروز للبخيل المتقبن •

وعن أبي الأسود الدؤلى : أن فلانا اذا سئل أرز واذا دعى

انتبهز • (٢) وأتى النبى صلى الله عليه وسلم بشارب خمر ، فخفق بالفضال

وبهز بالأيدي " •

قال الزمخشري : البهز : الدفع بالأيدي الحنيف ، وقيل لأولاد

العلات - بنو العلات : أب وهم واحد وأمهاتهم شتى - بنو بهز لتدلفهم

وقلة ترافدهم ، وبه سمى ابن حكيم بهزا • (٣)

وقد أثنى ابن حجر على الفائق بقوله : " والفائق في فوب

الحديث من أنفس الكتب ، لجمعه المتفرق في مكان واحد ، مع حسن

الاختيار وصحة النقل " (٤)

طبع الكتاب في حيدر آباد الدكن في جزأين سنة ١٢٢٤هـ ثم

(١) الفائق ١ : ٩٦

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٢

(٣) المصدر نفسه ١ : ٩٥

(٤) الزمخشري ص ٢٦٠

ثم طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٥ م .

— خصائص العشرة الكرام البررة :

كتاب في ترجمة الصحابة العشرة المبشرين بالجنة وكان الدافع الى

بأليفه نزول البركة ، والرحمة عند ذكر الصالحين .

والكتاب يبحث في مزايا كل واحد من هؤلاء السادة التي لم يشاركه

أحد في مزية منها . (١) وقد رتبهم حسب مراتبهم عند رسول الله

على الله عليه وسلم إذ ورد ذكرهم في حديث شريف يقول عليه الصلاة
والسلام : " ابو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة وعثمان في الجنة ، وعلى في

الجنة ، وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة

وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد بن نقييل في الجنة وأبو

عبدة بن الجراح في الجنة " (٢)

ومما جاء في الكتاب بشأن العشرة البتات التاليان : (٣)

لقد بشرت بعد النبي محمد بجنة عدن زمرة سعداء

سعيد وسعد والزبير وعامر وطلحة والزهرى والخلفاء

والكتاب نشر ببغداد سنة ١٩٦٨ م .

ثانيا : كتب الزمخشري التي طبعت في النحو .

(١) خصائص العشرة المبشرين بالجنة ص ١٦

(٢) ريان الصالحين ١ : ٢١

(٣) خصائص العشرة ص ٢٠١

- المفصل في سنعة الاعراب :

هو أشهر كتب الزمخشري في النحو . شرع في تأليفه في غرة رمضان

(١)

سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، و فرغ منه في غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة .

وقد بلغ الكتاب مكانة عالية عند علماء النحو ، وتناولته كثرة من الشراح بالدرس

(٢)

والتعليق ، ويعدده النحاة ^{الإلحاقون} ثانياً كتاب في النحو بعد كتاب سيويه .

ذكر ابن يعيش في مقدمة شرحه (للمفصل) أنه ناب عنه ، جليل .

قدره ، جمع أصول هذا العلم ، وفصوله ، وأوجز لفظه ، فتيسر على الطالب

تحصيله . (٣)

ويقول عنه صاحب كشف الظنون : " هو كتاب عظيم القدر ، وذكر فيه

شعرا جعله نداً لكتاب سيويه . (٤)

فكما أنهم أطلقوا على (الكتاب) قرآن النحو فهو يجعل (المفصل)

كأنه سور من ذلك الكتاب ، ويخصها بطوال المفصل .

وقد اهتم ابن العبري (٥) بالمفصل ، ورآه غاية ما يمكن الوصول إليه

في التأليف النحوي ، فانتفع به ، وقصد التحريف بمحتواه لأصحاب اللغات

الأخرى للسير على نهجه . (٦)

ويذكر الدكتور علي عبد الواحد واهي أن جماعة المتأخرين جاءوا بمذهبيهم في

(١) وفيات الأعيان ٤ : ٢٥٥

(٢) سر كيس المعاجم العربية ص ١٢٩

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٢٠١

(٤) كشف الظنون ٢ : ١٧٧٤

(٥) هو : بارهبريوس ، أبو الفرج مؤرخ عربي توفي سنة ١٢٨٦ م . انظر :

دائرة المعارف ١٠ : ٢٢٦

(٦) تطور الدرس النحوي ص ٨٢

والاستيعاب لجميع ابواب العلم ، ووضعوا أهم كتب النحو والصرف ، واكملها ،
وأدقها ، وأكثرها تهذيبا ، ومن أشهرهم الزمخشري ، صاحب المفصل في
النحو . (١)

ويقول الاستاذ عبدالحميد حسن : إنه ليس في الكتب التي بيننا المفصل
وكتاب سيويه مما وصل إلينا كتاب - عالج المباحث النحوية علاجا كاملا شاملا .
فإنما هي مؤلفات في موضوعات نحوية خاصة ، أو في مباحث صرفية هي أقرب
إلى الصيغة اللغوية وكتاب المفسر يعتبر مرحلة تامة النمو ، وحلقا كاملة
الوضع في سلسلة البحوث النحوية . (٢)

فللمفصل كما أشرنا مكانته المرموقة في عصر تأليفه وما تلاه من عصور
وظهر ذلك في اهتمام الناس به ، وانكباب العلماء والطلاب على درسه حتى
أن الملك عميسى بن الملك العادل صاحب دمشق (ت ٦٢٤ هـ) جعل لمن
يحفظ كتاب المفصل من الطلاب ، كفاة مالية تقدر بمائة دينار وخلعة . (٣)
والزمخشري يبين الغاية من تأليف مفصله ، وهي ما بالمسلمين من الأرب
إلى معرفة كلام العرب وقد أخذته الشفقة على أشياء منه من الأدباء . (٤)

ويرى الدكتور حسن عون في شيء من المبالغة أن الباعث الحقيقي
لتأليف المفصل هو أن الزمخشري لما رأى أن المؤلفات النحوية ، وعلى رأسها
كتاب سيويه مضطربة في منهجها ، وفي أبوابها ، وفي أحكامها ، حيث يظهر
الخلط والتكرار ، والاستطراد ، ويغلب عليها عدم الوضوح ، أراد أن يخلص النحو

(١) عبد الواحد وافي : فقه اللغة ص ١٦٩

(٢) الدراسات اللغوية والنحوية ص ١٠١

(٣) محمد الطنطاوى : نشأة الفحوص ص ١٧٥

(٤) المفصل مع ابن يعيش المقدمة ١ : ١٧ - المفرد والمؤلف ص ٨

من كل ذلك ، ويجعله خالصا في مادته سهلا في تناوله ، فألف لذلك كتابه
المفصل ، (١)

وقد اهتم بالمفصل طائفة كبيرة من العلماء والباحثين فمنهم من شرحه
او شرح شواهدة ، ومنهم من نظده أو اختصره أو قلده ، وسأبدأ بهم على
هذا الترتيب ثم نشره وطبعه .

١ - طائفة الشارحين له أو لشواهدة :

شرح المفصل الزمخشري نفسه ، ويوجد من ذلك الشرح نسخة بليدين
١٦٤ و ١٥٤ . (٢)

وشرحه الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) . (١)

وشرحه ابو البقاء الحكيري (ت ١١٦ هـ) منه نسخة بالقاهرة الفهرست

ط ٢ ج ٢ - ١٢٧ ، ١٥٧ ، ومختصر منه بعنوان المسترشى لنفس ابي البقاء . (٤)

وشرحه ابو محمد مجد الدين القاسم بن الحسين المعروف بصدر الأفاضل

الخوازمي (ت ٦١٧ هـ) وله عليه ثلاثة شروح ، واسمه التخمير ، منه نسخة في

المتحف البريطاني ٩٢٧ ودمشق في الظاهرية ٦٧ ، وعمومية ٧٥ . وسبب

ومختصر ، وفي بغية الوعاة انه صنف المجرة في شرح المفصل وهو بسيط ،

والسبيكة في شرحه وهو متوسط ، والمجرة وهو صغير . (٥)

وقام بشرحه أبو العباس أحمد بن أبي بكر الخاراني (ت ٦٢٠ هـ) (٦)

(١) حسن عون : تطور الدرس الحوي ص ٨٢

(٢) بروكلمن ٢ : ١٩١ - الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٢

(٣) المرجع السابق

(٤) بروكلمن ٢ : ١٩١ - بغية الوعاة ٢ : ٣٨٨

(٥) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٢

(٦) المرجع السابق

وشرحه على بن يحيى (ت ٦٤٢هـ) ، وهو أهم شروحه كلها ، لأنه

أشبه دائرة معارف في استقصاء آراء النحويين .

طبع هذا الشرح في ليبسا سنة ١٨٧٩م ، ١٨٨٢م وطبع في عشرة

أجزاء نشرتها إدارة المطبعة النبرية ، ونشرته مكتبة المتنبى في القاهرة

بالاشتراك مع عالم الكتب ببيروت . (١)

وقام بشرحه أبو العباس أحمد بن محمد العكبري (ت ١٠٠٠هـ) .

وشرحه مجيب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود المعروف بابن النجار

البغدادى (ت ٦٤٢هـ) . (٢)

وشرحه المنتخب بن أبي الحزب رشيد أبي يوسف الهمداني المقرئ

(ت ٦٤٢هـ) (٣)

وشرحه أبو الحسن على بن محمد بن عبدالصمد النحوي (ت ٦٤٢هـ) (٤)

وقام بشرحه على بن محمد السناري (ت ١٤٢هـ) من نحاة العصر الأيوبي ،

له شرحان على المفصل ، الأول في أربعة مجلدات ، ومنه نسخة في ليدن

١٦٥ باريس ، ٤٠٠٤ ، وقطحة منه باسكوريال ٦١ والآخر (سفر السعادة

وسفير الافاد) منه نسخة في برلين ٧٠٤٩ وفي دمشق عمومي ٨٦ والظاهرية

٧٠ . (٥)

(١) دائرة المعارف ٧١ سلامة ١٠ : ٤٠٣

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ١٠٣

(٣) المرجع السابق

(٤) حاشية السجاعي على قرار الندى ص ٢٢

(٥) بروكلمن ١٠ : ٢ - بخية الوعاة ٢ : ٢٨٨

وشرحه من أئمة النحو ابن الصائغ (ت ٦٤٣هـ) . (١)

وشرحه الشيخ أبو عمرو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب

(ت ٦٤٦هـ) وسماه الايضاح ، منه مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد رقم

١٠٦٥ ، وميونخ ٦٩٣ والاسكندرية ٤ نحو . (٢)

وشرحه جمال الدين علي بن يوسف القنطري (ت ٦٤٦هـ) . (٣)

(٤) وشرحه محمد بن محمد المعروف بابن عمرو الحلبي (ت ٦٤٩هـ)

وشرحه عبدالواحد بن عبدالكريم الانصاري (ت ٦٥١هـ) وسماه المفضل ،

منه نسخة في الاسكندرية ٦١ . (٥)

وشرحه الامام مظهر الدين محمد ، فرغ منه (٦٥٩هـ) وسماه المكمل

منه نسخة في الاسكندرية ٦٠ ، والبزائر ٤٣ وباريس ٦٤٣٨ والمتحف البريطاني

٦٥٢ . (٦)

وشرحه علم الدين قاسم بن أحمد الاندلسي (ت ٦٦١هـ) وسماه الموصل وهو

في أربعة أجزاء ، وذكر أن من شرحه نسخة في مكتبة سليم اغا ١١١٧ (٧)

وشرحه الشيخ ابو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن مالك

(ت ٦٧٢هـ) منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق ٦٤ . (٨)

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ٤ : ٤٧٢

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٤

(٣) المرجع السابق

(٤) نفس المرجع

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٦) بروكلمن ٢ : ١٩١ - بخية الوعاة ٢ : ٢٨٨

المرجعان السابقان

(٨) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

وشرحه الشيخ ابو عاصم على بن عمر بن الخليل الفقيهي (ت ٦٨٩هـ)

وسماه (المقتبس في توضيح ما التبس) . (١)

(٢)

وشرحه حسام الدين حسير بن علي الشقاني (ت ٧١٠هـ) وسماه الوصل

وشرحه ابن أم قاسم ، الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) . (٣)

وشرحه يحيى بن حمزة بن رسول الله (ت ٧٤٩هـ) وسماه (المحصل لكشف

١٤)

أسرار المفصل) منه نسخة في برلين ٦٥٢١ ، وأخرى في الفاتيكان ١٠٢١

وشرحه المهدي لدين الله أحمد بن أحمد بن يحيى المرتضى (ت ٨٤٠هـ

ت ٨٤٠هـ) منه نسخة في المتحف البريطاني ملحق ٩٢٨ وسماه (التاج

المكمل) . (٥)

وشرحه محمد سعد المروزي وسماه (المحصل) . (٦)

(٧)

وشرحه محمد عبدالغني / (المؤول في شرح المفصل) طبع في كلكتا ١٣٢٢هـ -

وشرحه محمد بن محمد الخطيب الفرخاني . منه نسخة في المتحف البريطاني

شهرس المخطوطات الشرقية رقم ٧٤٧٢ . رقم ٥٠ (٨)

وشرحه عبدالله العمادي ، وطبع في لکنهو ١٣٢٣هـ . (٩)

(١) الدراسات النحوية واللغوية من ١٠٥
المرجع السابق

(٣) المرجع نفسه

(٤) نفس المرجع

(٥) المرجع السابق

(٦) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٧) المرجع السابق

(٨) المرجع نفسه

(٩) نفس المرجع

وشرحه أبو القاسم أحمد الأندلسي ، منه نسخة في استانبول مكتبة سليم

أغا رقم ١١٥٧ ، (١)

وشرحه محمد الطيب المكي الهندي وسماه (الوشاح الحامد والمفصل

على مخدرات المفصل) طبع بالهند ١٨١٨م ، (٢)

وشرحه الامام المحقق نجم الدين عثمان بن الموفق الأذكاني وسماه

(العقارب) ، (٣)

وشرحه تاج الدين أحمد بن محمود بن عمر الجندی توفي في القرن

الثامن ، وسماه (الاقليد) منه نسخة في الاسكوريال ٦٢ وباريس ٤٠٠٣ ،

وامبروزيا ١٠٥ (٣)

وشرحه (مجهول) منه قطعة في المتحف البريطاني رقم ١٠٣١ (٣)

وشرح أبياته رضا الدين حسن بن محمد الصفاني (ت ٦٠٥هـ) (٣)

وشرح أبياته أبو البركات مبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفى

الأرطقي (ت ٦٣٨هـ) وسماه اثبات المضهل في نسبة ابيات المفصل (٣) .

وشرح أبياته بدر الدين أبو فارس النحساني طبع على الهامش ،

بالقاهرة ١٣٢٤هـ وسماه (المفضل في شرح شواهد المفصل) (٣)

وشرح أبياته فخر الدين الخوارزمي منه نسخة في الظاهرية ٨٦ (٣)

طائفة الناظمين للمفصل :

نظمه أبو نمر فتح بن موسى الخضراوي القصري (ت ٦٦٣هـ) (٣)

ونظمه الشيخ أبو شامة عبدالرحمن بن اسماعيل الدمشقي (ت ٦٦٥هـ) (٣)

ونظمه ابن مالك وسماه (الموعصل في نظم المفصل للزمخشري) (٣)

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٢) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٦

(٣) المرجع السابق

طائفة المختصرين للمفصل ؛

اختصر المفصل الشيخ عبد الرحمن بن عطاء الله السكندري

(ت ١١٢٠ هـ) . (١)

واختصره شمس الدين محمد بن يوسف القونوي (ت ٧٨٨ هـ) (٢)

وأما من قلد المفصل :

أحمد بن بهرام بن محمود (ت ١٧٠ هـ) في كتاب سماه بنفس

الاسم . (٣)

طائفة الناشرين للمفصل ؛

طبع المفصل لأول مرة في كرسيتيانا سنة ١٨٥٩ م باقتناء بروخ ،

وطبعه مرة أخرى ١٨٧٩ م (٤) وترجم الى الألمانية وطبع ١٨٧٢ م (٥)

ونشره مع حواشي وذيول مولوي محط يعقوب راسبوري ١٨٩١ م (٦)

ونشره حمزة فتح الله بالاسكندرية ١٢٩١ هـ وفي القاهرة ١٣٢٣ هـ (٦)

ونشره مع شرح الشواهد محمد بدر الدين أبو فراس النحاساني الحلبي

القاهرة (١٣٢٤ هـ) وسماه المفضل في شرح شواهد المفصل . (٦)

هو^١ لا^٢ بعثر الباحثين والعلماء الذين أقبلوا على المفصل يقرأونه

ويشرحون نصوصه ويعلقون على ما جاء فيه .

(١) الدراسات النحوية واللغوية ص ١٠٦

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٤) بروكلمن ١ : ٢٩٠

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٣ : ٤٧

(٦) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٣

— مقدمة الأدب :

كتاب فى الفحو ورتبه الزمخشري فى خمسة أبواب هى : باب الأسماء ،

باب الأفعال ، باب الحروف ، باب تصريف الأسماء ، وباب تصريف الأفعال .

وهو يورد فى كل باب مفرداته الحريه مع شروحيها بالفارسية .

وقد ألفه الزمخشري لتعليم أولاد الفرس واعداه إلى الأمير اشتر (١)

والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ١٠٠ : لغة (٢)

وهناك أيضا قسم آخر مخطوط يتضمن الأفعال والحروف وتصريف الأسماء

رقم ٢٧٢ ، ومنه قطعة ضمن جميعه تحتوى الأفعال فقط رقم ٥٨ مجاميع لغة . (٣)

طبع الكتاب فى (ليبسك) سنة ١٨٤٣م وقد جعله العالم الألماني

(ونششتاين) فى قسمين : الأول منه هو الأملى سابق الذكر .

والثانى : معجم عربى لاتينى رتبه على حروف الهجاء وأدرج تحت .

الأصل مشتقاته مع الاهتمام بالعبارات والتراكيب اللغويه . يعطى بعد .

المقابل اللاتينى رقمين يدلان على الصفحة والسطر حيث ذكرت اللفظة العربية

فى القسم العربى الفارسى . (٤)

وطبع الكتاب فى طهران سنة ١٩٦٣م باهتمام سيد محمد كاظم إمام .

وترجمه إلى التركية اسحق أفندى بن خير الدين وسماه أقصى الأرب فى ترجمة

مقدمة الأدب . (٥)

(١) ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٢

(٢) البلاغة القرآنية ص ٤٧

(٣) المرجع السابق

(٤) وجدى رزق : المعجمات العربية ص ٩٩

(٥) ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٢

— الأنموذج :

الكتاب اختصار لقواعد النحو وحين يقارن بالفصل نجد الكتابين
يسيران على منهج واحد ، ولكن (الأنموذج) أشد إيجازاً ، فهو يوصي
إلى مسائل النحو إيعاء .

وقد أهدى الزمخشري هذا الكتاب إلى مجير الدولة أبي الفتح على
ابن الحسين الأردستاني . (١)

للكتاب مخطوطة بالمتحف البريطاني فهرس المخطوطات الشرقية
رقم ٠٦٢٦٠ (٢)

• ونسخه بروخ بخطه في كريستيانا ١٨٦٧ .

طبع الكتاب في كريستيانا سنة ١٨٦٧م ، وفي طهران ١٢٦٨هـ وتبريز

١٢٧٥هـ . وفي مطبعة المدارس بمصر ١٢٨٩هـ وفي استانبول ١٢٨٠هـ . (٣)

وللكتاب شروح عديدة أشهرها :

شرح جمال الدين محمد بن عبد الغنى الأردبيلي (ت ٦٤٧) وطبع هذا

الشرح في بولاق ١٢٦٩هـ وطبع في مجموعة فارسية ١٢٧٥هـ .

• وشرحه الشيخ محمد عيسى وسمى شرحه الفيروزج (٤)

وطبع في مطبعة المدارس بمصر ١٢٨٩هـ . (٤)

(١) الزمخشري : المفرد والمؤلف المحقق ص ٧

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ : ٤٠٣

(٣) الموجع السابق

(٤) المفرد والمؤلف المحقق ص ٧ — ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٠

الأحاجى النحوية :

لهذا الكتاب أسماء عدة منها : " المحاجة ومتم مهام أرباب
الحاجات فى الأحاجى والألغاز " و " المحاجات ومتم مهام أرباب الحاجات
فى الأحاجى والأغلوطات فى النحو " و " المحاجات بالمسائل النحوية " و
" الأحاجى " وذكره حاجى خليفة " بالمحاجات " (١) . وأما اسم
" الأحاجى النحوية " وهو عنوان النسخة التى وقعت فى يدي ، فهو يبدو
فيه الاختصار والوضوح .

ألفه الزمخشري فى مكة بعد تأليف " الكشاف " وأهداه إلى ابن
وهاس ، ويصفه الزمخشري فى المقدمة بقوله : " مسائل نحوية مسوقة فى مسالك
المحاجة ، مسوقة فى سلوك المعالجة ، لا تستعلى منها مسألة إلا سقطت على
أملوحة من الأماليح العلمية ، وأفكوهة من الأفاكه الحكيمية ، وذلك لترويض
الأذهان بعد جموحها حتى تعود سلسة القيادة " (٢)
جعل الزمخشري فى هذا الكتاب خمسين أحجية من أحاجى النحو ومسائله
التي تبحث فى فلسفة النحو ويتعرض لمسائل دقيقة ثم يأتى بالحل .
شرح الكتاب علم الدين السخاوى (ت ٦٤٣هـ) باسم تنوير الدياتجى)
وقد عقب فيه على أحاجى الزمخشري ، بأخرى من نظمه هو والتزم أن يعقب
كل أحجيتين بلغزين من نظم نفسه . (٣) وذكر بعضها السيوطى فى
الأشباه والنظائر .

(١) معجم الأدباء ١٩ : ١٣٥ - ربيع الإبرار المحقق ق ١ : ٢٣

(٢) الأحاجى النحوية ص ١٨

(٣) المفرد والمؤلف المحقق ص ٩

والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨ نحو ١١٦٤
مجاميع، وهو في ٢٧ ورقة في مخطوطة الشنقيطى و ٢٥ في المجاميع (١)
طبع كتاب (الأحاجى النحوية) في دمشق ١٩٦٩م، وفي بغداد
سنة ١٩٧٣م .

— المفرد والمؤلف :

كتيب في النحو ألفه الزمخشري لأهل مكة ، (٢) وجعله في بابين اثنين
هما :

- باب المفرد ، ويتحدث فيه عن الكلمة وأحكامها وأنواعها .
- وباب المؤلف ، ويتحدث فيه عن التركيب وأنواعه وأحكامه .

يوجد للكتاب مخطوطة في استانبول كوبر يلى ١٢٩٣هـ . (٣)

نشر الكتاب في المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمى العراقى

سنة ١٩٦٧ م . ثم قامت الدكتورة بهيجة الحسنى بطبعه مستقلا ١٣٨٧هـ
— ١٩٦٧م .

— مسألة في كلمة الشهادة :

هى محاضرة أملاها الزمخشري على تلاميذه ، وتتعلق بإعراب كلمة

الشهادة .

وموضوعها حذف خبر لا النافية للجنس فى كلمة " لا اله الا الله "

(١) الزمخشري ص ٦٠ ٦١

(٢) الزمخشري : المفرد والمؤلف ص ١٦

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ٤٠٣

وهي بالفاظ أحد تلاميذه الذين حضروا هذا الدرس . وقد ذكر محقق
المسألة أنه مكتوب على النسخة التي حققها " هذه عبارة بحث تلامذته ،
تلقنها منه وأثبتها بعبارته " واسم التلميذ وتاريخ النسخ مجهولان (١)
وقد أشار إليها بروكلمن . (٢) وذكر أنها المخطوطة الفريدة في مكتبة
جامعة (توبنكن) ، ولم يزد على ذكر اسمها شيئا .

وذكر المرحوم أمين الخولي سهوا أنها رسالة في العقائد . (٣)

نشرت المسألة في المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمي
العراقي ، وقامت بتحقيقها الدكتورة بهيجة الحسنى ، وأرفقتها برسالة
المفرد والمؤلف ليطلع القارىء على ماهيتها . (٤)

ثالثا : مجموعة اللغة والأدب .

١ - اللغة :

— أساس البلاغة :

معجم في اللغة العربية عرئ في سماحه بشكل واضح لبحث الدلالة
البيانية ، ومعانى المفردات من ناحية الحقيقة والمجاز ، وتعابير الأدباء
والبلاغاء ، كما يبحث في استعمال الألفاظ ومواقعها من الجمل ، وافراد
المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح . (٥)

(١) الزمخشري : مسألة في كلمة الشهادة

(٢) بروكلمن : تاريخ الادب العربى = : ٢٨٩

(٣) مقال عن الكشف في مجلة تراث الإنسانية مجلد ٤ العدد ٢ سنة ٦٦

(٤) مسألة في كلمة الشهادة مقدمة المحقق ص ١٠

(٥) مقدمة الأساس للمحقق ه

والدافع إلى تأليفه كما يبدو من مقدمته ،التوصل إلى بيان مراسم
البلغاء والمخايرة بين أفاظهم ،ومتعارفات أقوالهم وليكون الناظر في اعجاز
كتاب الله اعرف بأسراره ولطائفه . (١)

والزمخشري يردنا إلى مراجعته التي استقى منها مادة هذا الكتاب ،فيقول :
إنه فلى له العريية وسمح من الاعراب في بواديها ومن صعاليك نجد في
مراتعها ومن سمسرة تهامة في أسواقها وما تزاخر السقااة على أفواه
آبارها ،وما تقارنته شعرا قيس وتميم في ساعات المقاخرة والمغالبة كما رجع
فيه إلى بطون الكتب فأخذ من روائع الفاظها وجوامع كلمها . (٢)

ويبين نوع الألفاظ التي اختارنا لمادة الكتاب ، فهي مما انتقوا وانتخلوا
ومما استفصحو واستجزلوا ،ومن أسباب هذا الاختيار التوصل إلى وجوه
الاعجاز والقدرة على تقديم الحجة . (٣)

وطريقة الكتاب هي : أن الزمخشري ألفه على ترتيب حروف الهجاء ،
فحقد بابا للهزمة بدأه بالهمزة مع الباء ،ثم الحرف الذي يليه ان وجدت
مادح بذلك ،ثم الهمزة مع التاء ثم الشاء . . .

ثم شرح المعاني الحقيقية للكلمات ،فالمعاني المجازية مثال ذلك :
قال في مادة حلف : حلف بالله على كذا حلفا وبعو حلاف وحلافة وحلف
حلفة فاجر وحلوفة كاذبة وحالفه على كذا وتحالفوا عليه واحتلفوا زحلف
خصمه وأحلفه واستحلفه .

(١) مقدمة الاساس للمحقق د

(٢) اساس البلاغة المقدمة ك

(٣)

المصدر السابق

(٤) المصدر نفسه مادة (حلف)

ومن المجاز : بينهم حلف أى عهد ، وهم حلفاء بنى فلان وأحلافهم
وهذا حليفى وهو حليف الندى وحليف السهر وفلان محالف لفلان لازم له
وسنان حليف ورجل حليف اللسان يوافق صاحبه على ما يريد (١)
وقد لاحق ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) (اساس البلاغة) وجمع
مجازاته فى كتاب خاص بها سماه (غراس الاساس) (٢)

ويقول فيه : " فرأيت أن المهم منه ما تميز عن الكتب المصنفة فى اللغة
من تبين الحقيقة من المجاز والزمك من اجتناب الاسهاب وارتكاب الأيجاز^(٣)
والكتاب مع سمو مكانته بين كتب اللغة ، نرى هناك من يبدى تحفظه فى
دقته بكتاب ابن حجر سابق الذكر وهو يسند هذا إلى أن المعنى
الاصطلاحى المستقر للمجاز اللغوى لم يكن قد بلغ مداه عندما كتب جار الله
كتابه (الأساس) .

ثم يشير إلى شىء من اختلاف الفهم للمجاز اللغوى عند الزمخشرى
فى أواخر القرن السادس (٩٤٥هـ) وعند ابن جحر فى منتصف القرن التاسع
فى (غراس الاساس) فى مدة زمنية تمتد ثلاثة قرون بعد استقرار الاصطلاح
على معنى المجاز اللغوى المعروف فى كتب البلاغة .

فابن حجر يجمع فى كتابه (غراس الاساس) المجازات اللغوية مستقصيا
إياها ، متحريرا الدقة فيها حتى قال فى مقدمته كتابه : " فرأيت الاقتصار

(١) الاساس مادة (حلف)

(٢) منه نسخة خطية فى مكتبة طلائع المودعة بدار الكتب المصرية رقم ٣٦٣

منه - الأساس - على ما يجزم بأنه وضع على سبيل المجاز ، مكتفيا بالكتب المصنفة في اللغة ، فانها أوعب لها من هذا الأساس فمن لم يجد في هذا المختصر شيئا فليجزم بأنه وضع على سبيل الحقيقة معتمدا على هذا الإمام البليغ المطلق " (١) .

ففي هذه العبارة إشارة إلى أن غراسه لا يشمل من (أساس البلاغة) إلا المجاز وما تركه فهو على الحقيقة وهناك ما هو مجاز ولم يصرح الزمخشري بذلك :

إن ابن حجر أسقط ما صرح به الزمخشري أنه مجاز وذلك في مادة (اليثب) إذ يقول في الأساس : " ومن المجاز : هذا غلام قد تأثب السلاح أي لبسه وتأثب القوس إذا أخرج منكبيه من حمالة القوس فصارت على كتفه " . وسبب إسقاط هذه المادة أن ابن حجر لم يرها مجازا ، وهو ما يشير إليه في مقدمته بقوله : " فمن لم يجد في هذا المختصر شيئا فليجزم بأنه وضع على سبيل الحقيقة " (٢)

وأما إيراد ابن حجر لما يعده الزمخشري من المجاز ففي مادة (أتى) فالزمخشري لم يذكر شيئا من معانيها على أنه من المجاز لكن ابن حجر لا يلبث أن يختار من هذه المادة معاني يوردها في (غراسه) على أنها مجاز فيقول : " تأتي له الأمر إذا تسهلت له طريقه . وتأثى له أمره حتى انجبر . وأدى اتاوة أرمنه : أي خراجها ، وضرب عليهم الاتاوة : أي الجباية " (٣) .

(١) الأساس ، مقدمة المحقق و

(٢) المرجع السابق و ، ز

(٣) المصدر نفسه ز

يتبين من هذا أن ابن حجر يعدها من الثمجاز وأن لم يعدها منه
الزمخشري في أساس البلاغة .

طبع الكتاب لأول مرة في القاهرة في مجلدين سنة ١٢٩٩ هـ بمطبعة مصطفى

وهبي وفي لكتنهو سنة ١٣١١ هـ وبمطبعة محمد مصطفى بمصر ١٣٢٧ هـ ثم

بمطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤١ هـ في مجلدين (١) وطبع بالمفتوتواؤفست

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م . (٢) وطبع بمطابع الشعب في مصر ١٩٦٠ م وطبع

بدار صادر بيروت ١٩٦٥ م . (٣)

— أعجب العجب في شرح لامية العرب :

كتاب يشرح فيه الزمخشري تسمية الشنفرى التى مطلعها :

أقيموا بنى أمى مطايا صدوركم فانى إلى قوم سواكم لأميل

وشرحه هذا يتسم بالاسهاب والاستطراد فى المسائل النحوية حتى

كان النحو مقصودا بهذه الدراسة وقد اقتصر فى اللغة على شرح المفردات

ويستشهد بالآيات القرآنية وبالكثير من الأبيات الشعرية .

للكتاب نسخ مخطوطة فى : الأسكوريال ثانى ٤٦٢،٤ وباريس أول

٣٠٧٧ ، ولييزج أول ٤٩٨ ، القاهرة : ١٧٠٠ الف ، والاسكندرية أدب ١٣٥ الف

وبرلين ٧٤٧٠ . (٤)

طبع الكتاب بمطبعة الجوائب فى الآستانة سنة ١٣٠٠ هـ وطبع فى القاهرة

ومعه مجموعة شروح : شرح للمقصورة الدريدية ، ومقامات عمر بن الوردى ،

(١) المعجمات العربية ص ٢٨ — اساس البلاغة المقدمة س

(٢) اساس البلاغة الغلاف

(٣)

المعجمات العربية ص ٢٨

(٤) بروكلمن ١ : ١٠٧

وديون ابن الخشاب سنة ١٣٢٨ هـ . (١)

وطبغنى مجموعة أخرى بمصر أيضا ١٣٢٤ هـ يليه شرحان لابن زاكور المغربي

ولابن أحمد المالكي . (٢)

— الجبال والامكنة والمياه :

كتاب أشبه ما يكون بمعجم جغرافى ، يذكر فيه أسماء الجبال والامكنة والمياه وما يتعلق بها من أخبار أدبية .

والمكتاب بلا مقدمة سوى سطر واحد بعد التسمية يقول فيه : الحمد

لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين .

ويرتب الكتاب ترتيبا هجائيا يقوم فيه بتعريف موجز لكل جبل أو مكان

أو ماء على هذا الترتيب إلى نهاية الكتاب فبيداً بأبى قبيس فيقول :

الجبل المشرف على الصفا يسمى برجل من مذبح كان يكنى بأبى قبيس

لأنه أول من بنى فيه ، وكان يسمى فى الجاهلية الأمين لأن الركن كان

مستودعا فيه ، وهو أحد الأخشبين . ويتبعه بباقى الجبال ثم الامكنة ،

ثم المياه .

وينهى الكتاب بالمياه التى بين مكة وينبع يبدأها بالعذبية والخشمة

وهما قليان وينهيها بسرف ، وهى بئر .

وقد رجع الزمخشري فى مادة الكتاب إلى : كتب اللغة ، وأشعار المتقدمين

من الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين وقد أفاد مما وجدته فى شعر

العباسيين كابى نواس . (٣)

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٨ — بروكلمن ١ : ١٠٧

(٢) معجم المطبوعات العربية ص ٦٧٤ — دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٨

(٣) الجبال والامكنة والمياه ص ٨

وأُفاد من الأصمعي ^{ونقل} ونقل عن علي بن وهاس .

ترجم الكتاب إلى اللاتينية (١) ونشره المستشرق سافودي، جراف بليدين سنة ١٨٥٦م ، ١٨٨٥م وطبع بالنسف سنة ١٩٦٢م وبغداد ١٩٦٨م .

— باب اللغة :

وهو شرح لمقامات الزمخشري طبع مع المقامات في المطبعة العباسية بمصر ١٣١٢هـ ثم ١٣٢٥هـ ولم يرد ذكر هذا الكتاب بذلك الاسم في المراجع التي حصلت عليها ، ولكن أشار إليه ياقوت بقوله (شرح مقاماته) (٢) .

وقد الفيت الزمخشري يسميه هذه التسمية في خاتمة شرحه لمقاماته .

ب- الأدب :

— ربيع الأبرار :

منه الزمخشري بعد كتابه (الكشاف) وكان الدافع إلى تأليفه إجماع خواطر الناظرين في الكشاف وترويح قلوبهم التي ارهقها أعمال الفكر في استخدام ودائع علمه وخباياها كما أن تكون مطالعته ترفيها لمن أصابه الملل . (٣)

والكتاب مرتب على اثنين وتسعين بابا ، ويفهم مما أورده حاجي خليفة في كشف الظنون " إن هذا ليس ترتيب المؤلف . فهو يقول : " ورتبه بعضهم إلى اثنين وتسعين بابا " ويقول المحقق : " إن جميع النسخ التي صارت إلى مرتبة هذه الابواب متفنة فيها ونسق الكتاب يقتضى هذا الترتيب (٤)

(١) البلاغة القرآنية ص ٥٧

(٢) معجم الادباء ١٩ : ١٣٤

(٣) ربيع الأبرار ١ : ٣٦

(٤) المرجع السابق

والزمخشري يذكر في كل باب ما يتصل به من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما ورد من أقوال الصحابة ، ثم يتبعه بأقوال التابعين ، والزهاد ، والنسك ، والحكماء ، والفلاسفة ، ومشاهير الرجال من الأدباء ، والشعراء ، والحكام من العرب واليونان ومن ذكرهم بعد الرسول الكريم والخلفاء الراشدين : جابر الصحابي وأبو سفيان وسفيان الثوري ، والحسن البصري ويحيى بن أكثم وأبراهيم بن المهدي وعمرو بن عبيد وخالد بن صفوان وقتيبة بن مسلم الباهلي ومعاوية البرمكي والمهدي وزبيدة وأفلاطون ، وسقراط ، وجالينوس والاسكندر . . . وغيرهم وهو يكثر فيه من الرويات الطريفة . والكتاب في جملته يشبه الكتب التي الفت قبل زمن الزمخشري في مثل

موضوعه كعيون الاخبار والعقد الفريد . ومن أمثلته : (١)
 في معايشة الناس وملاقاتهم ومصافحتهم ومراسلتهم وذكرهم وزيارتهم :
 قال : جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، : من اخلاق النبيين والمديقين البشاشة اذا ترآءوا والمصافحة اذا تلاقوا والزائر في الله حق على المزور اكرامه .

وذكر في هذا الموضوع بسبع عشرة حكاية واحدة منها غير مسندة وأما أصحاب الحكايات الاخرى غير جابر فهم : الققعاق بن ثور الهذلي ، وابو خليفة الجمحي ، وابو تمام والمعري وابن عباس واخليل بن احمد ، وهشام بن عبد الملك والمنصور والشافعي ، واردشير وثباذ وبهرام جور ، ومعاوية ، ولبيد ، وعلى هذا النسق يسير حتى نهاية الكتاب .

الكتاب مخطوط بدار الكتب بدمشق المسرية رقم ١٥٥ أدب ، (١) وله مختصرات كثيرة وطبع بالقاهرة ، وبغداد ١٩٧٦ م .

— المستقصى في أمثال العرب :

كتاب في الأمثال العربية وتبها الزمخشري على حروف الهجاء حسب أوائل الأمثال ، وقد أشار في مقدمته إلى القيمة الأدبية لهذا النوع من الأدب ، وأن الأمثال قصارى فصاحة العرب وجوامع كلمها ونوادير حكمها ويلاغتها التي أعرب بها عن القرائح السليمة . (٢)

ويضم الكتاب ثلاثة آلاف وأربع مائة وواحد وستين مثلاً ، وفرغ من تأليفه

في شهر رمضان ٤٩٩ هـ . (٣)

وطريقته أنه يأتي بالمثل ثم يأخذ في شرحه ويسنده لقائله . مثال :

أنجز حر ما وعد .

قال : نجز الوعد إذا نفذ وأنجزته قاله الحارث بن حجر الكندي

لمنزل بن نهشل ، وكان له مريع بنى حنظلة فجعل للحارث الخصر منه ان

دلّه على غنيمة ففعل ، ووفى هو بوعده يضرب في استنجاز المواعيد . (٤)

للكتاب مخطوطة في حزانة السيد حسنى عبدالوهاب بتونس وله

مخطوطات عدة في استانبول زيادة على المخطوطات التي ذكرها بروكلمن .

وهناك مختارات من هذا الكتاب اسمها زبدة الأمثال بجمعها مصطفى بن

(١) الزمخشري ص ٦٢

(٢) الزمخشري : المستقصى المقدمة — الوفيات ٥ : ١٦٨ .

(٣) ربيع الأبرار المحقق ١ : ٢٣

(٤) المستقصى ١ : ٣٨٤

(١) ابن ابراهيم الغالبيولى (ت ١٠٢٤ هـ) مع شرح فارسى وحواشيه تركية *
 طبع المستقصى فى مجلدين كبيرين بحيدر آباد سنة ١٣٨١ هـ -

١٩٦٢ م . (٢)

— مقامات الزمخشرى :

هى مجموعة من الرسائل الخلقية ، بدأ مقدمتها بالدعاء لقارئها واستهل كل مقامة مخاطبا نفسه بقوله : (يا أبا القاسم) . وسميت بالمقامات أو (النصائح الكبار) وهى خمسون مقامة فى النصح والارشاد وجهها إلى نفسه ولكل منها عفوان وكأنه اختار تلك العناوين لتكون الشعب التى يسلكها فى حياته الجديدة بعد مرضته التى سماها المنذرة ، فمن هذه العناوين : مقامة التقوى ، ومقامة الرضوان ، ومقامة الزهد ، ومقامة الصمت ، ومقامة القناعة ، ومقامة الحفة ومقامة التوحيد ، ومقامة الشهامة ، ومقامة العزم وقد ألفها فى سنة ٥١٢ هـ بعد شفائه من مرضته (المغذرة) .
 وقيل إنه زاد عليها إسنت رسائل من موضوعات مختلفة ، كالنحو والحروفي وأيام العرب . (٢) . وقد شرحها الزمخشرى نفسه شرحا مفصلا ، تعرض فيه للغة والنحو واستشهد بالقرآن الكريم ، والحديث ، الشريف ، وكلام العرب من شعر ونثر .

طبعت المقامات مع شرحها فى المطبعة العباسية بمصر .

(١) بروكلمن ٢ : ٤٢٣ — دائرة المعارف الاسلاميه ١٠ : ٤٠٨

(٢) الزمخشرى ص ٥٩

(٣) درويش الجندى : النظم القرآنى فى تفسير الزمخشرى ص ٤

— النصائح الصغار أو (أطواق الذهب) :

منها مائة مقالة كلاً منها في بسطة أسطر بغير عنوان ، وهي في المواعظ ،
ألفها بمكة المكرمة ليتقرب بها الى الله ، وينسرع إليه أن يفيض عليها من
البركة والقبول وأن يحفظ منها ما أوجب للجار من حق الذمام والذمار ،
لأنها وجدت في حرمة المطهر ، وقيل إنه كان يطوف ببیت الله فإذا فرغ
من الطواف أَلَّف مقالة ، ثم يقوم ويطوف وينشئ بعد الفراغ مقالة أخرى ،
وما زال على ذلك حتى بلغت مائة مقالة . (١)

والكتاب مؤلف قبل تفسير الكشاف فقد ورد نص منه فيه يقول : وفي
النصائح الصغار : " املأ عينيك من زيناً هذه الكواكب واجملها في جملة هذه
العجائب متفكراً في قدرة مقدرها متديراً حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر
ويحال بينك وبين النظر . . (٢)

شرح الكتاب الشيخ يوسف افندي الأسيير (٣) وشرحه الميرزا يوسف خان
وسمى شرحه (قلائد الأدب في شرح أطواق الذهب)

وسار على نهج أطواق الذهب شرف الدين عبدالمؤمن بن هبة الله .
المغربي في تأليف كتابه (اطباق الذهب) وقال : إنه حذى حذوه واقتفى
أثره وخطاوه . (٤)

(١) الزمخشري للحوفي ص ٢٨٠ (٢)

(٢) الكشاف ١ : ١٨١

(٣) ولد في صيدا وتعلم بالآزهر ، والاسير لقب جده كان الاغرنجة قد
اسروه بمالطة ولما عاد الى صيدا عرف بالاسير . من كتبه رائد الفرائض وشرح
اطواق الذهب (ت ١٣٠٧ هـ)

(٤) الزمخشري ص ١٨١

- كما حاكاه السيد توفيق البكرى فى كتابه سمها ريج اللؤلؤء * ثم أحمء
شوقى فى كتابه أسواق الذهب ، مع اختلاف الموضوعات وتفاوت العبارات * (١)
طبع الكتاب مع ترجمة المانية بفينا سنة ١٨٣٥م ونشره (فلايشر) فى
نفس السنة فى ليبسك ونشره (باريه دى مينار) مع ترجمة فرنسية فى باريس
١٨٧٦م ، (٢) وطبع مع ترجمة تركية فى استانبول ١٢٨٨هـ ، وطبع بشرح
الشيخ يوسف الاسير ببيروت ١٢١٤هـ وطبع بشرح الميرزا يوسف خان بمطبعة
التمدن بمصر ١٣٢١هـ * (٣) وطبع بمطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ ،
ومطبعة المحمودية بالقاهرة ١٩٢٥م * (٤)

— نوابخ الكلم :

كتاب فى الاءب الانشائى يأخذ طابح التنسك وبعو حكم قصار مسجوعة

سجعا ملتزما *

وقء ألف الكتاب قبل الكشاف فهو يقول فيه : " وفى نوابخ الكلم ،
صنوان من منح سائله ومن ومن منح نائله وضم " (٥)

شرح نوابخ الكلم سعد الدين التفتازانى وشرحه أبو الحسن بن عبدالوهاب

(ت٧٠١هـ) (٦) للكتاب مخطوطة بءار الكتب المسرية رقم ١٣٤٧٨ ز (٧)

(١) الزمخشرى ص ١٨١

(٢) البلاغة القرآنية ص ٥٧

(٣) الزمخشرى ص ٨٢

(٤) الزمخشرى ص ٨٣

(٥) الكشاف ١ : ١٨١

(٦) البلاغة القرآنية ص ٥٥

(٧) الزمخشرى ص ١٢

لجميع الكتاب سنة ١٧٧٢م بعناية المستشرق الهولندي (شلتز) مع
ترجمة إلى اللاتينية وطبعه المستشرق الفرنسي (مينار) مع ترجمة فرنسية
١٨٧١م وطبع في بيروت ١٢٠٦م، وطبع بمصر سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م
وطبعة أخرى ١٩٢٧، (١)

- الدر الدائر، المنتخب في كذايات واستعارات وتشبيهات العرب؟
رسالة صغيرة
منتخبة من كذايات واستعارات وتشبيهات العرب والغرض
من ناليفها بيان أن العربية تنقسم إلى ظاهر لا يخفى على سامعيه • ومشتغل
على الكنايات، والاشارات والتجوز.

والقسم الثاني هو المستحلى عندنا، ثم أخذ يضرب الأمثال العربية
من شعر ونثر ويتبعها بنظائرها من الآيات القرآنية الكريمة •
ذكر بروكلمن عن (الدر الدائر) أنها الرسالة الوحيدة وهي محفوظة
اليوم في مكتبه جامعة كارل ماركس لايبزك تحت رقم ١-٧٧٨ وهي تتألف من
عشر ورقات • (٢)

وفي دائرة المعارف أنه لم يبق من مؤلفه إلا قطعة موجودة في ليبسك
رقم ٨٧٣ و١٠ (٣)

نشرت مجلة المجمع العلمي العراقي هذه الرسالة في المجلد السادس
عشر ثم نقلته الدكتورة بهيبة الحسنی في رسالة صغيرة •
القصيدة البعوضية : (٤)

لها مخطوطة ببرلين ونشرت في مجلة الاستاذ المصرية سنة ١٩٦٧م •

(١) البلاغة القرآنية ص ٥٩

(٢) الزمخشري : الدر الدائر المحقق ص ٣

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٨

(٤) ربيع الأبرار المحقق ١ : ٢٣ - البلاغة القرآنية ص ٥٦

— قهيدة رثاء :

رثى فيها شيخه أبا مضر وهى من القصائد التى جمعت فى ديوان
الفهرست الطبعة الثانية ، بالقاهرة الجزء الثالث ١٣١ ، ونشرت فى العزى
مضمون طبعة يهودا ص ١٦ وما بعدها . (١)

فى العروض

— ج —

— القسطاس المستقيم :

(٢)

للكتاب مخطوطة ببرلين وطبع فى مطبعة النعمان فى النجف ١٩٧٠م
بذا ثبت بالكتب التى طبعت للزمحشرى فظهرت للوجود ، والتى أمكن
الحكم على مادتها العلمية ، أما التى لم تظهر للوجود ولا ندرى على وجه
اليقين فى أى فرع هى من فروع الدراسات العربية والدينية ، ولذلك لم
أعمد الى تعيينها وتقسيمها حسب نوعها .

وتمازى ما جهدت فيه أنى جمعت الأشباه والنظائر التى يبدو من اسمها
وجود نوع من التفاوت وذلك من باب التسديد والتقريب وقد أتبع ذلك
فى المخطوطات والمفقودات على سواء .

المخطوطات :

— المنهاج فى أصول الدين :

سماه ابن خلكان " المنهاج فى الأصول " .
توجد منه نسخة خطية فى مكتبة برلين تحت رقم ٦١٥ . (٣)

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٤٠٨ : ١٠

(٢) البلاغة القرآنية ص ٥٠ — ربيع الابرار ١ : ٢٤

(٣) وفيات الأعيان ١٦٨ : ٥

رؤس المسائل :

وسماه ابن خلكان ، وابن العماد (رسالة في الفقه) .

له مخطوطة في مكتبة جستر بيتي برقم ٣٦٠٠ . (١١)

مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة :

وكتاب الموافقة هذا تأليف أبي سعيد الرازي . توجد من هذا

المختصر مخطوطة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية . (٢)

الكشف في القراءات العشر :

ذكر في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثامن ص ٧٥٨ ، وهو

مخطوط بالمدينة المنورة . (٣)

قصيدة في مسألة الغزالي ، كيف يجلس الله - عز وجل - على العرش :

لها نسخة خطية ، في مكتبة برلين رقم ٦٨٨ ط . (٤)

رسالة في قوله تعالى : " ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرتكم " :

منها مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم عام ٨٥٦٢ . (٥)

شرح شواهد كتاب سيوييه :

يوجد منه نسخة خطية في مكتبة أحمد الثالث في استانبول . (٦)

شرح المفصل :

وسماه السيوطي (شرح بعض مشكلات المفصل) وذكره ياقوت باسم

(١) الشذرات ٤ : ١١٨ - الوفيات ٥ : ١٦٨

(٢) ربيع الابرار ١ : ٢٤

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٧

(٤) البلاغة القرآنية ص ٥٦٥ - ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٤

(٥) الأحاجي النحوية ١ لمحقق ص ٦

(٦) المفرد والمؤلف المحقق ص ٨

(حاشية على المفصل) وذكره طائش كبرى زادة باسم (شرح بعض مشكلات المفصل

للكتاب مخطوطة فى مكتبة ليدن برقم ١٦٤ وأخرى بفينا تحت رقم ١٤٥،

وثالثة فى مكتبة جستر بيتى برقم ٣٦٥٥ تاريخ نسخها سنة ٧٦٤هـ (١)

- نكت الاعراب فى غريب الاعراب :

ذكره ياقوت والزركلى . توجد له مخطوطة فى دار الكتب المصرية ،

تألف من خمس وستين ورقة تحت رقم ٢٥١٠٢ ب . (٢)

- تعليم المبتدى وارشاد المقتدى :

توجد منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ضمن مجموعة رسائل برقم

٤٢٥٤ س . (٣)

- نزهة الموءتس ونهزة المقتبس :

ذكرته دائرة المعارف الاسلامية وتذكر أنه يدخل فى باب الادب ،

ويمكن أن نعهه ضربا من أدب فقهاء اللغة ، وذكره ياقوت باسم "نزهة

المستأنس" وهو مخطوط فى أياصوفيا برقم ٤٣٣١ . (٤)

ولكننى وجدت هذا الاسم فى مقدمة كتاب ربيع الابرار ويعنى به الزمخشرى

كتاب ربيع الابرار نفسه ، فلا أظن أن هناك كتابا مستقلا بهذا الاسم ،

كما أظن أن اختيار هذا العنوان هو فعل النساخ بعد ضياع العنوان

الحقيقى لربيع الأبرار من بعض المخطوطات ولعل النسخة المخطوطة فى

أيا صوفيا لو حققت لانجلت الحقيقة .

(١) معجم الادباء ١٩ : ١٣٣ - ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٤

(٢) معجم الادباء ١٩ : ١٣٣ - الزركلى الأعلام ٨ : ٥٥

(٣) ربيع الابرار المحقق ١ : ٢٤

(٤) معجم الادباء ١٩ : ١٣٣ - دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٤٠٨

المنتقى :

وهو كتاب انتقاه من شرح شعر المتنبي للواحدى .
يوجد منه نسخة خطية فى مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة رقم ٩٥ . كتبت
سنة ٦٣٣ هـ فى ١٣٦ ورقة تحدث عنه الزركلى فى المستدرک . (١)

ديوان شعر :

مبوب على نظام حروف الهجاء للقوافى والواضح أن الذى دفع الزمخشري
لجمع نتاج قريحته ، هو ابن وهاس ، إذ طلب منه ذلك (٢) ورجع الدكتور الحوفى
فى كتابه (الزمخشري) إلى نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية كما رجح الجوينى
فى كتابه (منهج الزمخشري فى تفسير القرآن) إلى نسخة أخرى بمكتبة
الاسكندرية وذكرت الدكتورة بهيجة الحسنى أنها عثرت على نسختين لديوانه
من عائلتين مختلفتين . (٣)

ديوان المنظوم :

وهو غير ديوان شعره فديوان المنظوم مجموعة مختارة من شعر العرب
ضمن الكثير منه كتابه (ربيع الابرار) .
وقد أطلق على بعض نسخه سم (ديوان الادب) وأطلق على نسخة
منه ذكرت فى فهرس مخطوطات مكتبة آل حميد الدين بصنحاء اسم (بستان
العقلاء وديوان الأدباء) نسخت فى سنة ١١٧٠ هـ . (٤)

(١) الاعلام ٧ : ١٧٨ ط ٤ ١٩٧٩ م

(٢) الزمخشري شاعرا ص ١

(٣) ربيع الابرار المحقق ١ : ١٨

(٤) ربيع الابرار المحقق ١ : ١٨

أما الكتب المفقودة من كتب الزمخشري ، أو مجهولة المكان فأهمها ما يلي :

الرائض في علم الفرائض ، شقائق النعمان في حقائق النعمان ،

شافى العبي في كلام الشافعى ، متشابه أسامى الرواة . (١)

الأمالى في النحو ، المفرد والمركب في اللغة . (٢)
صميم العربية ، جواهر اللغة ، الاسماء في اللغة ، شرح المقصورة

الدريدية ، مقدمة الادب في اللغة . (٣)

ديوان التمثيل ، ديوان خطب ، ديوان رسائل ، ديوان المنثور . (٤)

رسالة الاسرار ، رسالة المسامة ، الرسالة الناصحة ، تسلية الضمير ، سوائر

الامثال فضالة الناشد . (٥)

المختلف والموء تلف روح المسائل ، البدور السافرة في الامثال السافرة ،

معجم الحدود كتاب الأجناس كتاب عقل الكل ، ثلاث مجامع من الحكم . (٦)

(١) معجم الادب ١٣٤٤:٥ - الوفيات ٦٨:٥ - الكشاف ٣٠٧:٤

(٢) معجم الادب ١٣٣:٥ - الوفيات ١٦٨:٥ - الكشاف ٣٠٧:٤

(٣) معجم الادب ١٣٤:٩ - الشذرات ١١٨:٤ - بوكلمن ١٧٩:٢

(٤) معجم الادب ١٣٤:١٩ - الوفيات ١٦٨:٥ - ربيع الابرار المحقق ٢٦:١

(٥) المراجع السابقة

(٦) معجم الادب ١٣٤:١٩ - دائرة المعارف ٣٠٨:١٠ - ربيع الابرار ٦:١

الفصل الرابع

الزمخشري والنحو

الزمخشري والنحو

مذهب النحوى :

يعتبر الزمخشري من النحويين المتأخرين ، وقد درس النحو على فحول

العلماء فى عصره ، حتى تفوق على معاصريه منهم .

وقد أدت به دراسة النحو وعمقه فيه أنه كان يرى أن عامة العلوم

الإسلامية من تفسير ، وفقه وغيرها تحتاج فى تفهمها إلى النحو ، وهو يلمح

أن معظم أبواب أصول الفقه ومسائله مبنية على علم الأعراب ، وأن التفاسير

مشدونة بالروايات عن سيويه ، والأخفش ، والكسائى والفراء وغيرهم من الكوفيين ،
(١)

ويتمثل ذلك فى الكتب السابقة عليه مثل : (معانى القرآن) للفراء

(٢٠٧هـ) و (معانى القرآن وأعرابه) للزجاج (٣١١هـ) و (تفسير القرآن)

للطبرى (٣١٠هـ) وغيرها .

فلعل الدافع الإسلامى ، والروح الدينى ، جعلاه يتعمق فى مسائل

النحو ودقائقها حتى أصبح صاحب منهج فى النحو له اجتهاده ومذهبه ،

حتى أنه ليعتبر بعض النحاة كتابه (المفصل) هو القاعدة الثانية بعد كتاب

سيويه . (٢) لمن جاء بعده من الدارسين ، ويعتبر الزمخشري نفسه من

كبار النحاة وأئمتهم . هذا بجانب كونه مبرزا فى الدراسات البلاغية واللغوية

والتفسير .

لهذا ينبغى أن نعرف مذهب النحوى ، حتى نرى موقفه بالنسبة لمن

سبقه من هؤلاء الأئمة من تأييد ومخالفة ، وبذلك نستطيع أن نتخذ موقفا نحكم

(١) المفصل مع ابن يعيش ، ١ : ٨٠

(٢) تطور الدرس النحوى ص ٩٩

من خلاله على شخصيته العلمية يحامة ، ومنهج النحوى بخاصة .
ولنتعرف على مذهبه يجب علينا التعرف على الأسس التى اعتمدها فى
بحثه ، والمصطلحات التى استعملها ، والتى يمكن من خلالها أن نعرف
اتجاهه ومذهبه .

فلو تتبعنا مصطلحاته التى يستعملها نجدنا بصيرية كما نراه يعد نفسه
بصريا ويعبر عن البصريين باسم أصحابنا كما فعل أبو على الفارسى وابن
جنى قبله . وهذه بعض الأمثلة التى تثبت انتماءه للمدرسة البصرية ، وأنه
اختار هذا الانتماء :

جاء فى الفائق : إن التشبش بالانسان المسرة به ، والاقبال عليه وهو
من معنى البشاشة لا من لفظه عند أصحابنا البصريين . (١)
وجاء فى المفصل : أن خبر إن ارتفاعه عند أصحابنا بالحرف ، وعند
الكوفيين هو مرتفع بما كان مرتفعا به . (٢) وكرر كلمة أصحابنا فى أكثر من
موضع فى المفصل . (٣) كما كرره فى غيره من كتبه الأخرى .

بهذا يتبين مدى تقديره للبصريين ، وللمذهب البصرى الذى نستطيع
القول بانتماءه إليه باقتناع .

ومع هذا نجد للزمخشرى اجتهاده الحاص فهو لا يعترف بالتقليد حتى
لمذهبه الذى انتمى إليه راضيا .

(١) الفائق فى غريب الحديث ١ : ١١٠

(٢) المفصل مع شرح ابن يعيش ١ : ١٠١

(٣) انظر المفصل مع ابن يعيش ١ : ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٢ : ٤٥ ، ١٠٠ ،

يقول في مقامة النحو : " ولا تكن في الترجيح بين مذهبين

كالهزمة الواقعة بين بين " . (١)

فقد يؤدبه اجتهاده إلى موافقة البصريين أو الكوفيين ، أو غيرهما من
العلماء النحويين ، وقد يخالف الجميع لرأى رآه صوابا ، واجتريء بعض الأمثلة

من الكثرة الكاثرة التي وافق فيها البصريين :
ما وافق فيه البصريين :

— يرى الكوفيون أن توكيد النكرة بغير لفظها جائز إذا كانت مؤقتة ،

نحو قولك : قعدت يوما كله .

وقال البصريون : إن توكيدها بغير لفظها غير جائز إطلاقا ، وأجمعوا

على جواز تأكيدها بلفظها نحو جائئى رجل رجل . ووافق الزمخشري البصريين

على أن توكيد النكرة بغير لفظها غير جائز . (٢)

— ويرى الزمخشري رأى البصريين فى الاسم الواقع بعد لولا على أنه مرتفع

بالابتداء . فهى داخله على اسم مبتدأ كقولك : لولا على لهلك عمر . (٣)

ويرى الكوفيون أن المرفوع بعد لولا ، بها نفسها ، لنيابتها عن

الفعل فى مثل قولك : لولا زيد لأكرمتك معناه لولا منع زيد . (٤)

— ويذهب كاصحابه من البصريين أن (هلم) مركبة من حرف التنبيه مع

لم محذوفة من هاء الفها ، وعند الكوفيين من هلل مع أم محذوفة

(١) مقامات الزمخشري ص ١٩٨

(٢) المفصل مع ابن يعيش ٣ : ٤٤ — الانصاف ٢ : ٢٦٥

(٣) المفصل ٨ : ١٤٥

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ٨ : ١٤٦

— ويذهب مذهب البصريين في نصب الفعل المضارع بأن مضمرة بعد خمسة أحرف هي : حتى والهلللام، أو بمعنى إلى ، وأو والجمع ، والفاء في جواب الأشياء الستة : الأمر ، والنهي ، والنفي ، والاستفهام ، والتمنى ، والعرض .
ويذهب الكوفيون إلى أن النصب بالحرف ففي قولك جئت لأكرمك فالنصب يكون باللام (٢) .

— ويوافق البصريين في اسم لا النافية للجنس المفرد على أنه مبنى وليس معربا ، يقول : " فإذا ^{كان} أمفردا فـمـو مفتوح ، وخبره مرفوع ، كقولك لا رجل أفضل منك ، ولا أحد خير منك ، ويقول المستفتح ولا اله غيرك " (٣) وعلى خلاف هذا الكوفيون .

— ويوافق الزمخشري البصريين على جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف . يقول في المفصل : " ويجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف في الشعر " (٤) . ويجيز الكوفيون ذلك بخير الظرف .
— ويرى رأى البصريين في أن " كل " و " أجمعون " لا تقع تأكيدا للتركات ، خلافا للكوفيين ، يقول في المفصل : " ولا يقع كل وأجمعون تأكيدا للتركات ، لا تقول : رأيت قوما كلهم ولا أجمعين ، وقد أجاز ذلك الكوفيون فيما كان محدودا كقوله :

(١) المفصل مع ابن يعيش ٤ : ٤١

(٢) شرح المفصل ٧ : ١٩

(٣) المفصل ٢ : ١٠١ — الانصاف مسألة ٩

(٤) المفصل ٣ : ١٩ — الانصاف مسألة ٦٠

قد صرّت البكرة يوما أجمعا . (١)

— ويذهب مذهب البصريين كذلك في أن (رب) حرف جر ، وليست

اسما كما ذهب اليه الكوفيون . (٢)

يقول في المفصل : " ورب للتقليل ، ومن خصائصها أن لا تدخل إلا

على نكرة ظاهرة أو مضمرة ، فالظاهرة يلزمها أن تكون موصوفة بمفرد أو جملة كقولك : رب رجل جواد ، ورب رجل جاء نسي ، ورب رجل أبوه قائم " (٣)

— ويذهب مذهب البصريين في صوغ اسم التفضيل على شروطهم وهي :

أن يصاغ من الثلاثي غير المزيد ، ومما ليس بلون ولا عيب ، فلا تقول في أجباب هو أجوب ، ولا في انطلق هو أطلق . ولا في سمر هو أسمر منه - اللون - ولا في عور هو أعور . ولكن يتوصل إلى التفضيل في نحو هذه

الأفعال بصياغة فعل من فعل مستوف للشروط السابقة ثم يميز بمصادر الأفعال المنوعة مثل : هو أجود منه جوابا ، وأسرع انطلاقا ، وأشد سمره وأقبح عورا . (٤)

ويجيز الكوفيون التعجب من السواد والبياض ، لأنهما أصلان للألوان

واستشهدوا بقوله :

إذا الرجال شتوا واشتد أكلهم فأنت أبيضهم سريال طباخ

(١) المفصل مع ابن يعيش ، ٣ : ٤٤ - الانصاف م ٦٣

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٨ : ٢٧ - الانصاف م ١٢١

(٣) المفصل مع ابن يعيش ، ٨ : ٢٦ - الانصاف م ١٢١

(٤) المفصل ٦ : ٩١

وقول الآخر :

(١) ياليتنى مثلك فى البيان . أبيت من أخت بنى إبانر .

— ويرى ما يراه البصريون من ارتفاع الفعل المضارع لوقوعه مفتح الاسم

وارتفاعه بعامل معنوى نظير المبتدأ وخبره كقولك زيد يضرب ، فارتفاعه بعد

المبتدأ لأن ما بعد المبتدأ من مظان صحة وقوع الاسماء . (٢) وعند

الكوفيين أن ارتفاعه لتجرده من العوامل الناصبة أو الجازمة .

— ويذكر أن أقعل التعجب فى (ما أقعله) فعل وهذا رأى بصرى

يقول : " ومعنى ما أكرم زيدا ، شىء جعله كريماً كقولك أمر أقعده عن
(٣)

الخروج ، ومهم أشخصه عن مكانه ، تريد أن تعود وشخصه لم يكونا إلا لأمر

ويذهب الكوفيون إلى أنه اسم .

— ويرى الزمخشري رأى البصريين فى أن نون التوكيد الخفيفة تؤكد جميع

ما تؤكد النون الثقيلة إلا فعل الاثنين وفعل جماعة الاناث . (٤)

ويرى الكوفيون أن النون المخفيفة تؤكدهما ، لأن النون الخفيفة أصلها

الشديدة فخفت كما خفت أن ولكن . (٥)

— ويذهب مذهب أصحابه البصريين فى أن خبر إن واخواتها مرفوع بالحرف

لأنه أشبه الفعل فى لزوم الاسماء . (٦)

(١) شرح المفصل الهامش ٦ : ٩٣

(٢) المفصل ٧ : ١٢ — الانصاف ٧٤

(٣) المفصل ٧ : ١٤٦ — الانصاف م ١٥

(٤) المفصل ٩ : ٣٧

(٥) ابن يعيش ٩ : ٣٨

(٦) المفصل ١ : ١٠١

ويرى الكوفيون أنه يرتفع بما كان مرتفعا به ولا عمل للحرف فيه .

- ويذكر ما يراه البصريون في أن الميم في (اللهم) وقعت خلفا من ياء النداء . (١) وعند الكوفيين يجتمع الميم مع ياء النداء في الشعر واستدلوا بقوله : (٢)

إني إذا ما حدث ألما دعوت يا اللهم يا اللهم

- ويرى رأي البصريين في أن السبب الواحد لا يمنع من الصرف ، ويرى الكوفيون إجازة منعه في الشعر . (٣)

ما وافق فيه الكوفيون :

- وافق الكوفيون في أن تكون جملة البسمة متعلقة بفعل محذوف تقديره أقرأ ، لا باسم كما ذهب إليه البصريون ، إلا أنه يقدر الفعل مؤخرا ومناسبا لما جعلت البسمة مبتدأ له فيقدر باسم الله آكل بسم الله أرتحل ، ويزيده الحديث باسمك ربي وضعت جنبى . (٤)

- جاء في المفصل أن (ما) في كيمه اختلف في إعرابها فهي عند البصريين مجرورة ، وعند الكوفيين منصوبة بفعل منمر . كأنك قلت : كي تفعل ماذا ؟ وما أرى هذا القول بعيدا عن الصواب . (٥)

- وقال في الفائق : وما أدري من تكثر التقاء مضاعف الثلاثي والرباعي

(١) المفصل ٢ : ٦٦

(٢) ابن يعيش ٢ : ١٦

(٣) المفصل ١ : ٦٨

(٤) الكشاف ط الحذلي ١ : ٢٢ = معنى اللبيب على الأمير ٢ : ٤٤

(٥) المفصل ٩ : ١٤

- (١) يكاد يستهوينى إلى الإيمان بمذهب الكوفيين ، لولا تنمر أصحابنا وتشددهم .
 وذهب إلى أن (ال) فى قوله تعالى " تجرى من تحتها الأنهار " أن
 المراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الانفاة ، كقوله تعالى "
 واشتعل الرأس شيبا "

قال أبو حيان : وهذا الذى ذكره الزمخشري وهو أن الألف واللام

- (٢) تكون عوضا عن الاضافة ، ليس مذهب البصريين بل شئ ذهاب اليه الكوفيون
 — وجاء فى الكشاف فى قوله تعالى : " وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا "
 فان قلت : بم تعلق قوله فى انفسهم ؟ قلت : بقوله تعالى بليغا ، أى
 قل لهم قولا بليغا فى انفسهم . (٣)

وقال ابو حيان : وتعليقه فى انفسهم بقوله بليغا لا يجوز على مذهب

البصريين لأن معمول الصفة لا يتقدم عندهم على الموصوف ، وأجاز ذلك

الكوفيون . (٤)

- وجاء فى الكشاف فى قوله تعالى : " فتقعد مذموما مخذولا " (٥)
 أن فتقعد بمعنى فتصير فيكون اسمها ضمير المخاطب ، وخبرها مذموما .
 وهذا أرغف شيوخ الكوفيين كالفرأء والكسائى . أما البصريون فلا يثبتون (تعد)
 بمعنى صار إلا فى المثل " شحذ شفرته حتى قعدت كأنها حربة " (٦)

(١) الفائق ٣ : ١٩٦

(٢) ابو حيان : البحر المحيط ١ : ١١٣ — البقرة آية ٢٥ — مريم آية ٤

(٣) الكشاف ١ : ٤٠٤

(٤) البحر المحيط ٣ : ١٨١

(٥) الكشاف ٣ : ٢٨٨ — الاسراء آية ٢٢

(٦) الاشمونى . وحاشية الصباك ١ : ٢٩٩

— وفي الكشف أيضا في قوله تعالى : " وما تلك بيمينك يا موسى " (١)

قال : ويجوز أن تكون (تلك) اسما موصولا ، صلته بيمينك وهذا

مذهب الكوفيين . وليس ذلك في مذهب البصريين إلا في (ذا) وحدها إذا
سبقت بما أو من الاستفهاميتين . (٢)

موافقاته لبعض النحاة :

إذا كان فيها سبق من موقعه من المدرستين النحويتين فإن له مواقف

خاصة مع بعض النحاة ولا سيما بعض البارزين من أئمتهم ، والخص ذلك

فيما يلي :

الزمخشري والخليل بن احمد :

— وافق الزمخشري الخليل على إضمار فعل في قول الشاعر :

ألا رجلا جزاه الله خيرا .

قال : على إضمار فعل ، كأنه قال : ولا أرى خلة . (٣)

— ووافق على حذف العائد من جملة الصلة . وقد سماه الراجع — قال :

"وقد يحذف الراجع كما ذكرنا ، وسمع الخليل عربيا يقول : ما أنا بالذي قائل

لك شيئا ، وقرئ (تماما على الذي أحسن) . بحذف صدر الجملة . (٤)

— ووافق الزمخشري الخليل على تصغير (فعل التعجب) على غير قياس . (٥)

(١) الكشف ٢ : ٢٩٨ — طه ١٧ الانصاف ٢ : ٤٢٥

(٢) الانصاف ٢ : ٤٢٥

(٣) المفصل ٢ : ١٠١ — معنى اللبيب تحقيق المبارك من ٦٦٥

(٤) المفصل على ابن يعيشر ، ٣ : ١٥٢

(٥) المفصل ٥ : ١٣٤

(١)
 فالقياس يأبى تصغير الفعل ، لأن الغرض من التصغير وصف الاسم بالصغر .
 وأما قولهم ما أميلحه ، فينقل رأى الخليل تاءً لا : وإنما يعنون الذى تصفه
 بالملاحة كأنك قلت زيد مليح . (٢)

— وأخذ برأى الخليل فى حروف العطف (الواو ، والفاء ، وثم) : (٣)
 بين أن تدخل المعطوف فى حكم المعطوف عليه وتشركه فى معناه ، أو أن
 تقطعه وتستأنف ، واستشهد بقول الخليل فى بيت عروة العذرى :
 وما هو إلا إن أراها فجأة فابتهت حتى ما أكاد أجيب

إذ خير الخليل بين النصب والرفع فى فابتهت .
 ومما جاء منقطعاً قول أبى اللجاء التخلبى :
 على الحكم المأتى يوماً إذا قضى قضيته أن لا يجور ويقصد
 أى عليه غير الجور ، وهو يقصد . (٤)

مما وافق عليه سيبويه :

— ذهب الزمخشرى مذهب سيبويه فى أن الفاعل قد يجىء ورافعه
 مضمراً ، كما فى قوله تعالى : " يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال " فيمن
 قرأها مفتوحة الباء أى يسبح له رجال ، واستدل ببيت الكتاب : (٥)
 ليبيك يزيد ضارع لخصومه ومختبب فيما تطيح الطوائح

(١) ابن يعيش : ٥ : ١٣٥

(٢) المفصل : ٥ : ١٣٤

(٣) المفصل عن ابن يعيش : ٧ : ٣٨

(٤) ابن يعيش : ٧ : ٣٩

(٥) المفصل مع ابن يعيش : ١ : ٨٠

- ورأى رأييه في أن المبتدأ اذا تضمن معنى الشرط ودخلت عليه ان يجوز دخول الفا على خبرها ، كما في قوله تعالى : " اء الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " وقوله تعالى : " قال ان الميت ادم . تفوه . منه فانه ملائكم " . وقوله تعالى : " اء

الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين فيشرهم بعذاب أليم " . (١)
- ورأى رأييه في أن اسم الإشارة لا يوصف الا بما فيه الألف واللام ، مثل : يا هذا الرجل ، ويا هؤلاء الرجال ، واستشهد ببیت الكتاب : (٢)
يا صاح ياذا الضامر الحنس .

- وفي الكشاف ، في قوله تعالى : صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون " (٣)

قال : " صبغة الله " مصدر مؤكّد ومنتصب على قوله " آما بالله " كما انتصب و(وعد الله) " ونحن له عابدون " عطف على (منابالله) وهذا العطف يرد قول من زعم أن " صبغة الله " بدل من (مله ابراهيم) أو نصب على الاغراء ، بمعنى عليكم صبغة الله ، لما فيها من فك النظم عن انتظامه واتساقه ، وانتصابها على مصدر مؤكّد هو الذى ذكره سيويه ، والقول ما قالت حزام . (٤)

(١) المفصل اضة ٩٩ - ابن يحيى ١٠١ : ١ - الاحقاف آية ١٣

الجمعة آية ٩ - آل عمران آية ٢١

(٢) المفصل مع ابن يحيى ٢ : ٧

(٣) البقرة آية ١٣٨

(٤) الكشاف ١ : ١٤٧ - النحو وكتب التفسير ١ : ٧١٥

موا وافق فيه الفراء ؛

— فى قوله تعالى : ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون (١)

قال ابن هشام : ومن العجب ان الفراء والزمخشري قدروا العطف

المذكور ولم يقدروا المضاف المحذوف ، ولا يصح العطف إلا به . (٢)

— وفى قولك زيد ضرب فى الدار اخوه ان يكون فاعلا بالظرف لاعتماده

على ذى الحال وهو ضمير زيد المقدر فى ضرب وأن يكون نائباً عن فاعل

ضرب على تقديره خالياً من الضمير ، وان يكون مبتدأ وخبره الظرف والجملة

حال والفراء والزمخشري يريان هذا الوجه شاذاً رديئاً . (٣)

— ووافق الزمخشري الفراء على الجزم فى جواب هل ، فى قوله تعالى

"يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة .. إلى قوله يغفر لكم ذنوبكم" (٤)

جعل الفراء (يغفر لكم) مجزوماً فى جواب هل أدلكم قال : وقوله

(يغفر لكم . جزمتم فى قرأتنا فى هل ، وتأويل هل أدلكم) أمر فى المعنى

كقولناك ^{للرجل} المرجيل : هل أنت ساكت ، معناه اسكت ، . (٥)

وقال الزمخشري : " فان قلت : هل لقول الفراء انه جواب (هل) :

أدلكم (وجه ؟

قلت : وجهه ان متعلق المدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان

(١) النحل آية ١٦

(٢) مغنى اللبيب المبارك ص ٤٤٣

(٣) المرجع السابق ص ٦١٥ ، ٦١٦

(٤) الصف آية ١٠-١٢

(٥) الدكتور رفيدة : النحو وكتب التفسير ١ : ٧٣٢

والجهد ، فكانه قيل : هل تتجربون بالآيمان والجهاد يخفر لكم • (١)

— وأخذ برأى الفراء في أن حرف الصلة (ان) اذا دخل على ما

النافية أكد معنى النفي •

قال : ودخول ان صلياً أكدت معنى النفي • واستشهد بقول دريد^(٢)

ما ان رأيت ولا سمعت به كالسيوم هانيء أينق جرب

وذهب الفراء الى أن ما وان جميعاً للنفي ، كأنها تزداد (ما) ههنا

على النفي تأكيداً للنفي ، كما تزداد اللام تأكيداً للإيجاب في قولك ان

زيدا لقاتم • (٣)

قال ابن هشام : وأجاز الفراء والزمخشري أن تقطع (كل) المؤكد بها

من الأضافة لفظاً ، تمسكا بقراءة بعضهم (انا كلاً فيها) • (٤)

ورد عليهما قائلان : والأجود أن تقدر كلا بدلا من اسم ان وانما

جاز ابدال الظاهر من الضمير بدل كل ، لانه مفيد لدخاطة • (٥)

ما وافق فيه الأخفش :

— وافق الزمخشري الأخفش في أن الكاف تأتي كثيرا في النشر مرادفة

لمثل ، فتحرب اعرابها ، وتخرج من حرفيتها الى الاسمية ، وذلك أن يحرب

في مثل : زيد كالأسد أن تكون الكاف في موضع رفع ، والاسد مخفوضا بالأضافة

ومثله قوله : (٦)

• يضحكن عن كاليرد المنهم •

(١) الكشاف ٤ : ٤٢١ — النحو وكتب التفسير ١ : ٢٢٢

(٢) المفصل مع ابن يحيى ٨ : ١٢٩

(٣) ابن يحيى ٨ : ١٢٩

(٤) مخني اللبيب مع الأمير = ١٥٦١

(٥) المرجع السابق

(٦) المفصل مع ابن يحيى ٨ : ٤٢ — مخني اللبيب مع الأمير ١ : ١٥٤

- ووافقه على الأفعال المتعدية الى ثلاثة مفاعيل ، وهى منقولة بالهمزة
عن الأفعال المنقولة الى مفعولين ، وهما فعالان : أعلت ورأيت ، وكان
الأخفش يقيس عليهما سائر أخواتهما • فيجيز أظن يزيد عمرا أخاك قائما ،
وأزعم بكر محمدا جعفرا مطلقا • (١)

- وأخذ برأيه في ابدال التاء من واو القسم في تالته خاصة واستشهد
بقول الأخفش (تروى الكعبه) (٢) فالتاء تدخل على طريق الاختصاص
بالاسم الذى يكون القسم به أكثر ، وقد يكون فيها معنى التحجب ، في
قوله تعالى : " تالته تفتأ تذكر يوسف " على طريق التحجب ، وقال تعالى
" وتالته لأئيدن أصنامكم " (٣)

• وذهب مذهب الأخفش في أن لمعل فيها معنى التضى .
قال : وقد لمع فيها معنى التضى من قرأ (فأطلع) بالنصب . . .
وقد أجاز للأخفش لمعل أن زيدا قائم تاسها على ليت • (٤)
ما وافق فيه العبرد :

- وافق العبرد في قوله تعالى : " لا حول ولا قوة الا بالله " على
رفع الأول ، بأن تكون " نافية وما بعدها مبتدأ • وهو المذهب
الضعيف عند سيبويه • (٥)

وأخذ برأيه في وقوع المصدر (حال) في كل ما دل عليه افعل تقول :

(١) المفصل ٦٥ : ٧ - ابن يحيى ٦٦ : ٧

(٢) المفصل ٣٢ : ٨ - ابن يحيى ٣٤ : ٨

(٣) سورة الأنبياء آية ٥٨

(٤) المفصل ٨٦ : ٨ - معنى اللبيب ٣٣ : ١

(٥) المفصل ١١٢ : ٢ - ابن يحيى ١١٣ : ٢

ثم قائما ، وقوله :

• ولا خارجا من في زور كلام •

وكذلك قتلته صبرا ، ولقيته فجاءة وعيانا وكلمته مشافهة ، وأتيته ركنا

وعدوا ومشيا • (١)

وهذا عند سيويه ليس بقياس ، ويرى ابن يعيش أن مذهب سيويه هو

الصحيح • (٢)

— وذهب مذهبه في نسبة (فَعول) فَعُولِي ، كقولك في عدو عدوى •

وفرق سيويه بين فعول وفعولة ، فقال في عدوة عدوى كما قالوا في شنوءة

شئى ، ولم يفرق المبرد وقال فبهما فعولى • (٣)

— ووافقه في إمالة (عسى) قال المبرد " وإمالة عسى جيدة " لأنها فعل

وألّفها منتظبة عن ياء لقولك عسيت وعسينا • (٤)

ما وافق فيه الزجاج :

— وافق الزمخشري الزجاج في أن أكرم يزيد أمر على حقيقته لكل أحد يريد

أن يصف زيدا بالكرم ، والباء زائدة لتأكيد الاختصار ، وكان سيويه يذهب

إلى أن الفعل في مثل هذه الصيغة مانع. أخرج بلفظ الأمر • ووصف •

الزمخشري هذا الرأي بضرب من التعسف • (٥)

— وذهب مذهبه في (سنين) من قوله تحالى : " ثلاثمائة سنين "

(١) المفصل ٢ : ٥٩

(٢) ابن يعيش ، ٢ : ٥٩

(٣) المفصل ٥ : ١٤٨

(٤) المفصل — وابن يعيش ، ٩ : ٦٥ ، ٦٦

(٥) المفصل ٧ : ١٤٧ — ابن يعيش ، ٧ : ١٤٨

أن تنصب على البدل من ثلاثمائة وليس على التمييز ، قال الزجاج ولو انتصب
سنتين على التمييز لموجب أن يكونوا قد لبثوا تسعمائة سنة . (١)

— ووافق في العطف على موضح لك بالرفع بعد تمام الجملة ، كما جاز ذلك
في (ان) تقول : لكن زيدا قائم بعمرو .

قال في المفصل : ولكن شجاع إن في ذلك دون سائر أخواتها ، وقد
أجرى الزجاج الصفة مجرى المعطوف وحمل عليه قوله تعالى : " قل إن ربي
يقذف بالحق غلاماً الغيوب " (٢) وإنما يصح الحمل على المحتمل بعد مضي
الجملة ، فان لم تكن لزمك أن تقول إن زيدا وعمرا قائمان بنصب عمرو لا غير
— ووافق على أن (كلا) حرف ردع وتنبيه .

قال : وقال الزجاج : كلا ردع وتنبيه ، وذلك قولك : كلا لمن قال لك
شيئاً شكره ، قال تعالى بعد قوله : " ربي أعانك كلا " أي ليس الأمر كذلك
لأنه قد يوسع في الدنيا على من لا يكرمه من الكفار ، وقد يضيق على الأنبياء
والصالحين للاستصلاح . (٣)

ما وافق فيه أبا علي الفارسي :

— ذكر ابن هشام في تقسيم الجملة أنها : اسمية ، وفعلية ، وظرفية ،
ثم قال : " وزاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية ، والصواب أنها من قبيل
الفعلية " . (٤)

ويبدو أن هذه القسمة لأبي علي الفارسي ووافق عليها الزمخشري . (٥)

(١) المفصل ٢١:٦

(٢) المفصل ٦٧:٨ سبأ آية ٤٩

(٣) المفصل ١٦:٥

(٤) معنى اللبيب : الأمير ٤٣:٢

(٥) المفصل ٨٨:١ — شرح المفصل ٨٨:١

وليس كما قال ابن هشام قال ابن يعيش في شرح المفصل : وهذه
تسمة أبي على الفارسي وهي قسمة لفظية ، والشرطية في التحقيق مركبة من
جملتين فعليتين الشرط فعل وذاعل ، والجزاء فعل وفاعل . (١)

— ووافق الزمخشري أبا على في قول القائل : " أول قولي إني أحمد الله
ان الجملة في محل نصب بالقول ، وقدر الخبر .

ويرى ابن هشام أن الجملة خبر وليس مفعولا . (٢)

— ووافقه على أن (ما) في نزل نعما محمد ، أنها نكرة تامة منصوبة على
التمييز . (٣)

الزمخشري وابن جنسى :

— وافق ابن جنى في مجيء " أن ظوفية ، على غرار ما الزمانية ، مثل جئتك
أن تصلى العصر ، أى زمن صلاة العصر وخرج الزمخشري على ذلك قوله جل
شأنه : " أن آتاه الله الملك " أى وقت أن آتاه .

— ووافقه في أن الجملة تبدل من المفرد ، كما جاء في قول بعض الشعراء :
إلى الله أشكو بالمدينة حاجة وبالشام أخرى كيف يلتقيان
فكيف يلتقيان بدل من حاجة كأنه قال : أشكو هاتين الحاجتين
تعذر التقا لهما . (٤)

(١) المفصل مع ابن يعيش ١ : ٨٨ — شرح المفصل ١ : ٨٨

(٢) مخني اللبيب الامير ٢ : ٦٤

(٣) همع الهوامع ١ : ٨٢ — البقرة آية ٢٥٨

(٤) المرجع السابق

مما وافق فيه أبو حيان الزمخشري

— يثنى أبو حيان على الزمخشري ويقدمه على ابن عطية في تفسيره

فهو يقول عند قوله تعالى : " هذا رحمة من ربى " (١)

يقول في المشار اليه : " أما الزمخشري ، فقال إنه إشارة إلى السد

أى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده ، وهو يلتقى مع ابن عطية

غير أن الزمخشري ، كان أبرع من ابن عطية ، حيث سدد الإشارة إلى

السد نفسه ، وهو مذكور بلفظه فى الآية الكريمة .

• أما ابن عطية فيقول : إنه يعود على الروم ، أى روم السد المذكور .

ففى رأى الزمخشري ذكر بلفظه ، بخلاف الروم ، فإنه ذكر بالمعنى

لما بين السد والروم من التلازم " (٢)

— انتصر أبو حيان للزمخشري من ابن مالك فى (حتى) .

يقول الزمخشري ! يلزم أن يكون مجرورها خاصة بذى أجزاء ، وهو

أن يكون آخر جزء أو ملاق آخر جزء .

فمثال كونه آخر جزء : أكلت السمكة حتى رأسها ، ومثال كونه ملاق

آخر جزء سرت النهار حتى الليل ، ولو قلت : أكلت السمكة حتى نصفها أو

ثلثها لم يجز .

وقال ابن مالك : هذا لا يلزم ، واستدل بقول الشاعر :

عينت ليلة فما زلت حتى نصفها راجيا فعدت يوسا

(١) الكهف آية ٩٨

(٢) البحر المحيط ٦ : ١٦٥

قال أبو حيان : ولا حجة في هذا البيت لأنه لم يتقدم (حتى) ما يكون ما بعدها جزء منه ، ولا ملاقيا لآخر جزء منه ، فلو مرّح في الجملة ، بذكر الليلة ، فقال : فما زلت راجيا وصلها تلك الليلة حتى نصفها ، كان حجة • (١)

- في قوله تعالى : " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " (٢)

قال أبو حيان : إعراب سيويه أن خبر الزانية محذوف تقديره فيما يتلى عليك ، الزانية والزاني ، أو فيما يتلى عليك حكم الزانية والزاني • أما جملة فاجلدوا ، فأعرابها أنها مستأنفة ، ولا يضح أن تكون خبرا ويرد أبو حيان : فانظر اليه رحمه الله كيف تتحكم فيه الصنعة في إعراب الاعراب الذي يسائر الفطرة ، كما يسائر اللغة العربية ، فماذا عليه لو أجاز هذا الاعراب كما أجاز الزمخشري • (٣)

والاعراب الذي أجاز الزمخشري ، هو أن تعرب الزانية مبتدأ وخبره جملة (فاجلدوا) وهذا قال به بعض العلماء الأجلاء من المدرستين • (٤)

- في قوله تعالى : " وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين " (٥)

يقول أبو حيان عن قول ابن مالك : وهذا الذي أنكره الزمخشري من

(١) الجنى الدانى ٢٤٢ - الصغنى مع الأمير ١: ١١١

(٢) النورآية ٢

(٣) البحر المحيط ٦: ٤٢٦

(٤) المرجع السابق ٦: ٤٢٧

(٥) الاعراف آية ١٣٢

من أن مهما لا تأتى ظرف زمان ، وقد ذهب إليه ابن مالك فى التسهيل
 وغيره من تصانيفه إلا أنه لم يقصر مدلولها على أنها ظرف زمان بل قال :
 قد ترد ما ومهما ظرفي زمان ، وقال فى أرجوزته الطويلة المسماة
 بالشافية الكافية :

وقد أتت مهما ومما ظرفين فى شواهد من يعتضد بها كفى
 وقال فى شرح هذا البيت جميع النحويين يجعلون "ما" مثل مهما فى
 لزوم التجرد عن الظرف مع أن استعمالهما ظرفين ثابت فى استعمال ...
 الفصحاء من العرب وأنشد أبياتا عن العرب . زعم فيها أن (ما) و (مهما)
 ظرفا زمان .

ثم قال : وكفانا الرد عليه فيها ابنه الشيخ بدرالدين محمد .
 أما رأى الامام الزمخشري الذى أيدته الشيخ أبو حيان ، فقد ورد فى
 الكشف : وهذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرفها من لا يد له فى
 علم العربية ، ويضعها فى غير موضعها . (١) . ويحسب مهما بمعنى (متى
 ما) ، ويقول : مهما جئتني أعطيتك ، وهذا من وضعه وليس من كلام ...
 واضح العربية فى شئ ، ثم يذهب فيفسر " مهما تأتتا به من آية " بمعنى
 الوقت فيلحد فى آيات الك ، وهو لا يشعر .

هذه بعض الآراء التى وافق فيها أبو حيان الزمخشري ، وهى قليلة
 بالقياس إلى ما خالفه فيها ، فهذه المخالفات مستفيضة وأسوق بعضها وهى
 قسمان : الأول فى القراءات ، والثانى فى المسائل النحوية .

مما خالفه فيه من القراءات :

(١) - فى قوله تعالى : " فقاتلوا أئمة إنهم لا أيمانَ لهم لعلهم ينتهون " بقلب الهمزة الثانية من (أئمة) ياء .

قال الزمخشري : وأما التصريح بالياء فليى بقراءة ، ولا يجوز أن تكون ، ومن صرح بها فهو لاجن محرف .
وقال أبو حيان : وقرأ الحرميان (٢) وأبو عمرو بن العلاء ، بإبدال الياء
الهمزة الثانية ياء .

ثم يقول معرضا بالزمخشري : وذلك دأبه فى تلحين المقرئين ، وكيف يكون ذلك لحنا ، وقد قرأ به رأس البصريين النحاة ، أبو عمرو بن العلاء ، وقارى مكة ابن كثير . (٣)

- وفى قوله تعالى : " سوا عليهم أأ نذرتهم أم لم تنذرهم فهم لا يؤمنون " (٤)

القراءة بتحقيق الهمزة الأولى ، وتسهيل الثانية ، فى قوله تعالى ليرز (أنذرتهم) وقد أنكر هذه القراءة الزمخشري ، وقال : إن ذلك لحن وخروج عن كلام العرب لوجهين :

الأول : الخمج بين ساكنين على غير حدّه .

الثانى : إن طريقة تخفيف الهمزة المتحركة ، المفتوح ما قبلها هو

(١) التوبة آية ١٢

(٢) هما : نافع وابن كثير - النحو وكتب التفسير ١٢٨٦

(٣) البحر المحيط ٥ : ١٥

(٤) البقرة آية ٦

بالتسهيل نبين بين ، لا بالقلب ألفا ، لأن ذلك هو طريق الهمزة الساكنة
وقال أبو حيان : فى دفاعه عن تسهيل الهمزة : وأهل الحجاز ،
لا يرون الجمع بينهما طلبا للتخفيف ، فقرأ الحرميان وأبو عمرو ، وهشام ،
بتحقيق الألف وتسهيل الثانية ، إلا أن أبا عمرو وقالون واسماعيل بن
جعفر بن نافع وهشام يدخلون بينهما ألفا ، وابن كثير لا يدخل .
وروى تخفيفا عن هشام ، وإدخال ألف بينهما ، وهى قراءة ابن عباس ،
وابن أبى اسحاق وروى عن ورش كابن كثير وقالون وإبدال الهمزة
الثانية الفاء فيلتقى ساكنان على غير حدهما عند البصريين .

وقد قال أبو حيان ، وما قال الزمخشري هو مذموب البصريين خلافا
للكوفيين ، وقراءة ورش صحيحة النقل لا تدفع باختيار المذاهب ، ولكن عادة
هذا الرجل إساءة الأدب على أهل الأداء ، ونقله القرآن . (١)

— وفى قوله تعالى : " فيخفر لمن يشاء " ، ويعذب من يشاء " (٢) .

بادغام الراء فى اللام .

يقول الزمخشري : ومدغم الراء فى اللام لاحن ، مخطىء خطأ فاحشا
وزاويه عن ابى عمرو مخطىء مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس .
بالعربية مما يؤذن بجهد عظيم ، والسبب فى نحو هذه الروايات قلة ضبط
الرواة ، والسبب فى قلة الضبط قلة الدراية ، ولا يضبط نحو هذا إلا
أهل النحو . (٣)

(١) البحر المحيط ٦ : ٤٧

(٢) البقرة آية ٢٨٤

(٣) الكشاف ١ : ٣٣٠

ويرد أبو حيان على هذا بقوله : وذلك على عادته فى الطحن على
 القراء . وأما ما ذكره أن مدغم الراء فى اللام لاحت مخطىء خطأ فاحشا
 . . . الى آخره ، فهذه مسألة اختلف فيها النحويون .
 ثم يقول من قبيل التنديد : عقد هذا الرجل - يعنى الزمخشري -
 بابا قال فيه : " هذا باب يذكر فيه ما أدغمت القراء ما ذكر أنه لا يجوز
 ادغامه . "

وهذا لا ينبغى فان لسان تلحرب ليس محصورا فيما نقله البصريون
 فقط والقراء لا تجىء على ما علمه البصريون ونقلوه ، وقد اتفق على نقل
 ادغام الراء فى اللام كبير البصريين ورأسهم أبو عمرو بن العلاء ، ويعقوب
 الحضرمي . وكبراء أهل الكوفة الرؤاسى والمفراء ، وأجازوه ورووه عن الحرب
 فوجب قبوله والرجوع فيه الى علمهم ونقلهم ، اذ من علم حجة على من لم يعلم .
 ثم يدافع عن راوى هذه القراءة فيقول : وأما ما رواه الزمخشري أن
 راوى ذلك عن أبي عمرو مخطىء مرتين ، فقد تبين أن ذلك صواب وقد روى
 ذلك عنه الرواة ومنهم : أبو محمد اليزيدى وهو امام فى القراءات امام فى
 النحو وامام فى اللغات . (١)

- وفى قوله تعالى : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم

شركاؤهم " (٢)

يقول الزمخشري : وقرئ (زين) على البناء للفاعل الذى هو شركاؤهم
 ونصب قتل أولادهم ، وزين على البناء للمفعول الذى هو القتل

(١) البحر المحيط ١ : ٢٦١ ، ٢٦٢

(٢) سورة الأنعام آية ١٣٧

ورفع (شركاؤهم) باضمار فعل دل عليه زين ، كأنه قيل (زين لهم قتل

أولادهم) من زينه ؟ فقيل : زينه لهم شركاؤهم .

وأما قراءة ابن عامر " قتل أولادهم شركائهم " برفع القتل ، ونصب

الأولاد ، وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بخير

الظرف ، فشىء لو كان في مكان الضرورة وهو الشعر لكان سمجا مردودا

كما سمج ورد :

• زج القلوص أبي مزادة •

فكيف به في الكلام المنشور ز ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه

وجزالته ؟ • (١)

فيرد عليه أبو حيان في قوله : هي مسألة مختلف في جوازها ، فجمهر

البحرين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة

الشعر ، وبعض النحويين أجازوها وهو الصحيح ، ولوجودها في هذه القراءة

المتواترة المنسوبة إلى العربي المحضر ابن عامر ، الآخذ بالقرآن الكريم عن

عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب ، ولوجودها أيضا في

لسان العرب في عدة أبيات . . .

ويقول : ولا التفات إلى قول ابن عطية : وهذه قراءة ضعيفة في استعمال

العرب ، ولا التفات إلى قول الزمخشري ؟ : إن الفصل بينهما يعني بين

المضاف والمضاف إليه فشىء لو كان في مكان الضرورة ، وهو الشعر لكان سمجا

مردودا فكيف به في الكلام المعجز لحسن نظمه وجزالته •

وهنا يواجه أبو حيان كعادته نقده اللاذع لجار الله ، ويدافع عن ابن
عمر فيقول : " وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح
محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت •
وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخبرتهم هذه الأمة
لنقل كتاب الله شرقا وغربا ، وقد اعتقد المسلمون على نقلهم لضبطهم
ومعرفتهم وديانتهم • (١)

بعد هذه الرحلة السريعة حول القراءة^٣ وموقف هذين الامامين منها
أعود لأدرج بعض النماذج النحوية التي اختلف فيها الامام أبو حيان مع
جار الله الزمخشري •

ما خالف فيه أبو حيان فيه الزمخشري في المسائل النحوية :

— قد : قال الزمخشري انها حرف تقريب ، وهو يقرب الماضي من الحال
إذا قلت قد فعل ، ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة ، ولا بد فيه من معنى
التوقع • (٢)

وقال أبو حيان : والذي تلقناه من أفواه اللشيوخ بالأندلس أنها حرف
تحقيق ، إذا دخلت على الماضي ، وحرف توقع إذا دخلت على المستقبل^(٣) •
— الفاء : في قوله تعالى : " أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم
قوما مسرفين " • (٤)

(١) — البحر المحيط ٤ : ٢٢٩ — ٢٣٠

(٢) — المفصل مع ابن يعقوب ٨ : ١٤٧

(٣) — الجنى الدانى ص ٢٥٥

(٤) — سورة الزخرف آية ٥

قال الزمخشري : السفاة للخطف على محذوف تقديره : أنهم لم يفتكروا فنضرب

عنكم الذكر ؟ انكاراً لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب ،
قرآناً عربياً لتعقلوه وتعملوا بموجبه .

ويرد أبوحيان ، قائلاً : إن المذهب الصحيح قول سيبويه والنحويين إن

الفاة والواو منى بهما التقديم لخطف ما بعدهما على ما قبلهما ، وإن الهمزة
تقدمت لكون الاستفهام له صدر الكلام ، ولا خلاف بين الهمزة والحرف . (١)

ويعلق في البحر المحيط بقوله : " وهذا الذي ذكره الزمخشري من

أن حرفي الخطف الذي بعد همزة الاستفهام هو عاطف ما بعده على ما

قبل الهمزة من الجمل رجوع إلى مذهب الجماعة في ذلك ، وتخريج لهذه الآية

الآية على خلاف ما قرر هو من مذهبه في غير آية ... (٢)

— إذا الفجائية : ذكر الزمخشري في الكشاف أن التحقيق في (إذا)

الفجائية أنها بمعنى الوقت ، وأنها طالبة ناصباً لها ، وجملة تضاف إليها

خصت في بعض المواضع بأى يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً ، وهو فعل المفاجأة

والجملة ابتدائية لا غير .

وذكر أن التقدير في قوله تعالى : " فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه

من سحرهم أنها تسعى " (٣) . ففاجأ موسى تخيلاً سعى حبالهم

وعصيهم ، وهذا تمثيل ، والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعى

(١) البحر المحيط ٢ : ٣

(٢) مغنى اللبيب على الامير ١ : ١٤ ، ١٥

(٣) طه آية ٦٦

وقال في قوله تعالى : " ثم إذا أنتم بشر تنتشرون " (١) ثم فاجأتم

وقت كونكم بشرا منتشرين .

وقال في قوله تعالى : " فلما جاءهم آياتنا اذا هم منها يضحكون "

فان قلت : كيف جاز أن تجاب (لما) باذا المفاجأة ؟

قلت : لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها ،

كأنه قيل : فلما جاءهم آياتنا فاجأوا وقت ضحكهم . (٣)

فرد أبو حيان قائلا : ولا نعلم نحويا ذهب إلى ما ذهب إليه هذا

الرجل من أن اذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجأ ، بل هي

منسوبة بالخبر ، أو خبر على ما تقدم تقديره ، وليست مضافة إلى الجملة

كما سبق . ثم إن المفاجأة التي ادعاها لا يدل المعنى على أنها ، تكون

من الكلام السابق ، بل المعنى يدل على أن المفاجأة تكون من الكلام الذي

فيه إذا . تقول : خرجت فاذا الأسد ، فالمعنى ففاجأني الأسد ، وليس

المعنى فظنأت الأسد . (٤)

— ألا الاستفتاحية : اختلف في ألا الاستفتاحية هل هي مركبة أو

بسيطة ؟

فقيل مركبة من همزة الاستفهام و لا النافية ، واليه ذهب الزمخشري

وقيل بسيطة ، واليه ذهب ابن منطالك .

(١) الروم آية ٢٠

(٢) الزخرف آية ٤٧

(٣) الكشاف ٣ : ٤٩٠ ، ٤٩١

(٤) الجنى الدانى ص ٢٧٨ ، ٢٧٩

ورد الشيخ أبو حيان دعوى لتركيب بـأن الأصل عدمه وبأنها قد وقعت

مثل (أن) و (رب) و (ليت) و (النداء) ولا يصلح النفي قبل شيء من ذلك .

- الباء : في قوله تعالى : " يأبها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه " (١)

لم يقدر الزمخشري حرفا في هذه الآية بل قال : " أن يؤذن " .

في معنى الظرف أي وقت أن يؤذن .

وقدر أبو حيان (باء) مقدرة ، وقال : إنها للسببية ورد على الزمخشري

الزمخشري بأن المصدر لا يكون في معنى الظرف المؤول وإنما ذلك في المصدر

للمصدر الصريح نحو " أجيئك صياح الديك " ويمتنع من جهة المعنى أن

يكون (غير ناظرين) حالا من يؤذن ، وان صح من جهة الصنعة . (٢)

- ليس : قال الزمخشري أنها لمطلق النفي ، ولكنها لا تنفي الاستقبال ،

قال : " ولا تقول ، ليرزق قائما غدا " (٣)

وذهب أبو حيان إلى أنها لنفي الحال في الجملة غير المقيدة بزمان

والمقيدة بزمان تنفيها حسب القيد . (٤)

- كلا : في قوله تعالى : " كلا سيكفرون بعبادتهم " . (٥)

(١) الاحزاب آية ٥٣

(٢) أبو حيان ص ٥٣٧

(٣) المفصل مع ابن يعيش ٧: ١١١

(٤) النجار مشهج السالك ص ٥٦

(٥) مريم آية ٨٢

بتنوين (كلا) على أنها مصدر من الكل بمعنى الأعياء ، أو الثقل ، أى
 (حملوا كلاً) .

وجوز الزمخشري أن تكون (كلا) فى القراءة هى نفسها حرف الردع ،
 وتون كما نونت (سلاسا " فى آية " إنا أعتدنا للكافرين سلاسا وأغلا
 وسعيرا " (١)

ورد أبو حيان قائلاً : إن ذلك إنما صح فى سلاسا ، لأنه اسم أصله

(٢)

التنوين ، فرجع به إلى أصله للتناسب ، وعلى لغة من يصرف ما لا ينصرف .

— أم : ذهب الزمخشري إلى أن (أم) فى الآية الكريمة " أم كنتم شهداء

شهداء " إذ حضر يعقوب الموت " (٣) متصلة ويقدر ما قبلها محذوفا .

ويرد أبو حيان بقوله : لا نعلم أحداً أجاز حذف هذه الجملة ولا يحفظ

ذلك فى شعر ولا غيره ، فلا يجوز أم زيد ، وأنت تريد أقام عمرو أم زيد (٤)

— فى قوله تعالى : " ان نظن إلا ظنا " (٥)

قال الزمخشري : إن أصله (نظن ظنا) ومعناه إثبات الظن فحسب ،

فأدخل حرف النفى والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه ، وزيد

نفي ما سوى الظن توكيدا لقوله : " وما نحن بمستبينين "

ويرد على ذلك أبو حيان بقوله : هذا كلام من لا شعور له بالقاعدة

النحوية من أن التفريح يكون فى جميع المعمولات من فاعل ومفعول وغيره

(١) الإنسان آية ٤

(٢) مغنى اللبيب على الأمير ١ : ٦٢

(٣) البقرة آية ١٣٣

(٤) البحر المحيط ١ : ٤٠٠

(٥) الجاثية آية ٣٢

إلا المصدر المؤكد لا يكون فيه . (١)

- وفي قوله تعالى : " أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٢)

قال الزمخشري : ان الخملة موضع خبر عن الذين يؤمنون بالغيب ،

وذهب به مذهب الاستئناف ، وذلك لوضوح تحلقه بما قبله . (٣)

ويرد أبو حيان قائلا : " ان هذا الاعراب منكر ، والمختار في الاعراب

الجر على النعت والقطع ، إما إلى النصب ، وإما إلى الرفع . (٤)

- وفي قوله تعالى : " لا ريب فيه "

قال الزمخشري : إن فيه خبر . ثم يقول :

فان قلت : هلا قدم الظرف على الريب ، كما قدم على (القول) في

قوله تعالى : " لا فيها غول " (٥)

قلت : حرف النفي نفي الريب عنه ، واثبات أنه حق وصدق ، لا باطل

وكذب ، ولو قدم الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد ، وهو أن كتابا آخر

فيه الريب لا فيه . (٦)

ويعلق أبو حيان ، بأن الزمخشري انتقل من دعوى الاختصاص ، بتقديم

المفعول إلى دعواه بتقديم الخبر ، ولا نعلم أحدا يفرق بين ليس في الدار

رجل ، وليس رجل في الدار ، وأبعد من ذلك ذهب إلى أن قوله : لا ريب

صيغة خبر ومعناه النهي عن الريب . (٧)

(١) البحر المحيط ٨ : ٥٢

(٢) البقرة آية ٥

(٣) الكشاف ط الحلبي = ١ : ٣٣

(٤) البحر المحيط ١ : ٤٠

(٥) المهاقات آية ٤٧

(٦) الكشاف ط الحلبي ١ : ٨٧

(٧) البحر المحيط ١ : ٣٣

مؤيدون للزمخشري

ترك هجوم أبي حيان على الزمخشري أثرا في نفوس بعض العلماء ، وهذا جعلهم يوازنون بين العالمين ويتبعون خلاقتهما ، فبعضهم أيد أبا حيان والآخر انتصر للزمخشري ، حتى الفت الكتب في ذلك ، مثل ما كتبه الشيخ يحيى الشاوي المغربي ، إذ كتب كتابا سماه " بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري " جمع فيه اعتراضات أبي حيان على الزمخشري وابن عطية ، وقصد به بيان وجه الحق في هذه المناقشات * (١)

وكتب ابن مکتوم كتابا سماه " الدر اللقيط من البحر المحيط " قصره صاحبه على مناقشة أبي حيان للزمخشري وابن عطية في بعض آرائهما ، ونقل ردودهما عليهما *

ومن أهم من تابع الخلاف بين هذين العالمين ابن هشام والسمين وقد ظم ابن هشام بالرد على أبي حيان دفاعا عن جار الله الزمخشري *
ولسوف أسوق بعض النماذج للرد على أبي حيان من مختلف العلماء سوى ابن هشام إذ جعلت له وللزمخشري مبحثا يخصهما ، واليكم نماذج توضح موقف بعض العلماء من الزمخشري وأبي حيان *

- في تفسير قوله تعالى : " قائما بالقسط " (٢)
قال الزمخشري : وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه ، كقوله تعالى :
" وهو الحقُّ مبدقا " (٣)

قال أبو حيان : ليس من : باب الحال المؤكدة ، لأنه ليس من باب
وتوم أبعث حيا " * (٤)

(١) خديجة الحديشي : أبو حيان ٥٣٥

(٢) البحر المحيط آل عمران آية ١٨

(٣) البقرة آية ٩١

(٤) مريم آية ١٥

ولا من باب "أنا عبدالله شجاعا" و"هو زيد شجاعا" لكن هذا التخريج
 قلق في التركيب إذ يصير كقوله: "أكل زيد طعاما وعاشمة ومخاطمة جائعا
 فيفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالمفعول، وبين الحال ورب الحال
 بالمفعول، والمعطوف، ولكن يشبه كونها كلها معمولة لعامل واحد .
 ثم يعرض بالزمخشري، ويبتهمه بالعجمة وعدم الامعان في تراكيب كلام
 العرب وحفظ أشعارها . (١)

ويرد عليه السمين قائلا: ان موآخذته له في قوله مؤكدة غير ظاهرة
 وذلك أن الحال قسمين: إما مؤكدة، وإما مبينة وهي الأصل فالمبينة لا
 يجوز أن تكون ههنا لأن المبينة تكون متنقلة والانتقال ههنا محال، إذ عد
 عند الله لا يتغير .

ثم يوجه لومه إلى استأذنه لتعريضه بالزمخشري، وينكر عليه اعتداده بنفسه
 وأنه مطلع على ما لم يطلع عليه هو، وينكر عليه أيضا هجومه على علمه وأنه
 لا يعرف مواقع النظم، وهو المسلم له في علم المعاني والبيان والبدع ولا
 يشك أحد أنه لا بد لمن يتعرض لعلم التفسير أن يعرف جملة صالحة من
 هذه العلوم . (٢)

- في تفسير قوله تعالى "أو يوبقهن بما كسبوا ويحف عن كثير" (٣)

قال الزمخشري: : فان قلت ! علام عطف (يوبقهن) ؟

قلت : على (يسكن) لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن ، أو
 يعصفها فيغرقن !

(١) أبو حيان ص ٢٣: ٥

(٢) المرجع السابق

(٣) الشورى آية ٣٤

قال أبو حيان : لا يتعين أن يكون التقدير ، أو يعصفها ، لأن اهلاك السفن لا يتعين أن يكون بعصف الريح ، بل قد يهلكها تعالى بسبب غير الريح ، كنزول سطحها بكثرة الحمل ، أو انكسار اللوح يكون سببا لاهلاكها ، أو يعرض عدو يهلك أهلها .

فرد ابن مكتوم معلقا على هذا الكلام : بأن الذى ذكره الزمخشري فيه مناسبة تكاد تعينه ، وان كان اهلاكها قد يكون بغيره ، كما ذكره أبو حيان ، إلا أن نجاة السفن ، لما كانت باجراء الريح طيبة ، وكان اسكانها سببا لركودها كان المناسب لتقدير سبب الهلاك ، هو العصف كما قدره الزمخشري (١)

— أن : ذكر الزمخشري أن خبر (أن) الواقعة بعد لو يلزم كونه فعلا ونقل بعضهم ذلك عن السيرافي .

فقال أبو حيان : وهو وهم ، وخطأ فاحش ، قال تعالى : " ولو أن ما فى الارض جميعا من شجرة أقلام " (٢) وقال جرير :

لو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيدا وأزما

وقد دافع المرادى عن جار الله ، بأن الذى ينبغى أن يحمل عليه

كلام الزمخشري أنه منح كون خبرها اسما مشتقا ، والتزم القعل حينئذ ، لا مكان صوغه قسما ، لحق طلبها للفعل . ألا ترى قوله فى المفصل ، لو قلت : لو أن زيدا حاضر لأكرمته لم يجوز . (٣)

(١) أبو حيان ٥٠٢

(٢) لقمان آية ٢٧

(٣) شرح المفصل ٩ : ١١٤

ولم يتعز، للخير المشتق، وإذا حمل على هذا لم يرد عليه قوله تعالى:

" ولو أن ما في الأرض، جميعاً من شجرةٍ أُقلامٍ " ولا نحو :

• ولو أنها عصفورة ...

وانما يرد عليه :

• ولو أن حيا مدرك الفلاح • (١)

- في قوله تعالى : " فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيمَ " (٢)

قال الزمخشري : مقام إبراهيم ، عطف يامن لقوله تعالى : " آيات بينات "

وقد رده أبو حيان • وعلق الشاوي على بعض، قوله بما يرجح كلامه أن

الزمخشري على أبي حيان • (٣)

(١) الجنى الدانى ص ٢٨١، ٢٨٢

(٢) آل عمران آية ٦٧

(٣) النحو وكتب التفسير ٢ : ٦٩٠

ما وافق فيه ابن هشام الزمخشري

تتبع ابن هشام في كتابه معنى اللبيب الزمخشري ، فوافقه في بعض

آرائه ، واختلف معه في بعضها ، واليك بعض الأمثلة لما وافقه فيه :

— أما : يرى الزمخشري أنما تعطى الكلام فضل توكيد .

قال ابن هشام : ولم أر من أحكم شرحها غير الزمخشري . فانه قال :

أما في الكلام تعطيه فضل توكيد .

تقول : زيد ذاهب . فاذا نصدت توكيد ذلك ، وأنه لا محالة ذاهب

وأنه بصدد الذهاب ، وأنه منه عيمة قلت : أما زيد فذاهب .

ولذلك قال سيويه في تفسيره ، مهما يكن من شيء فزيد ذاهب ، وهذا

التفسير مدل بفائدتين : بيان كونه توكيدا ، وأنه في معنى الشرط . (١)

— أن : في قوله تعالى : " ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا

الله . . . " (٢)

قال الزمخشري : لا يجوز أن تكون مفسرة للقول على تأويله بالأمر ، أي

ما أمرتهم إلا بما أمرتني ، أن اعبدوا الله .

فقال ابن هشام تعليقا على ذلك : وهو حسن . (٣)

— السين : في قوله تعالى : " أولئك سيرحمهم الله . . . " (٤)

(١) معنى اللبيب على الأمير ١ : ٥٤

(٢) المائة آية ١١٧

(٣) معنى اللبيب . الأمير ١ : ٣١

(٤) التوبة آية ٧١

قال الزمخشري : ان السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة ، فهى مؤكدة للوعد ، ولما قال قوم : ان وجود الرحمة مستفاد من الفعل لا من السين ، وبأن الوجوب المشار اليه بقولنا لا محالة لا اشعار للسين .
وقال ابن هشام : ان السين موضوعة للدلالة على الوقوع مع التأخير
وبتحقيق الوقوع يصل إلى درجة الوجوب . (١)

ثم قال فى معناها : ومعنى قول المعربين فيها حرف تنفيس : حرف توسع ، وذلك أنها تقلب المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال وأوضح من عبارتهم قول الزمخشري وغيره حرف الاستقبال . (٢)

(٣)

من : فى قوله تعالى : " ما فرطنا فى الكتاب من شىء "

قال أبو البقاء : من زائدة ، وشيء فى موضع المصدر ، أى تفریطا ،

مثل " لا يضركم كيدهم شيئا " (٤)

فرد ابن هشام قائلا : ولا حجة فى الآية لمن ظن أن الكتاب يحتوى على ذكر كل شىء صريحا وكذا لا حجة فيها لو كان شىء مفعولا به ، لأن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ كما فى قوله تعالى : " ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين " (٥) وهو رأى الزمخشري والسياق يقتضيه . (٦)

(١) مغنى اللبيب . الأمير ٢ : ١٨٣

(٢) المرجع السابق ١ : ١٢٢

(٣) الأنعام آية ٢٨

(٤) آل عمران آية ١٢٠

(٥) الأنعام آية ٥٩

(٦) مغنى اللبيب الأمير ٢ : ١٧

- فى : يضرب ابن هشام مثلا لها عو قول الشاعر :

ويركب يوم الروع منا فوارس بصيرون فى طعن الأباهر والكلى

ثم يقول : وليرومته بزق قوله تعالى : " ويذروكم فيه " (١) خلافا لزاعمه ،

بل هي للسببية ، أى يكثرتم بسبب هذا الجعل • والأظهر قول الزمخشري

• أنها للظرفية المجازية •

- عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة :

فى قوله تعالى " إن هي إلا حياؤها الدنيا ••• " (٢)

قال الزمخشري : أصله ان الحياء إلا حياتنا الدنيا ، ثم وضع هي موضع

الحياة لأن الخبر لا يدل عليها ويبينها ، ومنه :

• هي النفس تحمل ما حملت •

و • هي العرب تقول ما شاءت •

ويرد عليه ابن مالك فى تمثيله (هي النفس ، هي العرب) بأن فيها

• ضعفا

ويعقب ابن هشام بأن الضعف فى كلام ابن مالك وحده • (٣)

(١) الشورى آية = ١١

(٢) المؤمن آية ٣٧

(٣) مغنى اللبيب - الأمير ٢ : ١٠٢

مما عارض ابن هشام فيه الزمخشري

وأمثلة هذا الباب كثيرة جداً ، أسوق منها ما يأتي :

- أن : ففي قوله تعالى " أن اتخذى هن الجبال بيوتا . . . " (١) قال ابن هشام : زعم الزمخشري أنها مفسرة ، ورده أبو عبدالله الرازي بأن قبله " وأوحى ريك الى النحل . . . " (١) والوحى الهام باتفاق ، وليس فى الالهام معنى القول .

ثم قال : وإنما هي مصدرية ، أى باتخاذ الجبال بيوتا . (٢)

- لام الابتداء : فى تفسير قوله تعالى : " ولسوف يعطيك ريك فترسى (٣) قال الزمخشري : لام الابتداء لا تدخل الآ على المبتدأ والخبر . وفى قوله تعالى : " لا أقسم . . . " هى لام الابتداء ، دخلت على مبتدأ محذوف .

ويقول ابن هشام : ولم يقدرها لام القسم لأنها عنده ملازمة للنون

- وكذا زعم فى " ولسوف يعطيك ريك . . . " أن المبتدأ مقدر ، أى لانت سوف يعطيك . . . ثم يقول : وإنما يضعف كلام الزمخشري ، أن فيه تكلفين لغير ضرورة ، وهما : تقدير محذوف ، ^{ويجعل} اللام عن معنى الحال ، لئلا يجتمع . . . دليلاً الحال والاستقبال . (٤)

- هل : فى قوله تعالى : " هل أتى على الانسان حين من الدهر " (٥)

(١) النحل آية ٦٨

(٢) معنى اللبيب - الأمير ١ : ٣١

(٣) الضحى آية ٥

(٤) معنى اللبيب الأمير ١ : ١٩٠

(٥) الانسان آية ١

قال الزمخشري : هل بمعنى قد أبدا .

وعارض ابن هشام ذلك بقوله : إن هل ^{حرف} موضوع لدللب التصديق

الإيجابي ، دون التصور ، ودون التصديق السلبي . (١) ثم قال : وقد عكس قوم ما قاله الزمخشري ، فقالوا إن هل لا تأتي بمعنى قد أصلا ، وهذا هو الصواب عندي . (٢)

- الواو : قال الزمخشري : تكون بمعنى أو في الإباحة ، ورأى أنه

يقال : جالس الحسن وابن سيرين ، أي أحدهما .

ورد ابن هشام بقوله : والمعروف من كلام النحويين أنه لو قيل جالس

الحسن وابن سيرين كان أمرا بهبالسة كل منهما فذلك فرق بين العطف بالـ

بالواو والعطف بأو . (٣)

- نعت الضمير : قال ابن هشام : كما أن الضمير لا ينعت كذلك لا

يعطف عطف بيان ، ووهم الزمخشري فاجاز ذلك فذهولا عن هذه النكتة ،

ومن نص عليها من التأخرين ، أبو محمد عبدالله بن السيد البطليوسى ،

وابن مالك ، والقياس معهما في ذلك . (٤)

- الضمير : في قوله تعالى : " إنه يراكم هو وقبيله " (٥)

قال الزمخشري : ان اسم (أن) ضمير الشأن .

(١) مغنى اللبيب الأمير ٢ : ٢٩

(٢) المرجع السابق ٢ : ٣٠

(٣) المرجع نفسه ٢ : ٣٣

(٤) المرجع السابق ١ : ٣١

(٥) الأعراف آية ٢٧

ورد ابن هشام بأن هذا ضعيف ، والأولى كونه ضمير الشيطان ،

ويؤيد ذلك أن قرئ (وقبيله) بالنصب ، وضمير الشأن لا يحطف عليه . (١)

— وفي قوله تعالى : " بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله

يحب المتقين " . (٢)

رأى الزمخشري أن الرابط في الآية عموم المتقين .

ورد ابن هشام : والظاهر أنه لا عموم فيها ، وأن المتقين مساوون

لمن تقدء ، وإنما الجواب محذوف تقديره يحبه الله . (٣)

— وفي قوله تعالى : " يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الخراب

فأورى سواة أخى " . (٤)

قال الزمخشري : ان اختصب أوارى في جواب الاستفهام .

ويرى ابن هشام أن هذا قول فاسد ، وجه فساده أن جواب الشئ

سبب عنه ، والممارة لا تتسبب عن العجز وإنما انتصابه بالحطف على أكون . (٥)

— وفي قوله تعالى : " ادخلوا فى السلم كافة " . (٦)

جوز الزمخشري مجى الحال من الفاعل والمفعول به فى هذه الآية .

ورد ابن هشام بأن هذا وهم ، لأن كافة مختص بم يحقل .

ثم يقول : ووهد — الزمخشري — فى قوله تعالى : " وما أرسلناك إلا

(١) مخنى اللبيب ٢ : ١٠٣

(٢) سورة آل عمرا ٣ آية ٧٦

(٣) مخنى اللبيب ٢ : ١١٠

(٤) سورة المائدة آية ٣١

(٥) مخنى اللبيب ٢ : ١٢٣

(٦) سورة البقرة آية ٢٠٨

كافة للناس " . (١) إذ قَدَّر كافة نعتاً لمصدر محذوف ، أي إرساله كافة .

ويرى أن وَهْمَ الزمخشري هنا أشد لأنه أضاف إلى استحمله فيما لا

يعقل إخراجَه عما التزم فيه من الحاقية .

وبراه كذلك وهم في خطبة المفصل إذ قال : محيط بكافة الأبواب ، ووهمه

في ذلك أشد وأشد لإخراجه إياه عن النسب الهتة . (٢)

(١) سبأ آية ٢٨

(٢) مغنى اللبيب ٢: ١٣٦

من آراء الزمخشري التي انفرد بها في النحو

جاء الزمخشري بعد عصر المذاهب النحوية ولا سيما المذهبين البصري والكوفي فكان يرجح في دراساته إلى ما أمامه من شتى الآراء النحوية ، فيختار منها ما يتفق واجتهاده ، وقد يؤيد به ذلك الاجتهاد إلى ما لم يسبقه إليه أحد من النحاة ، واليكم بعض ما انفرد به من آراءه . :

- انفرد الزمخشري بان (من) بمعنى بعض، تكون اسما ويجرى عليها ما يجرى على الأسماء ، (١١) وأخذ بهذا الرأي بعض النحويين بعد الزمخشري حتى أعرب بعضهم بيت الفية ابن مالك الذي يقول فيه :

• والاسم منه معرب ومبنى •

أن . . (منه) مبتدأ ومعرب خبره • (٢)

- ورأى ان (أن) حين تدخل على المضارع تحول معناه إلى الاستقبال وبهذا قرر أن خبر عسى يجب أن يقترن ب (أن) لأن عسى للرجاء وهو يتجه إلى المستقبل ، وعند أكثر النحاة ان يقترن خبر عسى (بأن) وليس ذلك ملزما • (٣)

- وذهب إلى أن (ألا) حرف تنبيه ، وأنه مركب من همزة الاستفهام ، ولا النافية لتدل على تحقيق ما بعدها ، والاستفهام اذا دخل على النفي عند الزمخشري أفاد تحقيقا • (٤)

(١) المفصل ٨ : ١٠

(٢) شرح المفصل لابن يعيشر، ٨ : ١٢ - حاشية الصبان على الأشموني ١ : ٥٠

(٣) المفصل ٨ : ١٤٨ - ابن يعيشر ٨ : ١٤٩

(٤) المفصل ٨ : ١١٤ - ابن يعيشر، ٨ : ١١٥ - مغنى اللبيب - الأمير ١ : ٦٤

- وقال إنه قد يلي الآ نعت لما قبلها مفرد أو جملة كالمفرد

مثل : ما مررت برجل الأشبجاء ، والجملة : ما مررت بأحد الآ زيد خير منه . (١)

٢ أجاز الزمخشري وحده حذف ما عطف عليه أم فقال في قوله تعالى : " أم كنتم شهداء " " يجوز كون أم متصلة على أن الخطاب لليهود ، وحذف معادلها أي اتدعون على الانبياء اليهودية " أم كنتم . . . شهداء " . (٢)

٣ وقال إن الباء أصل حرف القسم ، والواو بدل منها ، والتاء بدل من الواو ، وفي التاء زيادة معنى التعجب ، قال في قوله تعالى " وتالله لأكيدن أصناعكم " وكأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه مع عتو نمرود وقهره . (٣)

٤ وقال في (إذا) ان عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ الملقا جأة قال في قوله تعالى " ثم اذا دعاكم دعوة " أن التقدير إذا دعاكم فاجأتم الخروج في ذلك الوقت قال ابن هشام : ولا يعرف هذا لغيره . (٤)

٥ قال ابن هشام : وأفاد الزمخشري أن السين اذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه افادت انه واقع لا محالة .

(١) ابن يعيثري على المفصل ٢ : ٩٣ - معجم الهوامع ١ : ٢٣٠

(٢) مغني اللبيب - الامير ١ : ٤٣ - الكشاف ط طهران ١ : ٣١٣ - المفصل ٨ : ٩٧

(٣) المغني ١ : ١٠٦ - الانبياء ٥٧

(٤) المغني ١ : ٨٠ - الروم ٢٥

وقال : ولم أر من فهم وجه ذلك وزججها أنها تفيد الوعد بحصول النتيجة الفعل ، فدخلها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضراً لتوكيده ، وتشبثت معناه وقد أوماً إلى ذلك في سورة البقرة في قوله تعالى " فسيكفيهم الله " معنى السين أن ذلك كائن لا محالة وان تأخر إلى حين وسرح به في سورة براءة فقال في قوله تعالى " أولئك سيرحمهم الله " السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة ، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد إذا قلت : سأنتقم منك (١) - جعل الجملة بعد (إلا) في مثل قوله تعالى : " وما أعلنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم " (٢) صفة لقرية ، وقال : إن الواو للصوق الصفة وجعلها غيره واو الحال ، وتابعه أبو البقاء العكبري على هذا الرأي . (٣) - وقال : إن الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات تدل على ترتيب معانيها مثل قوله :

يا لهف زياية للحارث — صاحب فالغانم فالآيب

كانه قال : الذي صبح فغنم فآب .

او تدل على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك : خذ الاكمل .

• فالأفضل

او تدل على ترتيب موصوفاتها في ذلك ، نحو : رحم الله المحلقين

فالمقصرين . (٤)

(١) انظر : الكشاف ١ : ٣١٥ البقرة أية ١٣٧ ، الكشاف ٢ : ٢٠٢ التوبة ٧١

(٢) مغنى اللبيب المبارك ٢ : ٤٨٣ - الحجر آية ٤

(٣) المرجع السابق

(٤) الجنى الدانى ص ٦٣ - مغنى اللبيب الامير ١ : ١٤٠

- وذهب إلى أن (حاشا) تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء ،
 و (حاشا) التنزيهية غير الاستثنائية عند النحاة . (١)
 - وقال : إن (الباء) في قوله تعالى " عينا يشرب بها عبادة الله " (٢)
 هي كالباء في شرب الماء بالعسل ، والمعنى يشرب بها عباد الله الخمر ،
 ولم يقل به غيره .

- في قوله تعالى " ما انت بنعمة ربك بمجنون "

قال : ان الباء تتعلق بمجنون منفيًا ، كما تتعلق بعاقل مثبتًا ، كأنه
 قيل : أنت بنعمة الله عاقل . (٣)

- وذهب الزمخشري إلى أن (أما) في قولك : أما زيد فذاهب

تعطى الكلام فضل توكيد .

قال ابن هشام في معنى اللبيب : " وأما التوكيد ، فقل من ذكره ،
 ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشري ، فانه قال : فائدة أما في الكلام أن
 تعطيه فضل توكيد ، تقول : زيد ذاهب ، فاذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا
 محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت ؟ أما زيد فذاهب (٤)

ولعل الزمخشري أخذ هذا الرأي من قول سيبويه في تفسيره ، مهما يكن

من شيء ، فزيد ذاهب .

- وذكر أن من معاني الواو الإباحة ، قال ابن هشام في المعنى :

(١) المفصل ٣٧ : ٨ - النهر الماد على البحر المحيط ٣٠١ : ٥

(٢) الجنى الدانى ص ٤٤ - معنى اللبيب الامير ٩٨ : ١ - الانسان آية ٩

(٣) الكشاف ٤ : ٥٨٤ القلم آية ٢

(٤) المعنى الامير ٥٤ : ١ - المفصل ١١ : ٩

وزعم أنه يقال : جالس الحسن وابن سيرين أى أحدهما ولهذا قيل " تلك

عشرة كاملة " بعد ذكر ثلاثة وسعة لثلا يتوهم إرادة الإباحة .

وأردف ابن هشام هذا بقوله : " والمعروف من كلام النحويين أنه لو

قيل جالس الحسن وابن سيرين كان امرا يجالسة كلا منهما وجعل ذلك فرقا

بين العطف بالواو والعطف بأو . (١)

ويشير الصبان فى حاشيته على الاشموني إلى أن ابن مالك وافق الزمخشري

فى قوله هذا ، كما وافقه ابن هشام فى حواشيه على التسهيل أيضا . (٢)

وذهب إلى أن (إذ) قد تقع مبتدأ ، وخرج على ذلك قراءة بعض

بعضهم " لقد من الله على المؤمنين : إذ بعث فىهم رسولا " (٣) بقوله :

يجوز أن يكون التقدير منه إذ بعث وأن تكون إذ فى محل رفع كإذا فى

قولك : أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائما أى لمن من الله على المؤمنين

وقت بعثه . (٣)

ويعلق ابن هشام بقوله : " فتمتنى هذا الوجه أن إذ مبتدأ ولا نعلم

لذلك قائلا ثم تنزيهه بالمثال غير مناسب لأن الكلام فى إذ لا فى إذا .

وقال : ان (الباء) فى صيغة التعجب (افعل به) مزيدة للتأكيد

والاختصاص ، أو هى للتعديدية وعند جمهور النحاة أنها مزيدة للفاعل . (٤)

(١) مغنى اللبيب الامير ٣٣ : ٢ - الاشموني ٣ : ١٠٨

(٢) حاشية الصبان على الاشموني ٣ : ١٠٨ ، ١٠٩

(٣) المغنى الامير ٧٥ : ١ - آل عمران آية ١٦٤

(٤) المفصل ١٤٧ : ٧

الفصل - مل الخامس

منهج - الزاشرجى النوى

الزمخشري والأصول النحوية

باستقراء قواعد اللغة نجد أنها تقوم على السماع والقياس .
 والسماع يستقى من نبعين أصليين في العربية هما : القرآن الكريم ،
 وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم واللغة العربية شعرها ونثرها بحيث
 تؤخذ ممن يوثق بفصاحتهم ولهذا نجد النحاة الأوائل قد رحلوا إلى
 أعماق الجزيرة العربية يشافهون أهلها ، يأخذون عنهم اللغة والشعر .
 وقد استشهد النحاة بصريهم وكوفيهم بالقراءات على تفاوت بينهم في
 ذلك .

أما حديث الرسول عليه الصلاة والسلام فقد سكت النحاة المتقدمون
 مثل : أبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه
 والكسائي والفراء ، وادرابهم عن الاحتجاج به ، ولكن المتأخرين انقسموا إلى
 طوائف أجاز بعضها الاستشهاد بحديث الرسول عليه السلام بشروط معينة .
 معينة . (١)

كما اعتمد النحاة الأوائل القياس أصلا من الأصول النحوية إذ
 أحسوا بضرورة الحاجة إليه لتنمية الحصيلة اللغوية فكان عبدالله بن أبي
 اسحق كما قيل : شديد التجريد بالقياس . (٢)

وقد نسب إلى الخليل وسيبويه أنهما يريان : " أن ما قيس على
 كلام العرب فهو من كلامهم " . (٣) سار على نهجهم كثير من الخالفين

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ٣ : ١٩٩ مقال للخضر حسين

(٢) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ١٤

(٣) المخزومي : الخليل بن أحمد ص ٢٥٢ - المصنف ١ : ١٨٠

• بعدهم ولا سيما البصريين .

فجاء الزمخشري مقتفياً أثر هؤلاء النحاة في الاعتماد على هذين
الاصليين ولكنه كان ذا رأى واجتهاد ، فكان له رأيه واجتهاده فيما نقل
عن العرب من شعر ونثر ، وكتب النحوية واللغوية مليئة بهذه النماذج .
ولما كان لعلماء اللغة رأى في التحديد الزمانى والمكانى لنقل الل
اللغة وسماها كان الزمخشري متبعاً لهم ، مقتفياً أثرهم ، ولكنه يتميز في
هذا بأنه مجتهد غير مقلد ، نقد وجد في نفسه الكفاية لمخالفتهم
فيما يراه صواباً ، فهو مثلاً ينقد اللغة التي يراها ضعيفة لعدم ورودها
من فصحاء العرب ولا ممن يوثق بحريتهم كما سيأتى عند الكلام في
شواهد .

أما القياس : فقد كان الزمخشري يستعمله في النحو كثيراً وهو
يسلك فيه المنهج الفكرى للمعتزلة ، ويتضح موقف الزمخشري من القياس
فيما يلي :

- إن أعلى شىء في اللغة هو ما تعاون على ثبوته القياس الصحيح

الصحيح والرواية القصيحة . (١)

فهو يجمع بين القياس وأقوال فصحاء اللغة ويعتبر اللغة الموسومة
بهذه السمة من أعلى اللغات وأصحها عنده ، ويرد القياس عنده إلا في
الرواية التي يثبت وثوقها .

وعنده كذلك أن الاستعمال المستفيض أقوى من القياس الحسن

فقد ورد في كشافه أمثلة تفيد ذلك ومنها ما ختمه بقوله : هذا قياس

حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر ،

تتضمن إليه القياسات . (١)

ولا يصح عنده القياس على القليل . (٢) ولا على اللغات :

الضعيفة . (٣)

ومجمل ما يراه أن كل ما كان بمعزل عن استعمال الفصحاء وعن

القياس فهو لحن .

(١) الكشاف ط الحلبى ٥٥١ : ٢

(٢) الكشاف ١٦٤ : ٤ — المفصل ٩٨ : ٣

(٣) المفصل ٢٧ : ٩

منهجه فى التأليف النحوى

منهجه فى تأليف المفصل :

تقدم الحديث فى هذا البحث عن مختلف الثقافات التى سبقت الزمخشرى ، ولا ريب أنه اطلع على معظم الكتب النحوية واللغوية قبل تأليف مفصله . ويظهر بهذا واضحا فى نقوله عن هؤلاء السابقين . وكان أكثر نقله عن سيويه ثم الأخفش، والخليل والمبرد ، وأبى عمرو ابن العلاء واتجهت نقوله بعد هذا نحو القلة كما يتضح من هذا البيان وهو موجز بمن نقل عنهم وعدد مرات النقل عن كل منهم .:

سيويه ٩١ مرة ، الأخفش ٣٤ مرة ، الخليل بن أحمد ٢٦ مرة ، المبرد ١٠ مرات ، أبو عمرو بن العلاء ٩ مرات ، يونس بن حبيب ٩ مرات ، الفراء ٦ مرات ، الكسائى ٥ مرات ، الزجاج ٥ مرات ، أبو زيد ٤ مرات ، الأصمعى ٤ مرات ، اليزيدى ٤ مرات ، قطرب مرتين ، ثعلب مرتين ، أبو عبيدة مرتين ، المازنى مرتين ، أبو علي مرتين ، أبو الاسود مرة واحدة ، النضر بن شميل مرة واحدة ، عيسى بن عمر مرة واحدة ، ابن السكيت مرة واحدة ، ابن الأعرابى مرة واحدة .

وهكذا نرى أنه نقل أكثر ما نقل عن شيخ النحاة ، وكان يكثر من ترديد اسمه فى المسائل ، ويستشهد بشراهد كتابه ، ويكن له كل احترام وتقدير .

ولعل متابعة الزمخشرى لتلك المؤلفات ، وأولئك العلماء ، واكتسابه منهم قد فتحت بصيرته للحكم على تلك الكتب بأنها لاتجارى

العصر والتطور الثقافي في وقته ، بل لعله لمس ما ينقصها من ترتيب

(١)

وتسيق لأبوابها وفصولها ، نلمس هذا من توجيهه في مقدمة مفصله .

لهذا نرى أن الزمخشري نهج نهجا جديدا في تبويب كتابه وتفصيله

فللمصنف أن يطبق ما يراه مما يراه في ترتيب مادة كتابه ، ولو خالف في

ذلك غيره من العلماء .

وهكذا فعل الزمخشري ، فهو يفتح في مقدمة كتابه (المفصل) عن

خطة سيره بقوله : "فأنشأت هذا الكتاب المترجم بكتاب ، المفصل في

صنعة الإعراب " مقسوما أربعة أقسام : الأول في الاسماء ، والثاني في

الأفعال ، والثالث في الحروف ، والرابع في المشترك . وصنفت كلا من

هذه الأقسام تصنيفا وفصلت كل صنفا منها تفصيلا . . . " (٢)

فراه حصر مادة كتابه في أربعة أقسام رئيسة كما يتضح من هذا

العرض فمتحدث في قسم الاسماء عن الاسم وخصائصه من جنس وعلم ،

وذكر من أصنافه الاسم المعرب المتصرف وغيره ، ثم ذكر وجوه إعراب

الاسم ، فبدأ بالمرفوعات ، بحث فيها الفاعل ، ثم المبتدأ والخبر ، وخبر

إن ولا النافية للجنس ، واسم ما ولا المشبهتين بليس ، ولم يذكر نائب

الفاعل لأنه لا يفرق بينه وبين الفاعل .

ثم تحدث عن المنصوبات ، وبدأ بالمفعول المطلق ، فالمفعول به

فالمنادى فالتحذير ، والمضمر على شريطة التفسير ، فالمفعول فيه ، :

فالمفعول معه فالمفعول له فالحال ، فالمتميز ، فالاستثناء ، فخبركان ،

(١) مقدمة المفصل ١ : ١٧

(٢) المصدر السابق

فاسم أن

فاسم ان ، فاسم لا النافية للجنس ، فخير ما ولا المشبهتين به ليس .

ثم بحث المجرورات والاضافة ثم بحث التوابع ، فالاسم المبني ، وبحث

فيه الضمير ، والاشارة ، فالموصلات ، قُسماء الافعال ، فالأصوات ، فالظروف

المبنية فالمركبات ، فالكنائيات ،

ثم عرض للمثنى ، فالجمع ، فالمعرفة والنكرة ، فالمذكر والمؤنث فالضمير

فالمصغر والمنسوب ، فالعدد فالمقصور والممدود ، فالاسماء المتصلة بال...

بالأفعال وهى :

اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وأفعال التفضيل ،

والزمان والمكان والآلة .

ثم بدأ فى قسم الافعال : الماضى والمضارع والأمر ، فالفعل : التام

المتعدى وغير المتعدى ، فالمبنى للمفعول ، ثم أفعال القلوب ، فالافعال

الناقصة ، فافعال المتاربة ، وفعلا المدح والذم ، فالفعل القلائى المجرى

والمزيد ، فالفعل الرباعى من مجرد ومزيد .

وعرض فى قسم الحروف لمعنى الحرف ، فحروف الاضافة ، فحروف التام

العطف ، فالنفي ، فالتنبيه ، فالنداء ، فالتصديق والإيجاب فالاستثناء ...

ثم أنهى الكتاب بالقسم المشترك ، فتحدث عن الامالة ، ومعناها

وأسبابها فالوقف وبيان لغاته الأربح ، فالقسم والغرض منه ومعناه ،

وأدواته ، فتخفيف الهمزة وحذفها ، وعلة حذفها ، ثم التقاء الساكنين ،

وسى يجوز .

ثم تحدث عن زيادة الحروف ، ومعنى زيادتها ، ثم إبدال الحروف
وتعريف الإبدال والقلب ، ثم الاعتلال معناه وحروفه .
ومن أسماء المشترك : الإدغام ، معناه والعلة فيه ، فمخرج الحروف ،
فصفات الحروف ، ثم تفصيل الإدغام في الحروف ، يبدأ بالهمزة وينتهي
بالنون .

مشهجه النحوى فى الكشاف

بالتقصاء خطى الزمخشري فى كشافه يلاحظ الباحث ما يلى :

— يتعزز لكثير من أوجه الأعراب اذا كان فى ذلك توضيح للمعنى

المقصود .

وذلك كما فى قوله تعالى : " وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون

ذكرى وما كنا ظالمين " (١)

يقول : ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة ، إما لأن أنذر وذكر متقاربان إذ

فكانه قيل : مذكرون تذكرة . وإما لأنها حال من الضمير فى منذرون

أى يندرونهم ذوى تذكرة . وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم

ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة ، أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف

بمعنى هذه تذكرة ، والجملة اعتراضية ، أو صفة بمعنى منذرون ذوى ذكرى

أو جعلوا ذكرى لامعانهم فى التذكرة وإطنابهم فيها .

ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له ، والمعنى : وما

أهلكنا من أهل قرية ظالمين ، إلا بعد أن الزمانهم الحجة ، بإرسال

المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة ، وعبرة لغيرهم فلا يعصون مثل

عصيانهم . (٢)

— يجعل للنحو وظيفة معنوية وهى الإبانة عن معانى الكلام ووجوه

فهمه ، ويضفي على النحو أهمية خاصة فى تفهم القرآن الكريم ، فهو يرى

(١) الشعراء آية ٢٠٨

(٢) الكشاف ط الحلبي ٣ : ١٣٠

أن المفسر يجب أن يكون فارساً في علم الأعراب ، له حظ وافر منه ،
مقدماً في معرفة كتاب سيوييه . (١) كما في قوله تعالى :

" أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون . أو أمن

أهل القرى أن يأتيهم بأسنا . . . (٢)

يقول : والفاء والواو في أفأمن و أو أمن حرفا عطف دخلت عليهما

همزة الإنكار .

فإن قلت : ما المعطوف عليه ولم عطف الأولى بالفاء والثانية بالواو ؟

قلت : المعطوف عليه قوله : فأخذناهم بختة ، وقوله : - ولو أن

أهل القرى . . . الى يكسبون - وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف

عليه ، وإنما عطف بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بختة ،

أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا ، وأمدوا أن يأتيهم

بأسنا ضحى . (٣)

- ينظر من خلال الدراسة النحويّة الى الذوق الأدبي والأسلوب

البهرجى ، بغض النظر عن تقديرنا النحاة . كما في قوله تعالى :

" هدى للمتقين " (٤)

يقول : ومحل هدى للمتقين الرفع ، لأنه خبر مبتدأ محذوف ، أو

(١) الكشاف المقدمة ٨ : ١

(٢) سورة الأعراف آية ٩٧ ، ٩٨

(٣) الكشاف ٢ : ٩٩٨

(٤) الكشاف ١ : ١٢١ - البقرة آية ٢

خبر مع " لا ريب فيه " ل (ذلك) . أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم
 خبراً عنه ، ويجوز أن ينتصب على الحال ، والحامل فيه معنى الإشارة
 أو الظرف .

ثم قال : والذي هو أرسخ عرفاً في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال
 صفحا ، وأن يقال إن قوله : (الم) جملة برأسها ، أو طائفة من
 حروف المعجم مستقلة بنفسها و (ذلك الكتاب) جملة ثانية و (لا ريب فيه)
 ثالثة و (هدى للمتقين) رابعة .

وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة ، وموجب حسن النظم حيث جىء بها
 متناسقة هكذا من غير حرف نسق ، وذلك لمجيئها متأخية أخذ بعضها
 بتلابيب بعض . (١)

— يسرد آراء النحاة ثم يبدى رأيه ، كما نعى قوله تعالى : " ثم
 لننزعن من كل شيعة أئهم أشد " (٢)

يقول : واختلف في إعراب (أئهم أشد) فعن الخليل أنه مرتفع على
 الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أئهم أشد ، وسيويوه على أنه
 مبنى على النعم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته ، حتى ولو جرد
 به لأعرب .

وقيل : أئهم هو أشد ويجوز أن يكون النزاع واقعا على (من كل
 شيعة) كقوله سبحانه " ووهبنا له من رحمتنا " (٣) أي لننزعن بعض

(١) الكشاف الحلبي ١: ١٢١

(٢) مريم آية ٦٩

(٣) مريم آية ٥٣

كل شيعة ، فكأن قائلها قال : من هم ؟ " فقل أيهم أشد عتياً " ..
 وأيهم أشد بالنصب ، عن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء . (١)
 — ويستدل لما يراه صحيحاً من آراء النحاة البصريين أو الكوفيين مع
 جنوحه للمذهب البصرى ، واجلاله المطلق لسيبويه .

في قوله تعالى : " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً "
 ونحن له عابدون " (٢) يقول : (ونحن له عابدون) عطف على آمنة
 بالله ، وهذا العطف يرد قول من زعم أن (صبغة) بدل من (ملة) ابن
 إبراهيم) أو نسب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيها من فك
 النظم ، وإخراج الكلام التثامه واتساقه ، وانتصابها على أنها مصدر مؤكد
 هو الذى ذكره سيبويه ، والقول ما قالت حزام . (٣)

— ويستشهد بالحديث الشريف في النحو ، كما استشهد به في كتبه
 الأخرى .

يقول في الكشاف : وقد فسر بعضهم أمرنا " بكثرتنا " وجعل باب
 أمرته فامر من باب فعلته ففعل ، كثبرته فثبر ، وفي الحديث : " خير المال
 سكة مأبورة ومهرة مأورة " أى كثيرة النتاج .

(١) الكشاف ٢ : ٥١٩ — مريم آية ٦٩

(٢) الكشاف ١ : ١٩٦ — البقرة آية ١٣٨

(٣) المصدر السابق

التجديد فى منهج الزمخشري

الأول مرة يعرض المؤلف منهجه فى مقدمة الكتاب ، ولم يكن هذا
 معهودا عند المؤلفين السابقين له ، والمؤلف جعل منهج كتابه شاملا
 كسل الأحكام النحوية والصرفية .
 فالجانب النحوى عنده يقوم على الأحكام المتمثلة بالكلمة من حيث
 بنيتها وضبطها ، ووظيفتها فى التركيب اللغوى ، وعلى هذا وضع المنهج
 وفصل عليه الأحكام .

فالتطور النحوى حدث على يد الزمخشري فتناول المنهج النحوى
 أكثر من تناوله للمادة النحوية نفسها من حيث ما تشتمل عليه من قضايا
 وأحكام . (١)

ويرجع فضل ذلك إلى متابعتة للدراسة النحوية وتعمقه فى تفاسيلها
 وجزئياتها ومعايشته إياها .
 وبحكم ثقافته الاعتزالية وميله إلى الانطلاق الفكرى ، أحس إحساسا قويا
 بأن للنحو غاية وهى : تقويم اللسان وفهم النص اللغوى ، ولذلك رأى
 النحو فى حاجة إلى منهج جديد ، فاتجه اتجاهها فاق به من سبقوه ،
 ومن عاصروه .

اتجه إلى المادة النحوية بمنهجية أعمل فيها عقله ، فابتدع خطة
 سهلة شاملة ، ثم ظهرت شخصيته فى بعض المسائل شأنه شأن العلماء
 المتخصصين الذين يسهمون فى بناء الثقافة ، ويضيفون إليها الجديد من
 أعمالهم .

لقد عالج الزمخشري قضية النحوى اتجاهين مهمين لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، وهما : اللفظ المفرد ، والتركيب اللغوى .
 وفى كل قضية نهج نهجا خاصا به لم يسبق إليه ، فجعل فى كتبه الخاصة بالنحو ما عالج به قضايا النحو الكلية ، فجمع كل المتشابهات فى العمل ، وفى الجنس فى باب واحد ، وحدا به هذا الى أن يؤلف كتابه كتابه المفصل فى تلك الأبواب الأربعة المشار إليها ، ولم يكتف بذلك بل اختصره مرة أخرى فى كتاب سماه (الأنموذج ٢) .
 فكتاب الأنموذج اختصار شديد لقواعد النحو وأصوله ، وترتيبه يسير على وفق ترتيب المفصل .

فالكتابان يسيران على منهج واحد ، فقد رتب الأنموذج على أربعة أقسام هى : الأسماء والأفعال ، والحروف ، والمشارك ، شأنه شأن المفصل ، ولكن الأنموذج أكثر تركيزا وأشد إيجازا ، فهو يوصى إلى مسائل النحو إيماء ، لأنه متن ضيق لأصول هذا العلم .
 فباب التمييز لا يزيد فيه عن أن يقول : والتمييز هو رفع الإبهام عن الجملة فى قولك : عندى راقود خمر ، ومنوان سمن ، وعشرون درهما ، وملو ، عسلا . (١)

وفى كتاب المفصل يذكر هذه الأصول مع شىء من الشرح الوجيز ، ولا يخرج مع هذا عن عداد المتون .
 واختصارا للقول نرى أن المفصل والأنموذج عالج فيهما القضية الكلية للنحو .

ولما أراد أن يسهل حفظ القواعد على طلاب النحو ، قام باختصار ذلك كله في عجالة صغيرة جعلها في بابين شاملين لأبواب النحو هما : المفرد والمركب وسمى تلك العجالة (المفرد والمؤلف) .

فتحدث فيها عن أحوال اللفظ المفرد ، وأحوال التركيب اللغوي ، وعن أحكامها النحوية دون أن يتعمق القارئ في الاستطرادات والاستشهادات والاستشهادات ، والتعليقات ، ويمكن أن يعتبر الكتاب بداية ينتفع بها المبتدئون .

فهو يبدأ بالقول في المفرد ويقسمه إلى : اسم ، وفعل ، وحرف ويشرح ويعرف كلا منها مع ضرب مثال واحد لكل ، ثم يتحدث عن أحوال الاسم من إعراب وبناء ، يأخذ في التحدث عن أحوال الفعل فيقسمه إلى ما هو منضارع وأمر ، مع تعريف كل منها ثم يتطرق إلى ما يتصل بها من إعراب وبناء ، ومن تعدد ولزوم ، وإتمام ونقصان .

ثم يعرج على الحرف فيقسمه إلى حروف عاملة : وهي حروف الجر ويذكرها ، وعوامل النصب قبل الرفع في المبتدأ والخبر ، وعوامل الرفع قبل النصب فيهما ، ونواصب الفعل وجوازمه .

وحروف غير عاملة وهي : حروف العطف ، وحروف الاستفهام .

ثم يتحدث عن المؤلف ، وهو الباب الثاني في الكتاب فيقول : المؤلف على ضربين : المبتدأ مع المبنى عليه ، والمضاف مع المضاف إليه والصفة مع الموصوف والمبدل منه مع البدل ، والمؤكد مع المستؤكد ، والمعطوف مع المعطوف عليه ، وذو الحال مع الحال والمقدار مع تمييزه

والمستثنى مع المستثنى منه والصفة والمصدر مع فاعليهما أو مفعوليها .
 ومنه المؤلف مع الفعل والاسم وهى : الفعل مع الفاعل والفعل مع
 المفعول به والفعل مع الحال والتمييز ، والمستثنى .
 ومنه المؤلف من الحرف والاسم وهى : حرف التعريف مع المعرف ،
 وحرف النداء مع الفنادى .

ومنه الحرف المؤلف مع الفعل وهى : قد مع الماضى ، والمضارع .
 ومنه المؤلف من حرفين ونحو : لولا ، لوما ، كذا ، لما ، ألا ، أما .
 ومنه المؤلف مع المفرد والمؤلف : وهو على ضربين ثم يذكرهما . (١)
 والكتاب فى منهجه موجز أشد الإيجاز فهو لا يزيد على عشرين صفحة
 من القطع الصغير وكأنه هيئة للحفظ كي يستفد به الطالب .
 ثم انه يستعمل كفايته لخدمة ابناء العربية ، فيحاول أن ينهج نهجا
 يقودهم إلى أغوار اللغة ، ودقائق النحو ، يمدهم بسيل دافق من
 المسائل النحوية المعقدة ليفيد بها المتخصصين .

فقد ألف كتابه (الأحاجى النحوية) وهو ليس كتاب الغاز ، فبينه
 وبين الألباز بون شاسع فهو كتاب فى خمسين أحجية لجأ فيها إلى
 دقائق النحو وكان هذا المنهج كفيلا بأن يسهل على الطالب حفظ
 الأحجية والالمام بمحتواها ، وما بها من شوارد النحو وقد هيأها فى
 أسلوب سلس يسهل تناوله وسأسوق بعض النماذج للاطلاع على منهجه ،
 وما يرمى إليه فيها من إفاة المتخصصين فى النحو والصرف .

يقول في إحدى أحاجيه : " أخبرني عن فاعل جمع على (فَعَلَة) -
 بضم الفاء وفتح العين - وعن فعيل جمع على (فَعَلَة) بفتح الفاء وفتح
 والعين - " . (١)

ويرد بتوله : فاعل المجموع على فَعَلَة ، باب قاض ، وداع ، قياس ، مثلثب
 وذلك قولك : (قضاة) و (دعاة) ، خالف بضمه فاءه جمع الصحيح ،
 والمعتل العين حيث جاء على (فَعَلَة) بفتحيتين ، وذلك نحو (الكفرة)
 و (الفجرة) و (الحوكة) فيمن أتى به على الأهل .
 وأما فعيل المجموع على (فَعَلَة) فقولهم : (سراة) ويدل على ذلك
 هذا قولهم (سرات) يعني لو كان تكسيرا نحو (كتبة) لما قيل ذلك ،
 كما لا يقال : كتابات وكفرات .
 ويقول في أحجية أخرى : " أخبرني عن نسب بغير يائه ومن تأنيثه ،
 بتاء غير تائه " . (٢)

ويجيب عن هذه الأحجية بقوله : النسب بغير يائه ، ما دل عليه
 بالصيغة نحو (عواج) و (بتار) و (دراع) و (لابن) (ونظير دلالتى
 العلامة والصيغة قولك : ليضرب واضرب ، والفرق بين البنائين أن (فعلا
 مصوغ لما هو صنعة و (فاعلا) لمباشرة الفعل .

فان قلت : أهو قياس كالنسب بالعلامة ، أم يقصر على السماع ؟
 قلت : بل يقصر على السماع . قال سيويه : وليس في كل شيء قيل
 هذا ، ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البرز (برار) ولا لصاحب الفاكهة

فكاه ولا لصاحب الشعر (شعار) ولا لصاحب الدقيق (دقاق) ؟
 فان قلت : فهل جاء (فَعَّال) للمباشرة و (فاعل) لما هو صنعة ؟
 قلت : نعم قد قالوا : بَنَّالٌ وَنَبَّالٌ وَسَيَّافٌ لِمَذْوَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
 قال امرؤ القيس :

وليس بذى رمح فيطعننى به وليس بذى سيف وليس بنبَّال بنبَّال
 يريد وليس بذى نبل ، كما قال : وليس بذى رمح وليس بذى سيف
 وقالوا : شاعر وحائك .

ويرد على قوله : والتأنيث بتاء ليست بتائه فى (بنت) و (أخت)
 لأن تاءها بدل من الواو التى هى لام ، إلا أن اختصاص الموءث بالابدال
 دون المذكر قام علما للتأنيث فكانت هذه التاء موءثة لاختصاصها كتاء التأنيث
 التأنيث ، ونحو التاء فى (مسلمات) هى علامة لجمع الموءث فاختصاصها بجمع
 بجمع الموءث كأنها للتأنيث ، ومن ثم لم يجمعوا بينها وبين تاء التأنيث فجمع
 فلم يقولوا (مسلمات) .

فان قلت : ما أدراك أنها ليست تاء التأنيث ؟
 قلت : لو كانت كذلك لقلبها الواقف هاء فى اللغة الشائعة .
 فان قلت : فلم قلبها من قلبها هاء فى الوقف ، فقال : (البنون :
 والبناء)

قلت : رأها تعطى ما تعطيه تاء التأنيث متوهما مثلها . (١)
 وهو يعتمد على اختصار العبارة ووضوحها ، ويعرضها فى تعبير

مسجوع يساعد السمع على حفظ الأحجية ، مثل قوله :

"أخبرنى عما ينصب ويجر وهو رفع ، وعما تدخله التثنية وهو جمع" (٢)
 (٢) الاحاجي النحوية م ٨ ص ٢٧ - ٢٩
 (١) المرجع السابق م ١١ ص ٣٣

وقوله : " أحبرني عن واحد وجمع لا يفرق بينهما ناطق إلا أن النهمير بينهما فارق " (١) .

وعلى هذا النمط يسير حتى يكملها خمسين أحجية •
وكما تبين من النموذجين المتقدمين ، نجده يستشهد في حلها ،
لغويا ، ونحويا بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، والشعر والنثر والآثار
— أما دراسته في (أعجب العجب) فهي لوقورنت بما كتبه في المفصل
والأنموذج لظهر فرق كبير يتمثل في الإيجاز ، والاختصار الذي مال إليه
في كتبه النحوية ، والإطالة والاسهاب ، والاستطراد في دراسته النحوية
للنصوص الأدبية التي يشرحها •

وكان يعتز بهذا اللون من الدراسة المطولة ، التي تعتبر مسحا
شاملا لكل ما يتصل ^{بالكلمة} ^{ببسم} ^بمتحوا وصرفا واشتاقا ، وأسوق مثلا واحدا
لهذه الدراسة ليكون القارىء على بينة مما أقول ، وهالك هذا المثال
وهو مطلع تصيدة الشنفرى التي قام الزمخشري بشرحها :

أقيموا بنى أمى مدور مطيكم فانى إلى قوم سواكم لأميل
أصل أقيموا أقوموا وماضيه أقام ، وعينه وأو لقولك فيه أقوموا ^{ببسم} ^ب ^ب
فاستنقلت ^{الكسرة} على الواو ، فنقلت إلى القاف ثم قلبت الواو ياء ،
لسكونها وانكسار ما قبلها • وهو فعل أمر مبنى فى الأهل على السكون
وما بنى منه على حركة فلعله أوجبت بناءه عليها •

وذهب قوم إلى أنه معرب بالجزم — رأى الكوفيين — واتفقوا على
أن فعل الأمر للغائب نحو ليقم ، وليذهب مجزوم باللام الداخلة عليه ،

فهو معرب اتفاقا ، ودليل البناء أن الأصل في الأفعال البناء ، فهو معرب
 محكوم عليها به ، إلا أنه يقوم دليل على إعراب شيء منها ، فيكون أنشراح
 وإخراجا لها عن أصلها ، ولم يعرب منها سوى المضارع لشبهه بالاسم ،
 وهو ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربعة فيحكم عليه بالإعراب مادام
 وصف المضارعة باتيا ، وذلك إذا كانت زائدة من الزوائد الأربعة موجودة
 فتمت زايته زال شبهه بالاسم ، فيعود إلى أصله من البناء .

وأينما نجد لا يحتمل معان يفرق الإعراب بينها ، والإعراب في الأصل
 إنما جاء لهذا عند المحققين ، وقال الآخرون ما فيه اللام معرب ،
 فيعرب ما لا لام فيه لتقدير اللام كما قيل : محمد تفد نفسك ، أي لتفد
 نفسك ، وحرف المضارعة أيضا مقدر كالمثال المذكور مع كلام أبي طالب
 لما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم :

محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من امر تبالا

ولا تعويل على هذا القول ، فإن الحذف من الشيء لا يوجب تغيير
 الصيغة بل يحذف ما يحذف ، ويبقى ما يبقى بعد الحذف على حاله ،
 كقولك : ارم فان الأصل إثبات الياء بعد حذفها بقي ما كان على ما كان
 وهذا معدوم في فعل الأمر ، ألا ترى أنك إذا حذفت التاء من تضرب
 لا تقول تضرب زيد بل يعدل إلى صيغة أخرى هي اضرب .
 وأما البيت ، فالأصل تفد على الخير ، وإنما حذف التاء لليزورة ، وبني
 منصوب ، والناصب له الفعل المحذوف أو حرف النداء على اختلاف فيه ،
 وحرف النداء محذوف ، والداهي إلى حذفه إرادة الاختصار مع بقاء المعنى
 والمعتبر لجواز الحذف موجود ، وهو كونه لا يصلح أن يكون وصفا لأي ،

أو الأصل في قولك : يا رجل أقبل ، يا أيها الرجل أقبل ، فلما حذفوا بها لم يحدفوا حرف النداء لئلا يجتمع حذفان ولم يكن الأصل في قولك يا بني ، (يا أيها بني) فإذا حذف حرف لم يجتمع حذفان وإنما نسب المضاف ولم بين كما بنى المفرج وان وافته في كونه مقصودا بالنداء ، وواقعا مع موقع الضمير كالمفرد ، لأن الانهافة توجب احتياج المضاف إلى المضاف إليه فلو بنى المضاف دون المضاف إليه لكان مفردا عنه بالبناء وخرج أن يكون الاسمان كالاسم الواحد فوجب أن يخرج عن باب النداء لان المضاف والمضاف إليه اسمان حقيقة ، فلم يكن إيقاعهما موقع الضمير لأنه مفرد ، واختلف في المضاف إليه ، ياء المتكلم نحو غلامي وأمي ونظائرهما فذهب قوم إلى أنها لامعربة ولا مبنية وآخرون إلى إعرابها وآخرون إلى بنائها .

واحتج الأولون بان الاعراب هو الاختلاف ولا اختلاف هنا وهذا مما يوجب البناء ، ولم تشبه ما تبني لأجله ، وهذا يقتضي الاعراب فوجب الوقف واحتج من قال بالاعراب أن الاعراب أهل في الأسماء ، فإذا عرّض ما يمنع ظهوره قدر كالمقصود ، والحركة في مثل هذا مستقلة كاستقلالها على الاسم المنقوص .

واحتج من قال بانه مبني أن حركته صارت تابعة للياء فتعذرت دلالتها على الاعراب ، وإذا صار تابعا في الحركة صار تابعا في البناء للضمير ، ولأنه خرج عن نظائره من المضافات إذ ليس منها ما يتيح غيره ، والعامل في المضاف إليه الجر والمضاف وهو الاسم الاول — ولما كان هو الجار له وثبت أن الاسم لا يعمل إلا بالحمل على غيره

كان محمولا على جارو ذلك الحار لا يكون الاحرفا ، وهو ما ناسب وقوعه ، في ذلك الموضع وهو (من) أو (اللام) ، فتاب الاسم عنه وليس ثمة حرف تضمن الاسم

الاسم معناه ، اذ لو كان كذلك لكان الاسم مبنيا .
وأما الفاء فانها تنبه على أن ما قبلها علة لما بعدها ويؤيد ذلك وقوعها في جواب الشك ، وقد تأتي رابطة لما بعدها بما قبلها ،
والإشبه استعمالها هنا بمعنى التعليق وان لم توجد صيغته . (١)

ويذكر أن كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف اهتمت بهذا اللون من

الدرس النحوي في فترة ما قبل تطور الأزهر ، لتقرر في نفوس أبنائها
أصول النحو ومسائله بهذه الطريقة العلمية المستفيضة ، حيث تجمع لهم

أشياء من المسائل النحوية في موضوع واحد .

وقد نهض اساتذتها بهذا الدرس فكتبوا كتباً نافعة نهجوا فيها

منهج العلامة الزمخشري في شرح هذه اللامية ، وان اختلفت النصوص

التي دار حولها درسهم . . (٢)

(١) الزمخشري : أعجب العجب في شرح لامية العرب ص ١١-١٤

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٥٣

الشواهد النحوية

محور البحث في هذا الموضوع هو شواهد النحوية في (كتاب المفصل) ومعها غيرها من شواهد النحوية في كتبه الأخرى ، فحيث أن الموضوع شامل لذلك ، يتحتم الإشارة إلى نهجه في الاستشهاد في كتبه الأخرى فهو يستشهد في مفصله . بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر والنثر ، من حكم وأمثال وأقوال مأثورة .

الشواهد القرآنية :

استشهد من القرآن الكريم بخمس وأربعين وثلاثمائة آية ، وهو في استشهاده يسوق الجزء الذي يخص موطن الاستشهاد ، ما سوا شمل ذلك الآية كلها ، أو جزء منها ، لذلك وجد أنه استشهد باثنتين وثلاثين آية كاملة ، وثلاثة عشرة وثلاثمائة جزء من آية .

وكان نأحيانا يأتي من الآية بكلمة واحدة كتمثيله بقوله تعالى : " فأطلع " في مبحث (لعل) . (١) وأحيانا يأتي بكلمتين من الآية كاستشهاده بقوله تعالى " ثلاث قرو " (٢) في ميمز الثلاثة إلى العشرة . (٣)

استشهاده بالقراءات :

وهو لا يختلف بوجه عام عن النحاة السابقين ولا سيما البصريين في

(١) المفصل مع ابن يعيش ، ٨ : ٨١ - ٩ : ٨٣ ، ١٣٦ - ١٠ : ٢٠ ، ١٤٧٤

(٢) المصدر السابق ٦ : ٢٥ ، ٣٥ - ٥٨ ، ٧ : ٨١ ، ٩٧٤ - ١٢٦ ، ١٣٤ ، ٣٥

١٣٥ - ٨ : ٨٣ ، ٨٥ - ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٨

(٣) البقرة آية ٢٢٨

موقفهم من الاستشهاد بالقراءات ، فهو يستشهد بها ويرد طائفة منها ،
ويضعف أخرى ، ويلحن بعض القراء ويرجح قراءة على قراءة وإليك بحضرة
النماذج التي توضح صلة الزمخشري بالقراءات قبل تناول هذا النوع من
الشواهد :

- ينسب الزمخشري بعض الخبايا إلى أصحابها مثل قوله تعالى :
" وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ " (١)
فهو يقول : وقرأ عبدالله بن مسعود " ولن تسأل " وقرأ أبي " وما
تسأل " . (٢)

وفى قوله تعالى : " وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ " (٣) قال : قرأ أبو
حنيفة ، وهى قراءة ابن عباس " إبراهيمُ ربه " برفع إبراهيم ونصب ربه ،
والمعنى أنه دعاه بكلمات من . الدعاء . (٤)

وفى قوله تعالى : " وَعَلَى الَّذِينَ يَطْلِقُونَهُ فَدِيَةٌ طَعَامٍ مَسْكِينٍ " (٥)
يقول : قرأ ابن عباس " وعلى الذين يَطْلِقُونَهُ فدية طعام مسكين " بمعنى
يتكلفونه أو يتقلدونه . (٦)

وفى قوله تعالى : " وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ " (٧) يقول :
قرأ على وابن مسعود والشعبي " وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ " برفع العمرة

(١) البقرة آية ١١٩

(٢) الكشاف ط الحلبى ٧٢ : ١

(٣) البقرة آية ١٦٦

(٤) الكشاف البحلى ٧٢ : ١

(٥) البقرة آية ١٨٤

(٦) الكشاف الحلبى ١ : ٨٨

(٧) البقرة آية ١٦٦

كأنهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكاية الحجة وهو الوجوب . (١)
 فنراه في هذه الأمثلة المتقدمة يذكر القراءة وينسبها الى القارى .
 - وقد يأتى بأوجه القراءات دون ذكر أصحابها ، وأمثلة ذلك :
 في قوله تعالى : " وأما شعور فهديناها (٢) الخال : وقرئ
 بالنصب . (٣)

وفي قوله تعالى : " وما عملته أيديهم " (٤) قال : وقرئ
 ما عملت . (٥)
 وفي قوله تعالى : " ويسألونك ماذا ينفقون قل الحفو " قال :
 وقرئ بالرفع والنصب . (٦)

والحاقا بالقراءات يذكر بعض المصاحف التي كانت تتمثل فيها
 بعض هذه القراءات .

ففي قوله تعالى : " وما هو على الخيب بضرب " (٧) يقول :
 وفي مصحف عبدالله بالظاء " بظنين " وفي مصحف أبي بالضاد .
 - ويوازن بين القراءات :

يقول في قوله تعالى : " وضرب الله مثلا كلمة طيب كشجرة طيبة

(١) الكشاف الحلبي ١: ٩٣

(٢) سورة فصلت آية ١٧

(٣) ابن يعيش ٢: ٢٣

(٤) سورة يس آية ٢٥

(٥) ش ابن يعيش ٢: ٢٩

(٦) المرجع السابق ٤: ٢٣ - البقرة آية ٢١٩

(٧) سورة التكويد آية ٢٤

أصلها ثابت وفرعها في السماء " (١)

وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها •

فان قلت : أى فرق بين القراءتين ؟

قلت : قراءة الجماعة أقوى ، لأن في قراءة أنس أجريت الصفة على

الشجرة • (٢)

ويقول في قوله تعالى : " من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه " (٣)

وقرى " من يصرف " على البناء للفاعل ، ويجوز أن ينتصب (يومئذ)

بيصرف انتصاب المفعول به ، أى لمن يصرف الله عنه ذلك اليوم وينصر

هذه القراءة قراءة أبى (من يصرف الله عنه) (٤) •

وفى قوله تعالى :- " مالك يوم الدين " عرض للقراءات المختلفة فى

لفظة (مالك) ثم اختار ما بينها قراءة ملك بالكسر وعلل ذلك باختيار

بأنها قراءة أهل الحرمين ، ولقوله تعالى : (لمن الملك اليوم^١) ولقوله

تعالى : (ملك الناس) وأن الملك يحم ويخص • (٥)

- ويستشهد بالقراءات فى النحو:

يقول فى قوله تعالى : " ويمدهم فى طغيانهم يحمهون " (٦)

من مد الجيش يمد ، وأمد ، إذا زاد بما يقويه ويكثره ، وكذلك

مد الدواء وأمدها زادها بما يصلحها ، ومددت السراج وأرض

(١) سورة ابراهيم آية ٢٤

(٢) الكشاف الحلبى ٥٠٤:٢

(٣) سورة انعام آية ١٦

(٤) الكشاف الحلبى ٧:٢

(٥) المصدر السابق ١١:١

(٦) سورة البقرة آية ١٥

إذا استعملحهما بالزيت والسماد ومدده الشيطان فى الخى وأمدده، إذا
واصله بالوساوس حتى يتلاحق فيه ويزدادانهما كما فيه .
فان قلت : لم زعمت أنه من المدد دون المد فى العمر والإملاء
والإمهال ؟

قلت : كفاك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير
وابن محيصة (ويمدعم) وقراءة نافع " وإخوانهم يمدونهم " (١) .
فهذا عند الإمعان فيه نجد من قبيل الاستشهاد بالقراءات فى
الجانب النحوى الى الجانب اللغوى .

وفى قوله تعالى : " فلما أمهات ما حوله ذهب الله بنورهم (٢)
يقول : وهى فى القراءة متعددة ، ويحتمل أن تكون غير متعددة
مسندة الى ما حوله ، والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول
المستوفد أماكن وأشياء ، ويحضده قراءة ابن أبى عيلة (ضاعت) (٣)
- تخريجه لبعض القراءات :

ارتبطت نشأة النحو ارتباطا وثيقا بالقراءات فقد تتبع النحاة :
الأولون القراءات بالبحث العميق ، وهم لم يعتدوا بما خالفه قوانينهم
من القراءات الشاذة ، بل إن البصريين منهم على وجه الخصوص كانوا
يرددون القراءات التى لا تتفق ومنهجهم ، ولو كانت إحدى القراءات
المتواترة ، فيجهلون قارئها وينسبونه الى الخطأ واللحن .

(١) الكشاف ط الحلبي ١ : ١٨٨

(٢) البقرة آية ١٧

(٣) الكشاف ١ : ٧٣

ذكر الزمخشري في كشافه عند قوله تعالى : " هوءلا بناتى هن " *

أظهر لكم . . . (١) أن ابن مروان قرأ " عن أظهر " بالنصب ،
 وضعفه سيويه . وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأ " عن أظهر " بالنصب
 فقد تربع في لحنه . (٢)

ولكن الزمخشري يسوق في تخريجه لهذه القراءة ألا تكون (هن) فيها
 فصلا وذلك أن يكون هوءلا مبتدأ و " بناتى هن " جملة في موضع خبر
 المبتدأ ، ويكون أظهر جالا . (٣)

وفي قوله تعالى : " أم حسب الذين أخرجوا السيئات أن نجعلهم
 (٤)

كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون "
 يذكر أبو حيان أن حفصا وحزمة والكسائي قرأوا " سواء " بالنصب

فوصف سيويه بقراءة النصب بالقبح والرداءة .

وقرأ الجمهور " سواء " بالرفع " ومماتهم " بالرفع أيضا (٥)

ولم يقف الزمخشري مكتوف اليدين أمام قراءة النصب ، بل خرجها

تخريجا ارتضاه أبو حيان ، فقد قال الزمخشري : والجملة التي هي

" سواء محياهم ومماتهم ، بدل من الكاف ، لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا

فكانت في حكم المفرد ، ألا تراك لو قلت : أن نجعلهم سواء محياهم

ومماتهم كان سديدا ، كما تقول : ظننت زيدا أبوه منطلق . . . ثم عقب

(١) هود آية ٧٨

(٢) الكشاف الحلبى ٢ : ٢٨٣

(٣) المصدر نفسه

(٤) الجاثية آية ٢١

(٥) البحر المحيط ظ : ٨٠ : ٤٧

أبو حيان بقوله : " وهذا الذى ذهب إليه الزمخشري من إبدال الجملة من المفرد قد أجازته أبو الفتح ، واختاره ابن مالك . (١)
وهكذا يرفض الزمخشري اعتراضاً بصرياً على قراءة يضعفها إمام النحاة ، ويخرجها بما يتفق والأسلوب العربى الفصيح .

وقراءة حمزة فى قوله تعالى : " واتقوا الله الذى تسألون به رباً والأرحام " (٢) بجر الأرحام . قال عنها المبرد : " لا تحل القراءة بها " (٣) مع أن هذه القراءة مروية عن آخرين مثل شريك بن عبد الله والأعمش وإبراهيم النخعي . (٤)

وسبب تضعيف هذه القراءة هو العطف على الضمير المخفوض ، وقد وافق الزمخشري النحاة على هذا الضعف ، ولكنه فى تعبيره كان أكثر ليناً من المبرد الذى يحرم القراءة بها ، لكن الزمخشري يقول : " وقراءة حمزة ، والأرحام بالجر ليست بالقوية " (٤)

فهو فى تعبيره هذا يجيز القراءة بها على ضعفها ولا يحرمها ثم أنه لا يصرح بهذا الضعف تصريحاً .

وهكذا يتبين أن الزمخشري يجتهد فى أخذه بالقراءات أو رده لها .
- اتجاءه إلى معارضة القراءات :

يتبين أن البصريين النحاة ، كانوا يقبلون من القراءات ما يوافق :

(١) البحر المحيط ظ : ٤٧

(٢) النساء آية ١

(٣) ابن يعيش ٣ : ٧٨

(٤) المرجع السابق

مذهبهم الذي يخلب عليه القياس، والزمخشري ينهج نهجهم في ذلك، ولكنه يجتهد رأيه في نعتها بالغرابة، أو الرداءة، أو التعسف، أو

اللحن، أو عدم الفصاحة وإن كان لم يعبر عنها بالشذوذ .
وأحيانا ينسب الخطأ الى نقلة القراءة لا إلى القراء أنفسهم .

ولعل الزمخشري كان صريحا واضحا في تعبيره في نعت القراءة

ببعض ما تقدم، مما أثار عليه حفيظة بعض العلماء، كأبي حيان النحوي وهذه بعض النماذج التي أعلن رأيه فيها صريحا :

ففي قوله تعالى : " فأمست قليلا ثم أضطره " يسوق قراءة ابن

محيسن " ثم أطره " بادغام نباد أضطره في طائه ثم يصفها بأنها لغة
مرذولة . (١)

وعند قوله تعالى : " نخسف بهم " يقول بأنه قرئ بادغامها

في اللباء " ، وهو ضعيف . (٢)

وقال في قوله تعالى : " ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي "

وقرئ بمصرخي ، بكسر الياء وهي ضعيفة . (٣)

وقال في قوله تعالى : " لا تقصص رؤياك على إخوتك " : وسمع

من الكسائي " ريك " بالادغام وهم الراء وكسرهما وهي ضعيفة . (٤)

ومن القراءات التي طال حواها الجدل قراءة عبدالله بن عامر

اليحصبي " وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم "

برفع قتل ونصب أولاد ، وجر شك . على إضافة القتل إلى الشركاء

(١) الكشاف الحلبي ١ : ٧٣

(٢) المفصل مع ابن يعين، ١٠ : ١٤٦

(٣) الكشاف ٢ : ٥٥١

(٤) الكشاف ٢ : ٤٤٤

والفصل بينهما بخير فصل بالظرف ، وهذا الفصل غير جائز في أصول

المذهب البصرى • (١)

وقد أنكر الزمخشري هذه القراءة ، وقال فيها : أما قراءة ابن

عامر فشىء لو كان في مكان الضرورة لكان سمجا مردودا ، كما سمج ورد

• نزج القلوص أبي مزادة • (٢)

ويتصدى أبو حيان للرد على الزمخشري بقوله : " و، التفات

الى قول الزمخشري ، وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يريد على عربى

صريح محض قراءة متواترة " •

ويشير استاذنا الدكتور ابراهيم رفيده الى ما استنكر قراءة ابن

هذه من المتقدمين على الزمخشري مثل : الفراء ، والزجاج ، والنحاس

والطبرى • كما يؤكد أن قول الزمخشري ذلك أخذه من (معانى الفراء)

وان اختلف التعبير • (٣)

ولعل هجوم أبى حيان على الزمخشري كان تقاييدا لشيخه بن

المنير (٤) الذى وجه للزمخشري أشد النقد • (٥)

وكان اتهمته منبعضا من ظنه أن القراءة عند الزمخشري تثبت بالرأى

لكن الواقع أن هذا لم يصح عن الزمخشري ، بل هو ينسب الخطأ الى

قلة ضبط الرواة ، ويقول : ان سبب قلة الضبط ، هو قلة ضبط الدراية

و، يضبط مثل هذا ، أهل النحو • (٦)

(١) انصاف ٢ : ٤٣١

(٢) الكشاف ٢ : ٥٤

(٣) النحو وكتب التفسير ١ : ٧٦٥

(٤) المرجع السابق ١ : ٧٦٦

(٥) المرجع نفسه ١ : ٧٦٥

(٦) الكشاف ١ : ٤٣٠

فليس هناك دليل لابن المنير على أن الزمخشري ثبت عنده

القراءة بالرأى .

وليس معنى هذا أن الزمخشري كان مقلدا للفراء أو غيره من المتقدمين في نقد أية قراءة بل سبق في هذا المبحث أنه اجتهد في تخريج قراءات تعرضت للند من جانب النحاة أنفسهم ، وأيده أبو حيان في بعض آرائه تلك . (١)

شواهد بالحدِيث الشرف :

استشهد الزمخشري بالحدِيث الشريف في سبعة مواطن في مفضله

كما استشهد في غيره من كتبه الأخرى ، وهو بذلك يخالف أكثر من سبقه من النحاة .

أما بعض النحاة من المتأخرين فإنهم يستشهدون بالحدِيث الشريف وقد ادعى بعض الباحثين المحدثين أن أول من قال بالاستشهاد به هو ابن خروف (ت ٦١٠) ثم من جاءوا بعده كإبن مالك (ت ٦٧٣) وابن هشام (ت ٧٦١) . . . وغيرهم .

والحق أن الزمخشري يلجأ إلى أن يوضح في أوائل من استشهدوا به

(١) انظر من ٩٨ لمن هذا المبحث

بالحديث النبوي في اللُغة والنحو فقد أفاد من الحديث في كثير من شواهدة وأمثله ، وهو بذلك يخالف جمهور النحويين البصريين والكوفيين واليك بعض الأمثلة التي توضح ذلك :

- جاء في المفصل أن حَيْهَلٌ وحَيْهَلٌ ، وحَيْهَلًا ، جاء معدّي بنفسه ، وبالبا ، وبالي ، وبعلی ، وفي الحديث : " إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر " (١)

- وفيه أيضا أن اسم التفضيل يفرد أو يطابق إذا أضيف إلى معرفة وأنه قد اجتمع الوجهان في قوله عليه الصلاة والسلام : " ألا أخبركم بأحبكم اليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة ؟ أحاسنكم أخلاقا ، الموطأون أكتافا الذين يألفون ويؤلفون ، ألا أخبركم بأبغضكم اليّ وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة ؟ أساؤكم أخلاقا ، الشرارون المتفهبون " (٢)

- وفي إضمار المصدر جاء في المفصل : ومن إضمار المصدر قولك عبد الله أظنه منطلقا ، تجعل الهاء ضمير الظن ، كأنك قلت : عبد الله أظن ظني . . منطلقا ، وما جاء في الدعوة المرفوعة " واجعله الوارث منا " محتمل عنده أن يوجه على هذا . (٣)

- وجاء فيه : وقد يثنى الجمع على تأويل الجماعتين ، والفرقتين ، أنشد أبو زيد :

• لنا إبلان فينا ما علمتم •

(١) المفصل مع ابن يعيش ٤ : ٤٥

(٢) المصدر السابق ٣ : ٧

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٢٣

- (١) وفي الحديث : " مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين " -
 - ومن استشهدا ^{في} اللغة ما جاء في المفصل من إبدال الواو
 المفتوحة همزة ، ومنه أحد أحد في الحديث ، أي وحدّ وحدّ . (٢)
 - واستشهد في أحاجيه على إبدال الحرف من الحرف بقوله صلى
 الله عليه وسلم : " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش " وميد أني . (٣)
 - واستشهد بحديث النمر بن تولب إبدال بنى طى لام التعريف
 ميمًا في قوله صلى الله عليه وسلم " ليس من امبر امصيام في امسفر " (٤)
 - وفي أعجب العجب في قول الشاعر ؛
 فاما ترينى كابنة الرمل ضاحيا على رقة أحفى ولا أتعل
 قال : ضاحيا ، بارزا ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : " أضحى
 لمن أحرمت له " (٥)
 - وفيه أن نون (من) اذا دخلت على ما أوله همزة وصل ،
 وليس في المصاحبة للام التعريف كسرت ، فتقول : من ابنك بكسر
 النون وفي الحديث : " وشققت لها اسما من اسمي " (٦) بكسر نون من .
 - وفيه أيضا : الصبر : حبس النفس على الجزع وقد صبر فلان عند
 المصيبة ، وسبرته حبسته ، وفي " في رجل أمسك رجلا وقتله آخر " اقتلوا

(١) المفصل مع ابن يعيش ، ٤ : ١٥٣

(٢) المصدر السابق ١٠ : ١٤

(٣) الأحاجي النحوية ص ٢٦

(٤) المصدر السابق ص ٤٥ - المفصل مع ابن يعيش ، ١٠ : ٣٣

(٥) أعجب العجب ص ٥٧

(٦) المصدر السابق ص ٢٥٤

القاتل ، واصبروا الصابر " أى احبسوا الذى حبسه حتى يموت • (١)

- وفيه يقول في شرح البيت :
هممت وهمت وابتدرنا وأسدلت وشمر منى فارط متمهل

الفارط : المتقدم ومنه قوله على الله عليه وسلم : " انا أفرطكم "

أى أنا متقدمكم لأصلح لكم - (٢)

- وفي الكشاف ، إن جملة البسمة متعلقة بفعل محذوف تقديره أقرأ
لا باسم ، ويقدر الفعل مؤخرا مناسبا لما جعلت البسمة مبتدأ له ،
فيقدر باسم الله أقرأ ، باسم الله آكل ، باسم الله أرتحل ، ويؤيده الحديث
الشريف " باسمك ربي وضعت جنبي " (٣)

- وفي الكشاف في قوله تعالى : " وأولو العلم قائما بالقسط لا
اله إلا هو العزيز الحكيم " (٤) يقرر أن المنتصب على المدح يكون معرفة
معرفة ويكون نكرة معتمدا على الحديث الشريف " إنا معشر الأنبياء
لا نورث " في كونه معرفة ، وعلى شاهد سيبويه - في كونه نكرة - حين
أنشد قول الهذلي :
ويأوى إلى نسوة عطل وشعثاً مراضيح مثل السعالي (٥)

لعل في هذه النماذج ما يكفي دليلا على استشهاد الزمخشري

بالحديث الشريف على اللغة والنحو .

(١) أعجب العجب ص ٥٧ ، ٥٨

(٢) المصدر نفسه ص ٥١

(٣) الكشاف ١ : ٢٢

(٤) آل عمران آية ١٨

(٥) الكشاف ١ : ٤١٧

- واستشهد باللغة من شعر ونثر .
- استشهاده بالشعر :

واستشهد في مفصله يتسعة وخمسين وأربعمئة بيت من الشعر
منها سبعة عشر ومائتا بيت كاملة ، واثنان وأربعون ومائتا جزء من بيت
يقتصر فيها على موطن الاستشهاد .
فهو يأتي بصدر البيت أو بعجزه ، وقد يأتي بجزء من أحدهما أو
منهما معا ، فالأمثلة بصدر البيت أو عجزه تملأ الكتاب ، أما استشهاده
بجزء بيت فمنه قول الشاعر :

- عدت عليه بزويرا .

وهو جزء من عجز بيت للطرماح يستدل به على أن زوير اسم :

للكلية . (١)

ومن استشهاده بجزء بيت من الصدر قوله :

- أرسلها العراك .

مثل به للحال وصاحبها . (٢)

ومن تمثله بجزء بيت مأخوذ من الصدر والعجز قول الشاعر :

- وواقد^ه حبك^و النطاق .

استشهد به في أن اسم الفاعل يشنى ويجمع مصححا أو مكسرا

فيعمل عمل المقرد في نصب المفعول . (٣)

ونسب الزمخشري من شواهد كتابه الشعرية أربعة وستين ومائة

بيت لقاتلها ، وسكت عن نسبة الباقي .

(١) المفصل مع ابن يحيى ، ١ : ٣٧ ، ٨١ - ٢ : ١١١ - ٣ : ٢٥١٩ ، ٣٧

(٢) المصدر السابق ٢ : ٦٢ ، ٤ - ٣ : ٥٩ ، ١١٤

(٣) المصدر نفسه ٦ : ٧٤

استشهادہ بالنثر :

واستشهد بالنثر العربى من : روايات ، وأمثال ، وأقوال مشهورة

- فمن تمثيله بالروايات :

فتح همزة (إن) في قوله تعالى " إن ربهم بهم يومئذ

لخبير " اذ روى أن الحجاج فتح همزة إن ، فاسقط اللام فقال : " أن

ربهم بهم يومئذ خبير " (١)

وفى حذف ألف (أما) استدلال بكلام الهجرس بن كليب فى حكاية

" أم وسيفى ، وزريه ، ورحى ونصليه ، وفرسى وأذنيه ، لا يدع

الرجل قاتل أبيه ، وهو ينظر اليه " (٢)

واستشهد على مجىء (لما) بمعنى (الآ) برواية عمر بن الخطاب

" عزمت عليك لما ضربت كاتيك سوطا " (٣)

وفى قلب الف (ما) الاستهامية هاء ، رواية أبى ذؤيب قال :

" قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلوا بالإحرام

فقلت مه ؟ فقيل : هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٤)

- ومن استشهادہ بالأمثال :

مثل لفاعل فعل مضمر بقولهم : " لو ذات سوار لطمتنى "

أى لو ثبت . (٥)

(١) المفصل مع ابن يعيش ، ٨ : ١١٦

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر نفسه ٢ : ٧٠

(٤) المفصل ٤ : ٦ - ٢ : ١٠٤٩٦ - ٣ : ٥٤٣١ ، ٩٨ ، ٨ : ٧٨

(٥) المفصل ١ : ٨١

ومن أمثله في أفضل التفضيل : " أظن من ابن المذلق "

" وأحمد من شينة " (١) وقوله : " أشغل من ذات النحين " و

" آبل من ضيف الحناتم " (٢)

— ومن أمثله بأقوال المشهورة :

استدل على التزام حذف الخبر بقولهم : " أكثر شربى الضويق

ملتوتا " . (٣)

ومن المصادر الضمنية بأفعال مضمرة قولهم : " خير مقدم ،

موايد عرقوب ، غضب الخيل على اللجم ، ، ، ، ، " (٤)

وفي التحذير مثل بقولهم : " كل شيء وبه شتيه حر " على

تقدير آت كل شيء " .

— وكان يستشهد بكم العرب بالفصحاء شأنه في ذلك شأن

سائر النحاة ، كما كان يستأنس بما يسمعه من العرب في زمنه للوصول

إلى معنى أو إثبات حكم . فهو يستدل بكم أمراء حاضر حلقة قلعه

فيقول : إنه كان يسمع منه الحديث بمكة ، فسأل بعض السحرة فذوق

ناحية من — رضى الله عنه — ماذا لقينا بعدك من الهدد ؟ فقال

أمراء من وراء الحافة : الهدد الشديد . (٥)

— ويذكر في الكشاف أن العرب يسمون مركبا من مركبهم بالشتد

(١) المفصل مع ابن يعيش ٢ : ٩

(٢) المصدر السابق ٦ : ٩٤

(٣) المصدر نفسه ١ : ٩٥

(٤) المفصل ٧ : ١١٣

(٥) مقاما الزمخشري ص ١١١

وهو مركب خفيف ليس، ورفى ثقل محامل العراق، فسأل رجلا في طريق
الطائف عن المحمل العراقي ما اسمه ؛ فقال له : أليس ذلك اسمه
الشقدف ؟ قال ؛ بلى . قال الرجل ؛ هذا اسمه الشقنداف ، فأخذ
من هذا أنه زاد في بناء الاسم لزيادة المسمى ؛ (١)

— واستأنس بأشعار بعض شعراء العربية من المولدين ممن لا يحتج
بشعرهم من أمثال ؛ أبو تمام ، والمتنبى ، والبحتري ، بحيث بيد و ذلك
سمة بارزة في مصنفاته ؛

فقد تمثل في غير موضع من كتبه لأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي
وأبي الطيب المتنبى وقد فسر بعض الدارسين هذا الموقف من الزمخشري
بأنه متابعة منه لموقف سابق لأبي على الفارسي حين احتج ببيت للمتنبى
مجاملة لسيف الدولة . هو قوله :

من كان مرعى عزمه وهمومه روى الأمانى لم يزل مهزولا (٢)
ولعل الصحيح أن أبا على ذكر هذا البيت من باب التمثيل ، لا من
باب الاحتجاج . (٣)

واستشهد الزمخشري ببيت لأبي فراس الحمداني هو قوله :

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالى أشاطرك الهموم تعالى
وقد لحن الشاعر في قوله : (تعالى) بالكسر ، ولكن ذكرنا
السجاعي في حاشيته على قطر الندى أن هذا التلحين لم يرتضه
الزمخشري ، وليس مراد الزمخشري الاستدلال على الكسر بهذا الشعر ،

(١) الكشاف ١ : ٤١

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٣٦٢

(٣) أصول التفكير النحوى ص ١٢٨

لأنه لمولد لا من كلام العرب بل للاستثناس فاندفع ما اعترض به عليه . (١)
 فرأى الزمخشري أن شعر المولدين من أمثال أبي تمام (ت ٢٣١ ص)

لا يستشهد به في اللغة والنحو لاشتراط الفصاحة وسلامة السليقة ، ولكنه يرى
 أن التمثيل بكلامهم للثقة فيهم بمفتهم علماء من علماء العربية ورواة
 الشعر فيجعل ما يقولونه بمنزلة ما يروونه .

فيقول عن شعر أبي تمام : " وهو وإن كان محدثا لا يستشهد

بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما

يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ،

فيكتفون بذلك لوثوقهم بروايته و واتقانه ؟ " (٢)

فهو بهذا لا يخرج عن الخط الذي رسمه علماء العربية في الاستشهاد

وما تمثيله واستشهاده إلا عن وعى ، وإدراك بما عليه هو علماء العلماء .

ويتبين من قوله السابق : الدليل عليه بيت الحماسة . . إلى آخره أنه

يأتي بكلام المولدين للتمثيل لا للاستشهاد ، فهو يوضح بذلك قاعدة

مستقرة .

(١) حاشية السجاسى على قطر الندى ص ١٦

(٢) الكشف ١ : ٨٦

خصائص أسلوبه

الخصائص الأسلوبية جزء من المنهج، ولهذا تناولتها في هذا الجزء الموطن، والملاحظ على أسلوب الزمخشري هو مجارة علماء عصره، الذين يغلب عليهم المحسنات المتكلفة من سجع وجناس وطباق ومقابلة، والسجع والسجع بخاصة يقدم به أكثر كتبه سواء كانت لغوية أم أدبية، وهناك من كتبه ما قام على السجع مثل: الأحاجي النحوية والمقامات ونوايح الكلم وأطواق الذهب.

والسجع بدأ يحتل مكانته بين الأدباء والكتاب منذ القرن الثالث ثم أخذ يفقد مكانته قليلا قليلا مما دفع الزمخشري نفسه أن يبدى ملاحظته على السجع في مقدمة كتابه (المقامات) إذ يقول: " لتعلم أن ما سماه الناس البديع من تحسين الألفاظ، وتزيينها بطلب الطباق فيها والتجنيس، والتسجيع والترصيع، لا يملح ولا يبرع حتى يوازي مصنوعه مطبوعه، وآلا فما قلق في أماكنه، ونبا عن مواقعه، فمنبوذ بالعراء، مرفوض عند الخطباء والشعراء " (١)

فهو يمقت الصنعة في الأسلوب، ويحاول أن يجعل سجعه كالمطبوع وإن لم يكن دائما على هذا السمات وسأعرض بعض أساليبه مبتدئا ببعض مقدمات كتبه، ثم أقدم نماذج من كتبه المختلفة ليتضح مدى محافظته على المحسنات المطبوعة.

يقول في مقدمة المفصل: " الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن

(١)

أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنضوى إلى لفيف الشعوبية وأنحاز "
 - وفي مقدمة أعجب العجب يقول : " سبحانك اللهم وبحمدك معرب
 الأفهام بقيد الأفهام ، مرصع جواهر البيان بقيد التبيان لا الاعجام مطلع
 كنوز القرآن العظيم ، بفهم الحرية والبيان العميم تمنزه عموم صفاتك عن
 الحال والتميز ، وتقدس كنه جلالك عن الإدراك بل إلى التعجيز "
 - ويقول : هذه نكتة قذفتها خواطر خاطري ، وفائدة جردتها
 نواظر ناظري ، وعقد توسط بين درره الجواهر ، ورواها تبسم بين الز
 الزهور النواظر ٠٠٠ (٣)

من هذه النماذج يبدو لنا ما عليه الزمخشري من تكلف في
 المحسنات ، فهو بادي التكلف في قوله : " خاطر خاطري ، ونواظر
 ناظري " ، ولعل في قوله أمتاز وأنحاز قبولاً أكثر .
 ويلاحظ في معظم مقدمات كتبه وجود هذا النوع من السجع .
 أما كتبه الأخرى فمعها :

- يقول في كتابه الأحاجي : " أخبرني عن واحد في معنى اثنين
 وعن حركة في حكم حركتين " ويقول : " أخبرني عن فصل ليس بين
 المعرفتين فاصلاً ، وعن رب على المعرفة داخلاً " و " أخبرني عما ينصب
 ويجر وهو رفع وعما تدخله التثنية وهو جمع " (٤)
 فسجعه هنا يكاد يكون لعم ما في الألغاز ، وإن كان فيه
 شيء من الثقل .

(١) المفصل مع ابن يعيش ، ١ : ٣

(٢) أعجب العجب المقدمة ص ١٠

(٣) المصدر السابق

(٤) الأحاجي : مسألة ٨ ، ١٠ ، ١١

- وفي مقامة العمل يقول : " يا أبا القاسم : لا تسمع لقولهم فنزل
مبين ، وأدب متين ، واسم في المهارة بهما شهير ، وصيت في أكفائهما
جهير " (١)

- وفي مقامة النحو : " يا أبا القاسم : أعجزت أن تكون مثل همزة
الاستفهام إذ اتخذت عنها ضعفها في الكلام ، ليتك شبهتها متقدما في
الخير مع المتقدمين ، ولم تشبه في تأخر حرك حرف التأنيث والتنوين " و
يقول : " اثبت على دين الحق الذي لا يتبدل ولا يحول بمبات
الحركة البنائية التي لا تزول " (٢)

- ومن كتابه نوابغ الكلم :
وكل هذا الكتاب يقوم على الحكم المسجوعة .
يقول فيه : " اذا قلت الأنصار كلت الأبطال " و " قد جمع الأصل
والفرغ من تبع العقل والشرع " و " رب صدقة من بين فكيك خير من
صدقة من بطن فكيك " و " رب كلمة هي عند الناس فضيحة وهي عند
الله فضيحة " و : " لا تمش بالريية مهينما ، ولا تنس أن عليك مهيمنا " (٣)
- ومن كتابه أطواق الذهب يقول : " يا بن آدم أصلك من صلصال
كالفخار ، وفيك ما لا يسمعك من التيه والافتخار ، تارة بالأدب والجد
وتارة بالأب والجد ما أولاك بالأ تصعر خديك ، ولا تفتخر بجديك ،
تبصر خليلي مم مركبك ، وإلام منقلبك ، فخفرك من غلواءك ، واخل بعض
خيلاوك . (٤)

فالحكم التي صاغها في هذين الكتابين هي في سجعها :
ومحسناتها أخرى من سواها بالقبول .

(١) مقامات الزمخشري ص ١٠٨

(٢) المرجع السابق ص ١٩٥

(٣) الزمخشري ص ٢٧٥

(٤) المرجع السابق ص ٢٨١

الإيجاز :

ويظهر الإيجاز في أسلوب الزمخشري واضحا في التعريفات ، فهو

يعرف الاسم مثلا بقوله : " هو ما علق على شئ بعينه غير متناول ما أشبهه " وهذه طبيعته التعليمية .

ثم يكتفى بشرحه عن طريق التمثيل كقوله : " ولا يخلو من أن يكون

اسما كزيد وجعفر ، أو كنية كأبي عمرو وأم كلثوم ، أو لقبا كبطة وقفه "

ودون توضيح لشئ منها يقسمه إلى مفرد ومركب ومنقول ومرتل ، ثم

يمثل لذلك . ويسير على هذا النمط حتى آخر الكتاب . (١)

ومن إيجازه الدخول في الموضوع دون تعريف أحيانا كما يقول في

البدل : " هو على أربعة أضرب : بدل الكل كقوله تعالى : "اهدنا

الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم " ^(٢) وبدل البعض من الكل ،

كقوله رأيت قومك أكثرهم وثلاثيهم " ^(٣)

وقد تدفعه شدة الاختصار إلى بعض الخوض كحديثه عن الجملة الـ

الحالية ، إذ يقول حين يقسمها إلى اسمية وحالية : " إما أن يكون فعلها

مضارعا أو ماضيا ، فان كان مضارعا ، لم يخل من أن يكون مثبتا أو منفيا

فالمثبت من غير واو ، وقد جاء في المنفي الأمران ، وكذلك في الماضي ،

ولا بد معه من تعدد ظاهرة أو مقدرة " ^(٤)

(١) المفصل مع ابن يعيش ، ١ : ١٢٤ ، ٢٧ : ٢ - ٧٥ ، ٥٥ : ٣ - ٣٩ ، ٣٨ : ٣

(٢) الفاتحة آية ٦

(٣) المفصل مع ابن يعيش ٣ : ٦٤

(٤) المفصل ٢ : ٦٥

فهو يقرر بذلك مجموعة من القواعد المختلطة دون أن يأتي لها
بمثال واحد .

والملاحظ أن إيجازه يدفعه إلى عدم الاهتمام باخراج المحترزات
بل يترك التعريف على طبيعته دون قيد .

الاجمال ثم التفصيل :

في كل أبواب المفصل كان يسرد الفصول مجملة ثم يأخذ في
التفصيل فصلا فصلا ، أو موضوعا موضوعا ، حسب مسرده السابق فهو
يذكر المبنيات مجملة في قوله : المضمات ، وأسماء الشارة ، والموصولات ،
وأسماء الاعمال ، والأصوات وبعض الظروف ، والمركبات والكنيات . . . (١)
ثم يأخذ في التفصيل على الترتيب نفسه فيبدأ بالمضمات ، ويليهما
الإشارة . . . وييسر عليها مرتبة كما بدأها على طريقة النشر بالترتيب
والنشر المرتب .

(٢) - ويقول علم العلم : " هو ينقسم الى مفرد ومركب ، ومنقول ومرتل
ثم يذكر المفرد ، فالمركب ، فالمنقول ، فالمرتل .
- وهو عند تقسيم الجنس إلى أنواعه ، يذكر جميع الأنواع ، ثم يشرع
في شرحها والتمثيل لها على الترتيب السابق وان دل هذا على شيء
فإنما يدل على دقة فكره وترتيبه .

(١) المفصل مع ابن يعيش ٣ : ٨٣

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٧

الإطناب في أسلوب الزمخشري :

إذا كان أسلوبه في المفصل يتسم بالإيجاز ، فلعله على عكس ذلك في الكشف .

فمن وجوه إطنابه ما يلجأ إليه من تقرير المسائل على وجه المحاوراة في صيغة سائل وهجيب ، فمن أمثلة ذلك :

- يقول في قوله تعالى : " الم "

فان قلت : من أى قبيل هي ، من الأسماء المعربة أم المبنية ؟

قلت : بل هي أسماء معربة .

فان قلت : فلم لفظ المتهجي بما آخره ألف منها مقصوراً فلما

أعرب مد فقال هذه باء ، ويا ، وهاء ؟ وذلك يخيل أن وزانها وزان

قولك (لا) مقصورة ، فاذا جعلتها اسماً مددت فقلت : كتبت لاء ؟

قلت : هذا التخيل يضمنها لخصته من الدليل .

فان قلت : قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم ، وأنها من قبيل

المعربة ، وأن سكون اعجازها عند الهجاء لأصل الوقف فما وجه وقوعها

على هذه الصورة فواتح للسور ؟

١)

قلت : فيه أوجه ثم أخذ يفصل هذه الأوجه ويناقشها وجهاً وجهاً .

(٢)

ويقول في قوله تعالى : " فلما أضأت ما حوله ذهب الله بنورهم "

فان قلت : هلاً قيل ذهب الله بنورهم لقوله : فلما أضأت ؟

قلت : ذكر النور أبلغ ، لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة .

فلو يُقيل : ذهب الله بضوئهم ، لأوهم الذهب بالزيادة ، وبقاء ما
يسمى نورا ، والغرض ، إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ، ألا ترى كيف
ذكر عقيه " وتركهم فى ظلمات " (١) والظلمة عبارة عن عدم النور
وانطماسه . (٢)

فلنلاحظ فى أسلوبه هذا أنه أسلوب تقريرى تعليمى وفيه توسع فى
شرح المفردات ، ويتعرض للكلمة من حيث المعنى ، والقراءة ويلجأ الى
اشتقاقها وردها إلى أصلها .

— وفى مقاماته : " وان تكرر على مسامعها السور التى تتروع وتروع
والآيات التى تقرع وتقرع " (٣)

يقول فى شرح هذا القول : القدح الكف . يقال قدح فرسه باللجام
إذا كبحه ، وقدح الرجل : كفه عن مراده . وإذا هم الفحل الذى ليس
بنجيب أن يقرع نجبية قدح أنفه بالعصى ليكف عنها فحمن ثم قالوا
للخاطب الشريف هو الفحل الذى لا يقدح أنفه .

ويروى أن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، أبا خديجة

— رضى الله عنها — أفاق من سكره ، فرأى أثر العرس ، فقال : ما هذا

الخير وما هذا العبير ، وما هذا القير ؟ فقيل : إن محمد بن عبد الله

— صلى الله عليه وسلم — خطب خديجة . فقال : ذلك فحل لا يقدح

ومن الاستعارة قولهم قدح الخمسين سنة إذا جاوزها . (٤)

(١) البقرة آية ١٧

(٢) الكشاف ٢ : ٢٩٠

(٣) الكشاف ٣ : ١٢٤

(٤) الزمخشري : لباب اللغة ص ٢٥

فمن جملة ما تقدم ، نرى أنه يلون أسلوبه من نحو وعرف ولغة وبلاغة حتى أنه يعرض لبعض الحكايات إذا كانت توضح معنى يوئيد رأيه

— وأحيانا يوغل في الاطناب بل يستطرد في دروب شتى :*

يقول في تفسير قوله تعالى : " أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار " (١) الجنة البستان من النخل ، والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه ، قال زهير :

• تسقى جنة سحقا •

أى : نخلا طوالا ، والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها

وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر الجن إذا ستره ، كأنها سترة واحدة لفرط التفافها ، وسميت دار الثواب جنة لما فيها من

الجنان •

فان قلت : ما معنى جمع الجنة هذه وتكثيرها ؟

قلت : الجنة اسم لدار الثواب كلها ، وهى مشتملة على جنان كثيرة

مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين ، لكل طبقة منهم جنات من

(٢)

تلك الجنان • ثم يستطرد في الحديث حول الجنة ووجودها ودرجاتها •

— وفي مقامة الخشية يشرح قوله " الطبايرحى بيضته ويرفرف عليها "

ضرب مثلا لمث يذب من الانسان عن حوزته ، وحقيقته ، فيقال :

فلان يحى بيضته ، ولو قيل فلان يرفرف بجناحه على بيضة الاسلام لكان

مجازا مرشحا •

(١) البقرة آية ٢٥

(٢) الكشاف ١ : ٢٥٧

وفي قوله : " أذل من بيضة البلد " يقول : هي بيضة النعامة

وأضيفت إلى البلد وهي المفاوة لأنها تباثر فيها ، وأمها تتركها
فتحضرها أخرى فعلمنا كانت متروكة من ناحية ، محضونة من أخرى ووصفت
بالعزة والذلة فقيل :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الروح في جسدي
لكن قاتله من لا يعاب به وكان قدما يسمى بيضة البلد
والقاتل أخت عمر بن ود : هي علي - رضى الله عنه - وقتله

أخاها وقيل إن أبا فضلة ليس من أحد نسل أباه ، فهو بيضة البلد
وقيل المراد بالبيضة التي هي مثل في الذل : الكمأة البيضاء ،

(١)

لأن الأرض تبيضها ، أو تشبيهاً بالبيضة في قولهم : أذل من فقع بقرقر .
- ومن سمات الاطناب في أسلوب الزمخشري ، تغليب الجملة على ما

تحتمله من أوجه فحالا يكتفى فيها بوجه واحد ، ولم يكن هو أول من قلب
الكلام على ما يحتمل من وجوه ولكن بالبالغ في ذلك حتى صار سمة
بارزة في دراساته بحيث يمكن أن يعد هذا من خصائص أسلوبه .

(٢)

من ذلك ما جاء في قوله تعالى : " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه " .
حين يقول : فان قلت : أخبرني عن تأليف (ذلك الكتاب) مع

(الم) . قلت : إن جعلت (الم) اسماً للسورة ففي التأليف وجوه :

أن يكون (الم) مبتدأ ، وذلك مبتدأ ثانياً ، والكتاب خبره والجملة

خبر المبتدأ الأول .

(١) شرح مقامات الزمخشري ص ١٥

(٢) البقرة آية ١

ومعناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل ، كأن ما عداه من الكتب
 في مقابله ناقص ، وأنه الذى يستأهل أن يسمى كتابا ، كما تقول : هو
 الرجل أى الكامل فى الرجولية ، الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات
 الخصال ، وكما قيل :

• هم القوم كل ا لقم يأنهم خالد •

وأن يكون الكتاب صفة ، ومعناه ، هو ذلك الكتاب الموعود ، وأن يكون
 (الم) خبر مبتدأ محذوف أى هذا (الم) ويكون (ذلك) خبرا ثانيا أو
 بدلا ، على أن الكتاب صفة ، وأن يكون هذه (الم) جملة وذلك الكتاب
 جملة أخرى •

وان جعلت (الم) بمنزلة السوت ، كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب ،
 أى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل • أو الكتاب صفة والخبر ما به
 بعده ، وقدر مبتدأ محذوفا أى هو - يعنى المؤلف من هذه الحروف -
 ذلك الكتاب • (١)

المساواة :

وكما أن فى أسلوب الزمخشري الإيجاز حتى الإخلال فى بعضه ،
 المناطق ، والاطناب حتى الاستطراد فى مناطق أخرى ، فاننا نلمس فى
 أسلوبه المساواة ، فمن ذلك :

(٢)

— يقول فى قوله تعالى : "اكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر"

المعتر : المعترض . بغير سوأل ، القانع الراضى بما عنده ،

وبما يعطى من غير سوءال من قنعت قنعا وقناعة •

والمعتر : المعترض بسوءال ، وقرأ الحسن المعترى ، وعرى الشىء

وعراه واعتراه ، بمعنى •

(١)

• وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضى لا غير ، يقال قنع فهو قنع وقانع •

- وفي قوله تعالى : " ذهب الله بنورهم " (٢)

يقول : الفرق بين أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله

وجعله ذاهبا ، ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه ، وذهب

السلطان بماله أخذه - فلما ذهبوا به - ، - أذن لذهب كل إله بما

خلق - ومنه ذهب به الخيلاء ، والمعنى : أخذ الله نورهم وأمسكه

وما يمسك الله فلا مرسل له ، فهو أبلغ من الاذهاب • (٣)

- وفي مقامة الارعواء يقول : الرنو ، دوام النظر ، ومنه كأس رنونا

دائمة الدور ، وعين رانية ، وعيون روان ، والوقف باثبات اليا ، فيما

لا ينون كالوقف بحذفها فيما ينون ، أعنى أن الفصيح هذا القاضى ،

وهذا قاضى • (٤)

(١) الكشاف ٣ : ١٥

(٢) البقرة آية ١٧

(٣) الكشاف ٣ : ٥٤

(٤) مقامات الزمخشرى ص ٢٤

مأخذ على الزمخشري

لا ينكر أحد فضل الزمخشري على اللغة والأدب ، وعلوم الدين ، وقد

أثنى عليه الكثير من العلماء . ولا يعنى هذا أنه يخلو من بعض المآخذ

التي يتنبهون بتعرض لها جلة العلماء ، وإذا كثرت لاحظت بعض المآخذ

حسب اجتهادى ، فهذا ليس معناه الإقلال من الدرجة العلمية السامقة

التي يتمتع بها ذلك الامام .

فما أخذ على الزمخشري ما يأتى :

— هو لا يتابع بعض النصوص الشعرية للتأكد من عدم وقوع تحريف

فيها ، ولعله إلى جانب هذا قد اختلط عليه ترتيب النظم فى بعض :

الأبيات بهذا فضلا عن نسبة بعض الأبيات لغير قائلها ، وهذا المآخذ

يوجد عند الكثيرين من العلماء لذا نجد للبيت الواحد أحيانا أكثر من

نسبة .

— أما بعض الأبيات التي ذكر بها بعض التحريف فى مفصله فمنها :

قول النابغة الجعدى :

• ألا أبلغا ليلى وقولا لها هلا • (١)

وابن يحيى يقول : • ألا حيا •••

— وقول لبىد :

• فأصبحت أنى تأتها ثلثين بها • (٢)

وقال الشارح : فأصبحت أنى تأتها تشتجر بها •

(١) المفصل مع ابن يحيى ٤ : ٤٧

(٢) المصدر السابق ٤ : ١٠٩

(١)

وقول العباس بن مرداس :

إذا ما دخلت على الرسول فقل له حقا عليك إذا اطمأن المجلس

وقال الشارح : والصواب إذا ما أتيت ...

وقول الأسود بن يحيى :

(٢)

وقبلى مات الخالدان كلاهما عميد بنى حجون وابن المضلل

قال الشارح : والصواب ، قبلى مات ...

وقول طرفة :

أبنى لبني لستم بيد الأيدي ليست لها عضد (٣)

قال ابن يحيى : يا بني لبني لستما لأب .

- وما اختلط عليه : ترتيب النظم فيه بيت الجميع .

حاشا أبي ثوبان إن به فهنا عن الملحاة والشم
فرداه الشارح وقال إن في البهت تخليط ، وذلك أنه ركب صدره

على عجز غيره * وترتيبه مع البيت الذي بعده :

حاشا أبي ثوبان إن أبا قاهوس ليس ببكمة قدم

عمرو بن عبدالله إن به فهنا على الملحاة والشم (٤)

- ومن الأبيات التي لم ينسبها قول الشاعر :

جواد بنى يهر تسامى علي كان المسومة العراب (٥)

(١) المفصل ٤ : ٩٧

(٢) المصدر السابق ٢ : ٤٦

(٣) المصدر نفسه ٢ : ٩

(٤) المفصل ٧ : ٩٨

(٥) المرجع السابق

وقوله :

• كَأَنَّ ظَبِيَّةً تَعَطَّوْا لِي نَاضِرَ السَّلْمِ • (١)

وقوله :

(٢)

وكيف لنا بالشرب إن لم يَأْنِ لنا دراهم عند الحانوى ولا نَتَدُ

ومما نسبته من الشعر إلى نير قائله :

لله يبقى على الأيام ذوحد بمشمخر به الظيان والآس (٣)

فقد نسبته الزمخشري لعبد نافع الهذلي •

ولكنه ورد في أشعار الهذليين • (٤) لمالك بن خالد الخناعي

ببعضه، بالتخير . في صدره وهو

يَأْمِي لَنْ يَعْجِزَ الْإَيَّامُ ذُو حُدْمٍ بِمَشْمَخِرٍ •••

وقول الشاعر :

فقلت ادعى وأدعو إن أئدى لصوت أن ينادى داعيان (٥)

نسبه الزمخشري لربيعة بن جشم ، وقال الشارح : هو للأعشى

والصحيح أنه لمذار بن - بان النمري إذ يحارض الحطيئة لهجائه

الزبيرقان لما حبسه - الحطيئة - عمر • (٦) وكذلك نسبه الزبيدي في

تاج الحروس لمذار النمري • (٧)

(١) المفصل ٨ : ٨٢

(٢) المصدر السابق ٥ : ١٥١

(٣) المفصل ٩٥٩ : ٨

(٤) أبو سعيد السكري : شرح أشعار الهذليين ١ : ٤٣٩

(٥) المقصل ٧ : ٤٣

(٦) السيوطي : شرح شواهد مني اللبيب ص ٨٢٧

(٧) تاج الحروس مادة (ندى)

وقول الراجز :

• سرهفته ما شئت من سرهاف • (١)

نسبه الزمخشري لروبة بن الحجاج ، وقال ابن يعيش هو للعجاج

أبي روبة ، وكذلك نسبه الزبيدي في تاج العروس للعجاج • (٢)

وقول الشاعر :

(٣)

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوى

نسبه الزمخشري ليزيد بن أم الحكم ، ونسبه الشارح للثقفى ،

- وهاكم بعض المآخذ الأخرى :

- قال في تعريف المبتدأ والخبر : " هما الاسمان المجردان للاسناد

نحو زيد منطلق " ••• " (٤)

بهذا اختصر في الخبر على كونه اسما مع أن الخبر قد يكون جملة

أو شبه جملة • ثم جعل المبتدأ والخبر على حد واحد في التعريف ،

والواقع أنهما مختلفان فلا يجمعهما حد •

وذكر أن المراد بالتجريد اخلاوئهما من العوامل • وكان ينبغي أن

يفيد بأن ذلك التجريد يكون من العوامل غير الزائدة لأنه قد تدخل

عليهما عوامل زائدة ، نحو : هل من رجل في الدار ، وبحسبك درهم •

وفى الأشموني : ان المبتدأ هو الاسم العارى عن العوامل اللفظية غير

الزائدة مخبر عنه ، أو وصفا رافعا لمستغنى به • (٥)

(١) المفصل ٦ : ٤٧

(٢) تاج العروس مادة (سرهف)

(٣) المفصل ٣ : ١١٨

(٤) المفصل مع ابن يعيش ١ : ٨٣

(٥) الأشموني ١ : ١٨٨ - شرح الكافية للرضى ١ : ١١

والخبر : هو الجزء المتم الفائدة مع مبتدأ غير الوصف المذكور . (١)

فهذه العبارة أوضح من عبارة الزمخشري .

وفى شرح مراده بالتجريد قال : " والمراد بالتجريد خبرٌ وهما من

العوامل التي هي : كان وا^١ وحسب^٢ واخواتها ، ^٣نُهما اذا لم يخلوا

منها تلعبت بهما وغصبتهما القرار على الرفع . . . " (٢)

ففى هذه العبارة غموض اذا لم يكن هناك خطأ مطبعى ، وهو قوله :

" ^٤نُهما اذا لم يخلوا منها تلعبت بهما وغصبتهما القرار على الرفع . "

والمعقول أن يكون النص (اذا لم يخلوا منها غصبتهما على الرفع

مرة أو النصب أخرى .

وهذا رأى لم يعرف ^٥أحد من النحاة ، اللهم الا اذا كان الزمخشري

قال هذا بوحى من رأى الكوفى القائل فى آن رافع الفعل المضارع هو

تجرده من الناصب والجازا .

— وذكر أنه قد يقع المبتدأ والخبر معرفتين معا كقولك : زيد المنطلق

والله الهتا ، ومحمد نبينا ، ومنه أنت أنت ، وقول أبى النجم :

• أنا أبو النجم وشعرى شعرى •

و^٦ يجوز تقديم الخبر ههنا ، بل أيهما قدمت فهو المبتدأ . (٣)

وواضح أنه يجوز تقديم الخبر عند أمن اللبس نحو : أبو حنيفة

أبو يوسف ، ونحو قول الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال ^٧اباعد (٤)

وهو لم ينبه على ذلك .

(١) ^٨أشمونى ١٩٤ : ١ — الهجج ٩٣ : ١

(٢) المفصل ٨٣ : ١

(٣) المفصل ٩٨ : ١

(٤) ^٩أشمونى ٢١٠ : ١ — ابن عقيل ١ : ١٥٣

— وقال في تحريف الاسم المعرب : " هو ما اختلف آخره باختلاف
العوامل لفظا — بحركة أو حرف — أو محلاً " ، واختلفه محلاً في نحو :
العصا وسعدى ، والقاضى فى حالتى الرفع والجبر ، وهو فى النصب كالضارب (١)
ولم يذكر فى الاعراب التقديرى المضاف إلى يا المتكلم — وهو عنده
مبنى — ولم يذكر المحكى كالمركبات الاسنادية ونحوها .
وقال فى المعرب : " واختلفه لفظا فى ثلاثة مواضع فى الاسماء
السته مضافة " (٢)

ولم يستوف شروطها ، وقد ذكرها النخاعة بأنها : مفردة ، مكبرة مضافة
لغير يا المتكلم ، وشرط ذوا أن تضاف لاسم جنس .
— لم يعرف الزمخشري المنادى (٣) وقد عرفه النخاعة غيره وقيل
ان جار الله لم يحده لظهوره لا لاشكاله .
والملاحظ أن جار الله لم يسر فى مادته على نمط واحد ، فهو
يقوم بتعريف بعض الموضوّهات ، والتخلى عن بعضها الآخر ، وهذا
الاسلوب تكرر فى مفصله .

— وذكر أن المنادى ينتصب محلاً إذا كان مفردا معرفة مثل : يا زيد ،
يا غلام ، يا أيها الرجل ، أو داخلا عليه لام الاستغاثة أو التعجب . (٤)
فهو فى تمثيله لم يفرق بين المفرد العلم (كزيد) وبين النكرة
(كغلام) والمعلوم أن كلمة غلام قبل دخول النداء عليها كانت مفردا نكرة ،

(١) ابن يعيش على شرح المفصل ١ : ٥٥

(٢) المفصل ١ : ٥٥

(٣) المفصل ١ : ١٢٧

(٤) المفصل ١ : ١٢٨

فلم تدخل تحت المفرد المعرفة إلا بالنداء ،عكس زيد فهو مفرد معرفة قبل دخول حرف النداء عليه .

ومن ناحية أخرى نجد الاسم العلم يختلف في أسلوب النداء عن المعرف بالألف واللام فالأول يدخل عليه حرف النداء مباشرة ،والمعرف (بـ بآل) لا ينادى إلا بواسطة (أى) . لذا كان ينبغى له أن يدخل هذا فى اعتباره .

— بعد أن سرد الزمخشري بعض أمثلة التحذير قال : " ومنه مرحبا وأهلا وسهلا ،أى أصبت رحبا لا ضيقا وأتيت أهلا لا أجنب " (١) وهذا إغراء لا تحذير .

وكرر هذا الخلط مرة أخرى فقال : " ويقولون الأسد الأسد ،والجدار الجدار اذا حذروه الأسد والجدار المتداعى . . . ومنه أخاك أخاك أى الزمه " (٢) وكأنه بذلك لا يفرق بين التحذير والإغراء ، أو كأنه لا يعترف بالاغراء فى لغة العرب .

— ذكر أن الرفع علم الفاعلية ، وجعل المرفوعات الأخرى ملحقات بالفاعل على سبيل التشبيه والتقريب ، ولم يذكر منها نائب الفاعل ، والمشهور أنه منها . (٣)

وقال فى اسم الفاعل إنه يشترط فيه ، أن يعتمد على مبتدأ أو موصوف ، أو ذى حال ، أو حرف نفي . (٤) ولم يذكر حرف النداء نحو : ياطالعا جبلا .

(١) المفصل ٢ : ٢٨

(٢) المصدر السابق ٢ : ٢٩

(٣) المصدر نفسه ١ : ٧١

(٤) المفصل ٦ : ٧٨

- وذكر أنه إذا اجتمع للرجل اسم غير مضاف ولقب ، أضيف اسمه الى لقبه ، فقيل : سعيد كرز ، وقيس قفة ، وزيد بطة .
- وإذا كان مضافاً أو كنية ، أجزى اللقب على الاسم ، فقيل : هذا ...
- عبد الله بطة ، وهذا أبو زيد قفة . (١) ولم يذكر أنه يجوز مع ذلك القطع الى الرفع أو النصب . (٢)

— وقال في إضافة الاسم إلى المسمى ، وقول ذى الرمة :

• • • دع يناديه باسم الماء مبخوم . (٣)

- وهذا الشاهد فيه التباس ، وهو أن (الماء) هنا يوحى بماء محين ولكن المقصود به في الشاهد الخنم ، وكان ينبغي تجنبه أو توضيحه .
- وكذلك عرض القارىء لنفس الالتباس عند حذف الخبر في قول المقيس :
- • • إذ قال الخميس نعم . (٤)

فالمقصود بالنعيم هنا الابل ، ولكن اللفظ يوحى بالإيجاب وهو قول

المجيب نعم ، ولم يبينه على ذلك .

- في نصب الفعل المضارع : ذكر أنه ينصب بأن مضمرة بعد خمسة أحرف وهي : حتى ، واللام ، وأو بمعنى إلى ، وواو الجمع ، والفاء في جواب الأشياء الستة . (٥) ولم يذكر ثم في قول الشاعر :
- انى وقتلى سليكا ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

- في قوله تعالى : " والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما " (٦)
- نقل الزمخشري عن سيويه أن عيسى بن عمر قرأ بالنصب وفضلها

(١) المفصل ١ : ٣٣

(٢) ابن عقيل ١ : ١٠٧

(٣) المفصل ٣ : ١٣

(٤) ابن يحيى على المفصل ١ : ٤٦

(٥) المصدر السابغ ٧ : ١٨

(٦) المائدة آية ٣٨

على قراءة العامة لأجل الأمر ، لا زيدا فأضربه أحسن من (زيد فأضربه)

ورد ابن المنير أنه نقل عن سيبويه خطأ ويبرئ سيبويه من هذا

النقل ، ثم يورد كلام سيبويه في باب (الأمر والنهي) بعد أن ذكر

المواضع التي يختلف فيها النصب (٢) وملخصه :

هو أن النصب على وجه واحد ، وهو بناء الاسم على فعل الأمر

والرفع على وجهين :

أحدهما ضعيف ، وهو الابتداء وبناء الكلام على الفعل .

والآخر قوى بالغ كوجه النصب ، وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف

دل عليه السياق وحيثما تعارض وجهان في الرفع ، أحدهما قوى والآخر

ضعيف تعين حمل القراءة على القوى كما أعربه سيبويه .

ومع أن الامام الزمخشري شديد التحري في النقل عن العلماء فلعله

قد التبس عليه ما يقصده سيبويه إمام النحاة

— وقال في قوله تعالى : " أتأتون الذكوان من العالمين وتذرون

ما خلق لكم ربكم من أزواجكم " (٣)

يحتمل أن يكون قوله (من أزواجكم) بيانا لما خلق ، وأن يكون

للتبعيض ، ويراد به العضو المباح (٤) .

ورد ابن المنير قائلا : وقد أشار الزمخشري للاستدلال على خطر

اتيان المرأة من غير المأتي ويرد عليه بأن (من) لو كانت بيانا لكان المعنى

على ذمهم بترك الأزواج واتيان الذكوان ، لا أن ترك الأزواج وحده منكر .

(١) الكشاف ١ : ٦١٠

(٢) المصدر السابق

(٣) هود آية ٨٠

(٤) الكشاف ٣ : ١٢٤

ويرى حمل (من) على التبعيض فيكون المنكر عليهم أمران ، كل واحد

منهما مستقل بالافتكار :

أحدهما : إتيان الذكران •

والثاني : عدم إتيان النساء في المأتي رغبة في إتيانهن في غيره ،

وحيث أن يتوجه الرفع لفوات الجمع ، واستقلال كل واحد • (١)

وأشارة ابن المنير إلى كون (من) تبعيضية أدق من جعلها بيانية في

تفسير الزمخشري لشمولها المعنيين اللذين ذكرهما ابن المنير •

— وفي قوله تعالى: " ويا قوم أووا- المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا

الناس " ••• " (٢)

قال الزمخشري : النهى عن النقصان أمر بالايفاء •

ورد عليه ابن المنير قائلا : ومن قال إن الأمر بالشيء ليس نهيا عن

ضده أن يستدل بهذه الآية فإن الأمر لو كان عين النهى عن النقص

لكان عقيبه تكرارا •

ثم قال : وفي كلام الزمخشري ما يدل على أنه وهم ، فاعتقد أن

النهى في الآية قبل الأمر ، وذلك سهو وغفلة • (٣)

— وفي قوله تعالى : (" هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة

أعين ") (٤)

قال : فإن قلت : لم قلل الأعين ، إذ الأعين صيغة جمع قلة ؟

قلت : لأن أعين المتقين قليلة بالإضافة إلى غيرهم ، يدل على ذلك

(١) الانتصاف على الكشاف ١٢٤ : ٣

(٢) هود آية ٨٥

(٣) الانتصاف ٢ : ٢٨٥

(٤) الفرقان آية ٧٤

قوله : " وقليل من عبادي الشكور " (١)

قال ابن المنير : والظاهر أن المحكى كلام كل أحد من المتقين

فكأنه قال : يقول كل واحد منهم ، اجعل لنا من أزواجنا وذريتنا قرّة^٤
 أعين ، وهذا أسلم من تأويله فمُن المتقين وان كانوا بالاضافة الى
 غيرهم قليلا إلا أنهم أنفسهم على كثرة من العدد والمعتبر في إطلاق جمع
 القلة أن يكون المجموع قليلا في نفسه لا بالنسبة والاضافة . (٢)

(١) سبأ آية ١٣

(٢) الانتصاف ٤٣ : ١٠٢

الخلاصة

بعد هذه الرحلة بين صفحات المراجع، تلك الرحلة التي استغرقت سنوات ثلاثا، آن لى أن أضح القلم، بعد أن صاحبنى خلال هذه المسيرة.

وقد قادنى البحث إلى الحديث عن إقليم خوارزم - إقليم جارا - الله الزمخشرى - وموقع ذلك الإقليم الذى كان شخرا نشطا من شغور الاسلام يتعرز، أهله لغزو أعدائهم، حتى كان أول إقليم سقط في يد أعداء الاسلام من بلاد الخلافة .

ولما استوغب ذلك الإقليم اللغة العربية والعقيدة الاسلامية اصطلح كثيره من الأقاليم بالصيغة العربية، فأضحى نتاجهم الثقافى والعلمى بهذا اللسان العربى الفصيح .

وكان العلماء يشغلون أنفسهم بنشر العربية، واهتم الطلاب بتلقيها حتى أنجب الإقليم أفواجا من العلماء الأفذاذ، كان من جملتهم الزمخشرى نفسه .

وقد أبرزت في ثنايا البحث ثاقب فكره وعميق نظرتة اذ كان أبرع فرقة المعتزلة فى عصره بحثا ودراسة، وتأويلا للآيات، وتوجيها للغة حتى يطابق ذلك مذهبه . ومع هذا الجهد فى التوجيه العلمى لخدمة عقيدته الاعتزالية كان عريق التقدين صادق الإيمان شديد التقوى يدافع عن الاسلام بخيرة منقطعة النظير .

وكان من أثر هذا التدوين أنه توجه إلى بيت الله الحرام مجاورا وقد فعل ذلك مرثين استغرق جواره فيهما اثنتى عشرة سنة .

كما قادنى البحث إلى الحديث عن اهتمامه بالعلم حتى ترك الزواج فى سبيله ، فكثير شيوخه وتعددت تلاميذه ، فترك تراثا ضخما ، منه المطبوع ومنه المخطوط ومنه المفقود الذى لا ندرى عنه شيئا إلا من بطون

• المراجع •

وصححت بعض الأخطاء المتعلقة ببعض شيوخه اذ تبين أن هناك من سبقت وفاته ولادة الزمخشري ، ومحال أن يكون الزمخشري تلميذا له على ذلك •

وكان تراثه العلمى قد أثر فيمن خلفه من النحاة والمفسرين والبلغاء ولما كان له اجتهاده الخاص فى النحو العربى فكان البحث فى هذا يتناوله مجتهدا ، واذا كانت ميوله بصرية فانه يغلب عليه الاستقلال فى الرأى ولا ينصاع لمذهب أو رأى إلا عن اقتناع وإدراك •

ولتوسيع مذهبه ومنهجه حاولت أن أجلى الحقيقة حوله بتقديم بعض النماذج فى موافقاته لأصحاب المدرستين النحويتين ، البصرية والكوفية ، وبعض أفاض النحاة ، وأردفت ذلك بما استقل به من آراء ، فكان لذلك أثره فيمن جاء بعده من كبار النحويين وبخاصة أبو حيان النحوى ، وابن هشام الأنصارى •

وطرقت أصول مذهبه النحوى التى كان يعتمد عليها ، فلم يخرج فى ذلك عن النحاة السابقين عليه ، وان كان يعتمد اعتمادا كبيرا على القياس ، شأنه فى ذلك شأن فرقة المعتزلة فى اعتمادها على الفكر والنظر ، كما بينت أنه من أوائل من استشهد بالحديث الشريف •
وشأنه فى القراءات اقتفاء أثر النحاة قبله ، فنشاطه فى ذلك هو

امتداد للنشاط النحوي السابق عليه في هذا المجال ، وان ظهر ذلك
عنده بشكل واضح .

ومع هذا كان يحاول تخرّيج الآيات التي نعتها النحاة بنعوت
مختلفة ، فاذا لم يجد لها مخرجا وصفها كغيره من النحاة ، ولكنه لم
يرد في وصفه ذكر الشذوذ كغيره من السابقين .

ثم عرّجت على الحديث عن نهجه في التأليف النحوي ، وبينت أنه

أحدث تجديدا يفيد به المبتدئين كما يفيد العلماء المتخصصين .
وبينت مدى التجديد واهتمامه بإفادة الطالبين فنوع أسلوبه من مختصر هين

يقوم على قواعد النحو ، التي مطّول مسهب عند مزجه النحو والصرف إلا أنه

والاشتقاق بشرحه للنصوص الأدبية ، ووضحت طريقته في أحاجيه التي

حاول أن يفيد بها المتخصصين وهي شبه الغاز مسجوعة .

ثم تحدث عن شواهد وسلوكه في التمثيل سواء بالقرآن الكريم ،

أو الحديث الشريف أو النصوص الأخرى من شعر ونثر ، ووضحت أنه

يسوق الشاهد على قدر حاجته ، فقد يأتي بكلمة واحدة من الآية ،

أو كلمات قليلة من البيت ويكتفي بذلك عن ذكر الآيات وسوق الآيات

بتمامها .

كما رددت شبهة استشهاده بشعر المولدين ، ووضحت أن ذلك

لم يكن على سبيل الاستشهاد بل هو من قبيل التمثيل والاستئناس .

وأنهيت البحث بالحديث عن أسلوبه ، وبحضر المآخذ التي استدرکها

(٢٣٧)

ومع هذا لا أَدعى بأنى قمت بكل ما ينبغي أن يقوم به باحث فى
مثل هذا الموضوع ،فانما هى محاولة بذلت فيها كل وسعى ،وطاقتى
وهى بعد هذا قابلة للنقد والتوجيه وصولا بها نحو الكمال أو ما
يقاربه •

والله أسأل أن يوفقنا إلى سواء السبيل •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،
محمد بن عبدالله ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه
الى يوم الدين . أما بعد :

فقد أفاقت أمتنا الإسلامية ، فوجدت نفسها وقد سبقتها حضارات
متقدمة مزدهرة ، فجعلت تحلول اللحاق بها ، وكان لزاما عليها أن
تدرس ماضيها وكل ما يتصل به ، من علم وثقافة ، وأدب ، ودراسة
رجالها ، وأبطالها ، من مفكرين وساسة وحكام وقادة ، وعلماء برزوا في
مختلف العلوم .

كان ذلك الماضي بناء ضخما ، أقامه فكرنا الإسلامي العظيم ،
الذى خضع بين حناياه العديد من عظماء الإسلام ، من عرب ومستعربين
خدموا هذا الدين ، وهذه اللغة في جدارة وإخلاص ، لا يقلون في
هذا عن الحرب الخلس ، فقد أصبحوا عربا في دينهم ، ولسانهم ،
يدافعون عن حياض هذا الوطن الإسلامي الكبير ، وهذا الدين وتلك اللغة
وأخلصوا نياتهم لذلك .

هذا الصنف من العلماء نعدّه عربيا امتزج باللغة لسانا وتأليفا ،
وأسلم نفسه لهذا الدين عقيدة وشريعة .

لذلك كان لهم الفضل العظيم ، وكان واجبهم علينا حسن الذكر ،
وتقدير الخلف اليار يأسرفه العظماء .

وليس المقام هنا تعداد مآثر هؤلاء الأعلام حتى أبين ما كانوا عليه

وما امتازوا به ، كل في ميدانه ، فهم لا يحصون عدا ، ومآثرهم لا تقح
تحت حصر ، فحسبى أن أتناول أحد هؤلاء الأعلام ، وهو محمود بن عمر
الزمخشري ، على ضوء هذا الفكر الذى بينت .

فقد تناولته بحثا يكشف عن بيئته وعصره ، وحياته ، وتعليمه ،

وشيوخه ، وتلاميذه ، وتراثه العلمى ، ومنهجه .

ولما كان ذلك الحالة متشعب الثقافة اللسانية من نحو ، ولغة ،

وتفسير ، وبهرجة ، وأدب ، كان البحث ملزما بالعلم بهذه الثقافة

قبل الشروع فى الجانب النحوى الذى كان متمكنا فيه ، وبز أقرانه بتفوق

• وابداع .

فجعلت البحث فى مقدمة يتلخص محتواها فيما عرضت ، وتمهيد ،

• وخمسة فصول وخاتمة .

عرضت فى التمهيد الى خوارزم اقليم الحرمة أبى القاسم ، وهو

شجر من شجر الإسبرم - يقا وراء نهر جيحون - يحيط به الأعداء ،

فهو فى رباط دائم ، ومناخه شديد البرودة شتاء حتى أن السوائل تجمد

فيه ، وجوه متقلب .

ومع هذا فانه كثير الخيرات ، والمتعة فيه متوفرة ، وأهله أصطب

صناعات ، ويمتازون بالذكاء ، لذلك فقد أنجب الأقليم العديد من العلماء

السابقين على الزمخشرى ، والمحاصرين له .

كما كان أهل الأقليم فى ذلك الحين مزاياء دينية واجتماعية تخالف

غيرها من الشعوب ، ويبدو أن الأقليم كان محقرا للاعتزال من قديم الزمن .

وتناوب حكم الأقليم منذ فتحه حكام استقلوا عن الخليفة الحباسية ،

مثل : الطاهريين ، والصفارين ، والبهيين ، والسرجقة ، حتى

• جاء الخوارزميون وأسقطوا دولة السرجقة أخيرا .

وكان الحكام مدى فترة حكمهم يراعون الحد والحلماء ، ويحنون

باليقافة خير عناية ، وكان جلهم من أهل العلم . لذلك كان هناك

مراكز الثقافة التي تتمثل في : المساجد ، والمكتبات ، والمدارس ،
 وبوط الحكام ، وختتم التمهيد بحال اللغة العربية في ذلك الإقليم
 حتى عصر الزمخشري . فقد احتلت مكان الصدارة وغلبت على اللغة
 الفارسية ، ثم أخذت في الضعف منذ أن قامت دولة الصفاريين ، حتى
 عاد إليها نشاطها ، وأخذت مكانتها مرة أخرى عند قيام دولة السلاجقة
 وتناولت الحديث في الفصل الأول عن مولده ، وتاسمه ، وكنيته ،
 ولقبه ، ونشأته ، وحياته ، وتحدثت عن أسرته المتدينة المغمورة ، عدا
 أبيه الذي سجنه مؤيد الملك حتى مات في سجنه .

ثم تكدرت عن صفاته الحسية التي كانت تتمثل في سقوط ساقه ،
 وأثر ذلك في نفسه . وعن صفاته المعنوية التي بدا لي أنها مرت
 بعهدين : عهد الشباب المتوثب الطامح ، وعهد الرشد ، والهدوء ،
 والقناء .

فعهد الشباب كان يسيطر فيه علو الهمم ، والصراع للوصول الى
 مصاف الطبقات الاجتماعية ، والعلمية المرموقة ، فوسع اتصالاته بالحكام
 للوصول الى ذلك الغرض ، ولكن دون جدوى .

وما أن مرض مرضته المنذرة كما سماها - كانت بداية الطور الثاني
 من حياته ، فالتمس لنفسه مسلكا مغايرا ، وخط لنفسه نهجا جديدا ،
 فاتجه نحو التأليف النافع الذي يتعلق تعلقا مباشرا بالآخرة ، وجعل يصلح
 ما بينه وبين العلماء في تواضع ، حتى عمت سيرته أفاق .

وكان قد ترك الزواج بسبب طلب العلم ، واحتج في ذلك ببعض

الحجج الاجتهادية ، ولكنني أقمت الحججة على بطلان ذلك الرأي .
 ووضحت أنها لا تقوم حجة أمام السنة الصحيحة التي تحث المسلم على

ورأيت من أثر نزوعه الى اللب في طور حياته الثاني ، أنه توجه الى بيت الله الحرام بنية الجوار ، ثم عاد الى وطنه لشدة حنينه اليه ولم يمكث الا القليل فحز عليه فراق الأماكن المقدسة ، فعاد الى جواره الثاني ، وقد حققت مدو جواره في المرتين اذ اضطرب فيها بعض الباحثين • ثم أنهى الفصل عند وفاته •

ولما كان اعتزاله فترة بارزة في حياته ، لما بدا من تفانيه في خدمة ذلك المذهب ، واستخدامه النحو ، واللغة ، والادب ، والتفسير وتطويعها لخدمته اعتزالية ، فقد دفعنى ذلك للحديث عن نشأة المعتزلة في لمحات سريعة ، تحدثت فيها عن أصول عقيدة الاعتزال في نظر هؤلاء • وشدنى الحديث الى قواعد الاعتزال التي أقرها واصل مؤسس الفرق ، وهى : التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، والقول فى الفريقين ما أهل الجمل ، وأصحاب صفيين • وبيئت مدى توجيه الزمخشري لبعض الآيات التي تؤيد هذه القاعدة لكل فى كشافه •

لم أشرت اشارة سريعة الى رأيه المؤيد لمسألة خلق القرآن

الكريم ، وما اعتمد عليه فى كشافه •

ولما كان للمعتزلة منهج فى تأكيد فكرهم الاعتزالى ، وجاء

الزمخشري مندفعاً نحو ذلك النهج ، فقد أجهد نفسه فى تأييد ذلك

فوجه الآيات توجيهها ، يرتضيه جمهور العلماء ، ومن هنا كان كشافه

مدار بحث العلماء ، وحقته ، والرد عليه كما فعل ابن المنير •

وفى نهاية هذا الفصل تحدثت عن موقف الزمخشري من الفرق السنية

الأخرى وهو موقف المتحامل ، فلم يهادن واحدة منها ، وهو يركز هجومه على المتمسوة وأهل السنة فبينت جزءاً من نشاط أهل السنة ، ولفت نظر من يريد البحث الى بعض ما ألق في ذلك الموضوع .

وبعد ذلك تكلمت عن تعليم الزمخشري ، وأنه تلقى مبادئه على يد والده ، ثم ارتحل في طلبه حتى وصل الى ذروة العلوم التي درسها ، فبرز في علوم شتى حتى أصبح اماماً في التفسير ، ونحوها بارزاً الرأي واجتهاد ، هذا فضلاً عن أصالته في علم البيان ، واللغة ، والدب نثره وشعره ، حتى وصف بالعديد من النعوت العلمية التي شاركته حياته . وكان للزمخشري الكثير من الشيوخ ، وحظت أن بعضهم قد التبس أمره فحققت ذلك .

وعرجت بالحديث على تميزه ، إذ كانوا رؤس الأفاضل في ذلك الحين ، وذكرت لكل منهم بعض المؤلفات ، ثم ذكرت من استجازوه أو راسلوه .

ولما كان ذا مكانة عالية بين العلماء فقد خصصت مبحثاً بينت فيه مدى تفاعله مع العلماء ، وتعامله مع الأمراء ، وكم تحامل على علماء السوء ، أنهم تزلفوا للأمراء ، وكان له مع بعض العلماء مواقف جد ، كما كان له مواقف مرح ومزطفة .

وفي هذا الفصل تحدثت عن تراثه ، وصنفته الى ما هو مطبوع ، ومخطوط ، ومفقود ، وصنفت كل منها على أساس مادته ، فكانت على الترتيب الآتي : المادة الدينية ، فالنحوية ، فالأدبية من نثر وشعر . وتحدثت عن الكتب التي طبعت من حيث تأليف الكتاب ، وطريقته ومكانته ، وعن أثر الكتاب ومدى اهتمام به بين العلماء ، ثم تحدثت عن مخطوطاته فطبعاته ، وكان لي رأى في بعض كتبه وحقيقتها وجودها وتوثيقها

أما كتبه المخطوطة فقد جهدت فيها أن أجمع الأَشْبَاه والنظائر
التي يبدو من اسمها وجود نوع من التقارب ، وسلكت هذا السبيل
في المفقودات .

ولما كان الزمخشري من علماء النحو البارزين ، فقد جهدت في
أيضاح مذهبه المحوى والدافع الى تحمقه في مسائل النحو ، والمصطلحات
التي استعملها ، وبينت أن ميوله كانت بصرية مع الاستقلال برأيه الخاص
وتحدثت عن بعض موافقاته للمدرستين البصرية والكوفية ، ثم سقت نماذج
لموافقاته لبعض أفاض العلماء السابقين عليه ، وتكلمت عن جاء بعده من
العلماء ، وخصصت منهم أبا حيان النحوى ، وابن هشام الأنصارى ،
وسقت بعض النماذج التي وافق أبو حيان فيها الزمخشري ، وأردفت ذلك
بأمثلة خالفه فيها ، وجعلتها قسمين : مخالفاً له في القراءات ،
ومخالفاته له في النحو .

ولما أحظت بعض العلماء هجمات أبي حيان على الزمخشري ، تتبع
بعضهم آراءهما فأنصفوا الزمخشري ، وكان أبو حيان يسدد المطاعن للزمخشري
ويندد به بين حين وآخر .

ترك هجوم أبي حيان على الزمخشري أثراً في نفوس بعض العلماء ،
مما جعلهم يوازنون بين العالمين ، ويستبشرون خرافاتهما حتى ألفوا الكتب
في ذلك مثل ما كتبه الشيخ يحيى الشاوى في كتابه (بين أبي حيان
وابن عطية والزمخشري) وقصد به بيان الحق في هذه المناقشات . وكتب
ابن أم مكتوم كتابه (الدر اللقيط من البحر المحيط) وقصره على مناقشة
أبي حيان للزمخشري وابن عطية في بعض آرائهما .

ومن أهم من تتبع الخلاف بين العالمين ، ابن هشام ، والسمين ،

وقاما بالدفاع عن جار الله خير قيام ، وقد أُشِرَّ إلى ذلك .

وأنهيات هذا الفصل بالحديث عن ابن هشام والزمخشري ، وقد

كان ابن هشام مجتهدا في رأيه ، وكثيرا ما أنصف الزمخشري ، وانتصر

له ، وخاصر من أبي حيان .

ثم تحدثت عن أصول النحو التي بنى عليها . فقد التزم الأصليون

الهاميين في أصول اللغة وهما : السماع ، والقياس .

وقلت : ان السماع كان يقوم على نبعين عظيمين ، ديني ويتمثل

في القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولغوي ويتمثل في اللغة العربية نثرها

وشعرها ، بحيث تؤخذ عمدا يوثق بفصاحتهم .

وكان الزمخشري متبعا لمن سبقه من النحاة في الاستشهاد بأبيات

القرآنية ، أما الحديث فقد سكت النحاة المتقدمون عن الاستشهاد به ،

وكان الزمخشري من أول المستشهادين بالحديث الشريف ، وسقت طائفة

من استشاده به في اللغة والنحو .

ولما كان لعلماء اللغة والنحو رأى في التحديد الزماني والمكاني

لنقل اللغة وسماعها ، كان الزمخشري متبعا لهم ، لكنه وجد في نفسه

الكفاية في مخالفتهم فيما يراه صوابا .

فهو ينقل اللغة التي يراها ضعيفة اذا لم تكن واردة في فصحاء

العرب ، ومن يوثق بفصاحتهم .

أما القياس فكثيرا ما كان يستعمله الزمخشري في المسائل النحوية ،

وله فيه موقف خاص به ، وهو :

ان القياس أعلى شيء في اللغة هو ما تعاون على ثبوته القياس

الصحيح ، والرواية الفصيحة .

وعنده ، يرد القياس إلى الرواية التي يثبت وثوقها .

• وكان يرى أن الاستحسان المستفيض أقوى من القياس الحسن .

• ويصح عنده القياس على القليل ، وعلى اللغات الضعيفة .

• ومجمل ما يراه أن كل ما كان بمعزل عن استحسان الفصحاء وعن

القياس فهو لحن .

وتحدثت في هذا الفصل عن منهجه في التأليف النحوي ، ويتمثل

ذلك في اطراعه على معظم الكتب النحوية التي سبقتة ، ونقوله عزاً فذاذ

السابقين عليه من العلماء ، وكان أعظمهم شأنًا عنده سيوييه .

• ومن منهجيته أنه تحدث عن خطته في مقدمة كتابه المفصل ،

فقسه أربعة أقسام هي : الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، والمشارك .

• جمع في كل منها أشباه والنظائر ، ولم يكن هذا مألوفاً قبله في

كتب النحو ، وبينت منهجه النحوي في كتبه الأخرى غير المفصل ، مثل :

الكشاف ، والنموذج ، والمفرد والمؤلف ، والأحاجي النحوية ، وأعجب لأعجب ،

ورأيت من الجديد في منهجه أنه عرض منهجه لأول مرة في مقدمة كتابه ،

وأن الجانب النحوي عنده يقوم على الأحكام المتصلة بالكلمة من حيث بنيتها ،

ووضيبتها ، ووظيفتها في التركيب اللغوي .

• ومن منهجه أنه عالج النحو في اتجاهين هما : اللفظ

المفرد ، والتركيب اللغوي ، فجعل في كتبه اللغوية والنحوية ما عالج به

بعض قضايا النحو الكلية ، فجمع المتشابهات في العمل والجنس في باب

واحد . مما دفعه إلى تأليف (مفصله) ثم (نموذجه) وأردفهما بالمفرد

والمؤلف .

ولما أراد أن يخدم أبناء الحريه ، ويقودهم الى أسرارها
ودقائق النحو فيها ألف كتابه الحاجي النحوية ، وهو يعتمد فيه
على اختصار العبارة ووضوحها ، ويحرصها بتعبير مسجوع يساعد المسامح
على حفظ الحجية .

ومنهجه النحوى فى دراسته للنصوص الأدبية يمتاز بالاطالة ،
والسهاب ، استطرد ، كما فى شرحه لمؤاماة الشنفرى .
وتحدثت فى شواهد النحوى عن طريقته فى الاستشهاد ، ورأيت
أنه لا يختلف عن النحاة السابقين عليه ، ولا سيما البصريين منهم ،
فهو يستشهد بالقراءات ويرد طائفة منها ، ويضعف أخرى ، ويرجع
قراءة على قراء ، ويوازن بين القراءات .

وكان يخرج بعض القراءات التى يضعفها النحاة ، ويستقل برأيه
فى تخرجها ، ولعل الزمخشرى لم ينفذ قراءته بالتشذوذ ، مخالفًا بذلك
السابقين عليه والباحقين له .

وهو ينسب الخطأ الى نقله القراءة الى القراء أنفسهم .
يقول فى كشافه : " ان السبب فى قلة الضبط ، هو قلة ضبط
الدراية ، ولا يضبط مثل هذا إلا أهل النحو "

واستشهد بالحديث الشريف فى كل كتبه النحوية واللغوية ، وأعتبره
من أوائل المستشهدين به ، وقد سبق ابن خروف فى ذلك . وقد
سقت أمثلة ، استشهد به فى مختلف كتبه .

واستشهد بالشعر والنثر من : روايات ، وأمثال ، وأقوال مشهوره
وبينت كيفية استشهاده .

وكان واضحا أنه يستشهد بكم الحرب الفصحاء ، شأنه في ذلك

شأن سائر النحاة ، وكان يستأنس بما يسمعه من اصحاب في زمنه ،

للوصول الى معنى معين ، أو اثبات حكم ، وكان يستنبط من كلامهم

معاني جديدة .

ونفيت عنه أنه كان يستشهد بشعر المولدين ، ولكنه كان يستأنس

به في توضيح قاعدة مستقرة .

ثم تحدث عن خصائص أسلوبه ، وما يمتاز به من سجع في معظم

كتبه الأدبية واللغوية ، ومقدمات كتبه بوجه عام . وتحدثت عن أبيجاز

الذي قد يصل الى حد الخموض ، وأطناب الذي قد يصل الى حد

الاستطراد ، وأكدت ذلك بأشياء .

وأنتهيت البحث ببعض المآخذ التي بدت أثناء السير في هذا

السبيل . وكل عالم مهما سمت مكانته يمكن أن يتعرض لما يؤخذ عليه .

وفي الختام أرجو الله مخلصا أن أكون قد وفقت الى بعض مقصدي

وأن أزعجكم بما لم أسبق اليه ، وحسبى ما بذلت من جهد في

هذا ، فان وفقت فذلك ما أصبو اليه ، وان كانت الأخرى - بقدر الله -

فذلك وسعى .

وأخيرا أسأل الله تعالى أن يحيننا على السير قدما في الحمل

على رفده أمتنا ، والكشف عن آثارها العلمية ، والنهوض بليختنا العربية

لغة القرآن الكريم .

والله يوفقنا الى كل خير ، انه أكرم مسئول وأعظم مأمول .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المصادر والمراجع :

(١٩٦٦ لفا)

- ابراهيم رفيدة (الدكتور)
- النحو وكتب التفسير • ط • ليبيا • ١٩٨٠م
- ابن ابيثير ، علي بن محمد •
- الكامل في التاريخ • دار الفكر بيروت • ١٩٥٥م
- ابن ابيباري ، كمال الدين محمد •
- ائمصاف في مسائل الخراف • (تحقيق محيي الدين عبدالحميد)
- ط • محمد علي صبيح وأبو دة • مصر • ١٩٥٢م
- نزهة ابيكباء • (تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم)
- دار نهضة مصر • القاهرة • ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م
- ابن بطوطة •
- رحلة ابن بطوطة • المطبعة ابيكبية • باريس
- ابن تخرى بردى • جمال الدين أبو المحاسن
- النجوم الزاهرة • ط • دار الكتب المصرية •
- القاهرة • ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م
- ابن جنى ، ابو الفتح عثمان •
- الخصائص • (تحقيق محمد علي النجار)
- ط - دار الهدى للطباعة والنشر • بيروت •
- تابهن حزم الظاهري •
- الفصل في النحل واليهواء والنحل • علي الطلل والنحل •
- دط • دت • أعادت طبعه بابيكبية • مكتبة المثنى • بغداد •
- ابن الخشاب ، أبو محمد عبداللله بن أحمد •
- المرتجل • (تحقيق علي مهيدر) • منشورات دار الحكمة •
- دمشق • ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م
- ابن خلكان ، أحمد بن محمد •
- وفيات ابيمان • (تحقيق احسان عباس)
- دار الثقافة • بيروت •

- ابن سبعم الجمحي ، ابو عبدالله •
طبقات فحول الشعراء الجاهليين والاساسيين •
مكتبة الثقافة العربية • بيروت •
- ابن سيدوني ،
المخصص • لجنة احياء التراث العربي • القاهرة •
ودار ابحاث الجديدة • بيروت •
- ابن عقيل ، عبد الله بن عبدالرحمن •
شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك مع حاشية الخصري •
ط • مصطفى البابي الحلبي • ١٢٥٩هـ - ١٩٤٠م
- ابن العماد الحنبلي ، ابو الفرج عبدالحى •
شذرات الذهب في أخبار من ذهب •
المكتب التجارى للطباء والنشر • بيروت •
- ابن فارس أبو الحسين أحمد •
المصاحبي في اللغة • (تحقيق السيد أحمد صقر) •
ط • الحلبي وشركاه • القاهرة • ١٩٧٧م
- ابن قاضي شهبة ، تقى الدين •
طبقات النحاة اللخمييين • (تحقيق محمد صايغ) •
مطبعة النعمان • بغداد • ١٩٧٤م
- ابن كثير ، اسماعيل بن عمر •
البداية والنهاية • الناشر مكتبة النصر •
بيروت • ١٩٦٦م
- ابن مالك ، جمال الدين محمد •
تسهيل الفوائد • الناشر • دار الكتاب العربي •
القاهرة • ١٢٥٢هـ - ١٩٣٣م
- ابن المرتضى ، أحمد بن يحيى •
المنية وأمل ، شرح الطل والنحل • ١٣١٦هـ
- ابن مظهر ، أبو الفضل جمال الدين •
لسان الحرب • دار صادر بيروت •
ودار بيروت للطباعة والنشر • ١٢٨٨هـ - ١٩٦٨م

- ابن المنير ، أحمد بن محمد •
- ايهنتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال •
- طبع مع الكشاف • مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده •
- القاهرة • ١٩٦٦م

- ابن النديم ،
- الفهرست •

- ابن هشام ، جمال الدين •
- معنى اللبيب • ط — عيسى البابي الحلبي وشركاه • مصر •
- ومعها حاشية الأثير •
- أوضح المسالك شرح ألفية ابن مالك • ط • السعادة بمصر •
- ١٢٩٢هـ — ١٩٧٢م

- ابن يعيش ، يعيش بن علي •
- شرح الفصل • الناشر • عالم الكتب • بيروت •
- ومكتبة المثنى • القاهرة •

- أبو حيان ، أبو الريحان الدين محمد بن يوسف •
- البحر المحيط • الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة •
- الرياض •

- أبو الطيب الخفوي •
- مراتب النحويين • (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم)
- الناشر • دار نهضة مصر • القاهرة •
- ١٢٩٤هـ — ١٩٧٤م

- أحمد أمين • (الدكتور)
- ضحى الإسلام • الطبعة الخاصة •
- ظهر الإسلام • مكتبة النهضة المصرية • ١٩٥٨م
- يوم الإسلام • ط • لجنة التأليف والترجمة والنشر •
- القاهرة • ١٩٥٨م

- أحمد الحوفي • (لدكتور)
- الزمخشري • الهيئة المصرية العامة للكتاب •
- الطبعة الثانية •
- بالطبرى • الناشر • المجلس الأعلى للشئون الإسلامية •
- لجنة التعريف بالإسلام • القاهرة •
- ١٢٩٥هـ — ١٩٧٥م

- أحمد محمود صبحي (الدكتور)
- في علم الكون • الناشر • دار الكتب الجامعية •
القاهرة • ١٩٦٩م
- أحمد مختار الحياضي (الدكتور)
- في التاريخ العباسي وأندلس • دار النهضة العربية •
بيروت • ١٩٧١م
- أحمد مكي الأنصاري (الدكتور)
- سيبويه والقراءات • دار اتحاد الحري للكتابة والنشر •
١٢٩٢هـ - ١٩٧٢م
- أبوخطل ، غياث بن غوث التخليبي •
- ديوان أبوخطل • الطبعة الثانية • دار المشرق •
بيروت
- أبو زهرى ، خالد بن عبدالله •
- شرح التصريح على التوضيح • دار الفكر • بيروت •
- أبو شومني ، نور الدين علي بن محمد •
- شرح أبو شومني على ألفية ابن مالك • (تحقيق محيي الدين
عبد الحميد) الناشر • مكتبة النهضة المصرية •
القاهرة • ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م
- أبو صخرى ،
- المسالك والممالك • تحقيق (محمد جابر عبدالمتعال)
وزارة الثقافة والإرشاد • الجمهورية العربية المتحدة •
الناشر • دار القلم • ١٣٨١هـ - ١٩٦١م
- أبو مبر ، صيغته •
- حاشية أبو مبر • على مننى اللبيب •
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه • مصر •

(الباء)

- بركلمن ، كارل •
- تاريخ الأدب العربي (ت • الدكتور عبدالحميد النجار)
دار المعارف • القاهرة • الطبعة الثانية •

- البغدادي ، عبدالقادر بن عمر •
- خزانة الأدب ولب لباب العرب •
- دار صادر بيروت

- البغدادي ، اسماعيل باشا •
- هداية الحارفين • استانبول • ١٩٥١م

- بهيجة الحسنی (الدكتورة) •
- الزمخشري شاعرا • مطبعة الجمهورية •
- بغداد • ١٩٧٥م

(الشاء)

- الشالبي ، أبو منصور •
- لطائف المعارف • (تحقيق ابراهيم البيارى وحسن الصيرفي)
- مطبعة الحلبي وشركاه • القاهرة ١٢٧٩هـ - ١٩٦٠م
- يتيمة الدهر • (تحقيق محبي الدين عبدالحميد)
- مطبعة السعادة • القاهرة • ١٢٧٥هـ - ١٩٥٦م

(الجيم)

- الجاحظ ، عمرو بن بحر •
- الحيوان و (تحقيق عباس م. هارون)
- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده • القاهرة •
- ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م
- جرير بن عطية الخطفي •
- ديوان جرير • دار صادر بيروت ، ودار بيروت للطباعة والنشر •
- ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م

- الجوهرى ، اسماعيل بن حماد •
- تاج اللغة وصحاح العربية • (تحقيق أحمد عبدالغفور عطار)
- دار الكتاب العربي • مصر • ١٣٧٧هـ

(الحاء)

- حاجي خليفة •
- كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون • طهران •
- الطبعة الثالثة • مكتبة المشى بغداد •

- حسن ابراهيم حسن • (الدكتور)
- تاريخ العلوم السياسى • النهضة المصرية • مطبعة السنة المحمدية • ١٩٦٧م

- حسن عون (الدكتور)
- تطور الدرس النحوى • جامعة الدول العربية • قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية • مطبعة الجبيلوى • مصر • ١٩٧٠م

(الخاء)

- خديجة الحديثى • (الدكتورة)
- أبو حيان النحوى • مكتبة النهضة • بغداد • ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م

- الخونسارى ،
- روضات الجنات • (دون تعاريفنا)

(الدالى)

- الداودى شمس الدين محمد •
- طبقات المفسرين (تحقيق على محمد عمر) الناشر - مكتبة وهبة • القاهرة • ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

- درويش الجندى • (الدكتور)
- النظم القرآنى فى تفسير الزمخشرى • دار النهضة • مطبعة الرسالة • ١٩٦٩م

(الذال)

- الذهبى ، عبدالله بن محمد •
- العبر فى خبر مـ غير مـ • (تحقيق فؤاد سيد) دائرة المطبوعات والنشر • الكويت • ١٩٦١م
- ميزان اعتدال • دار المعرفة بيروت • الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م

(الراء)

- الرازى ، محمد بن أبى بكر •
- مختار الصحاح • الناشر • الهيئة المصرية العامة للكتاب •

- رشيد الديّ الوطواط +
- من رسائل البلغاء • كرد علي •
- طبعة ١٣٦٥م هـ

(الزاي)

- الزبيدي، أبوبكر محمد بن الحسين
- الواضح في علم العربية • (تحقيق أمين علي السيد)
- دار المعارف • مصر • ١٩٧٥م
- طبقات النحويين واللغويين • (تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم)
- دار المعارف • مصر • ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني •
- تاج الحروس • (تحقيق عبدالكريم الخرباوي وراجعه عبدالقادر أحمد فراج)
- مطبعة حكومة الكويت • ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م

- الزجاج ، ابراهيم بن السري •
- اعراب القرآن • (تحقيق ابراهيم اببياري)
- لجنة التأليف والترجمة والنشر • القاهرة •
- ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م

- الزركلي ، خير الدين •
- اعراب • دار العلم للمدنيين • بيروت •

- الزمخشري ، محمود بن عمر •
- أساس البرقة • (تحقيق عبدالرحيم محمود)
- دار الكتب المصرية • ١٣٩٧٢هـ ١٩٥٣م
- أعجب العجب في شرح لامية العرب • مطبعة الجوائب •
- القسطنطينية • ١٣٠٠هـ
- أبحاجي النحوي • (تحقيق مصطفى الحدري)
- منشورات مكتبة الغزالي • دمشق • ١٩٦٩م
- أمكنة والجبال والميا • (تحقيق ابراهيم السامرائي)
- مطبعة السعدون • بغداد • ١٩٦٨م

- الدر ال داهر ، المنتخب من كنايات واستعارات وتشبيهات الحرب •
- (تحقيق بهيجة الحسنی) المجمع العلمي العراقي •
- ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

- الفائق في غريب الحديث • (تحقيق محمد علي البجاوي و
- محمد أبي الفضل ابراهيم) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه •

- الكشاف عن حقائق التنزيل • مصطفى البابی الحلبي وأوردته •
القاهرة • ١٢٨٥هـ - ١٩٦٦م
- المستقصى في أمثال العرب • دار الكتب العلمیة •
بيروت • ١٩٧٧م
- المفرد والمؤلف • (تحقيق بهيجة الحسني) •
مطبعة المجمع العلمي العراقي •
بغداد ١٢٨٧هـ - ١٩٦٧م
- المفصل في علم الحرية • مح ابن يعيش •
دار الكتب • بيروت • ومكتبة المثنى • القاهرة •
- خصائص العشرة الكرام البررة • (تحقيق بهيجة الحسني) •
وزارة الثقافة والإرشاد • بغداد •
١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م
- ربيع البرار ونصوص الأخيار • (تحقيق سليم النعيمي) •
أحياء التراث الإسلامي • مطبعة الحائلي •
بغداد • ١٩٧٦م
- لباب اللغة شرح المقامات - طبع مع المقامات •
(تحقيق محمد سعيد الرافعي) مكتبة الثقافة العربية •
١٢١٢هـ
- مسألة في كلمة الشهادة • (تحقيق بهيجة الحسني) •
مطبعة المجمع العلمي العراقي • بغداد •
١٢٨٧هـ - ١٩٦٧م
- مقامات الزمخشري • (تصحیح محمد سعيد الفاروقی) •
الناشر مكتبة الثقافة العربية ١٢١٢هـ

(السين)

- السجاعي ،
— حاشية السجاعي على شرح قطر الندى • الناشر المكتبة الحثيقة •
الشركة المحرية للكتب العربية •
تونس • ١٣٧٧هـ - ١٩٤٨م
- سعيد الأفغاني •
— من تاريخ النحو • دار مكتبة الفكر • طرابلس • ليبيا •
- في أصول النحو • مطبعة الجامعة السورية •
١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م

- السكري ، أبو سعيد •
— شرح أشعار الهذليين • (تحقيق عبدالستار فراج ، ومحمود شاكرا) • دار الحرية • مطبعة المدني •
• سلسلة كنوز الشعر رقم ٣ القاهرة •
 - سيويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر •
— الكتاب • مطبعة بوناق • القاهرة • ١٩١٦م
 - السيوطي ، جلال الدين •
— اربعتان في علوم القرآن • مطبعة مصطفى البابي الحلبي •
القاهرة • ١٢٧٠هـ - ١٩٥١م
 - المزهر في علوم اللغة • (تحقيق محمد جاد المولى وآخرين)
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه • القاهرة •
 - المطالع السعيدة في شرح الفريد • (تحقيق
نبهان حسين) • مطبعة دار الرسائل •
بغداد • ١٩٧٧م
 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة •
مطبعة السعادة • مصر • ١٣٢٦هـ
 - شرح شواهد مغنى اللبيب • دون تحريف •
- (الشين)
- الشلوين ، أبو علي •
— التوطئة • (تحقيق يوسف أحمد المطوع) •
دار التراث العربي • القاهرة • ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م
 - الشهرستاني ، أبو الفتح عبدالكريم •
— الملل والنحل ، مع الفصل في الملل والأهواء والنحل •
مكتبة المشي بغداد •
 - شوقي ضيف ، (الدكتور)
— المدارس النحوية • دار المعارف بمصر • ١٩٦٨م •

(٢٥٧٤)

(الصاد)

- الصبان ، محمد بن علي
- حاشية الصبان على الشُّمُونِي
- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه • القاهرة •

(الطاء)

- الطيرى ، ابن جرير +
- تاريخ الطيرى (تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم)
- ذخائر الحرب رقم ٣٠ • دار المعارف بمصر •

(العين)

- عبدالحفيظ السطلي • (الدكتور)
- ديوان أمية بن أبى السلت • المطبعة التعاونية •
- دمشق • ١٩٧٧م

- عبدالحكيم بلبى • (الدكتور)
- أدب المحتزلة • مكتبة نهضة مصر •
- القاهرة • ١٩٥٩م

- عبدالحميد الشلقانى • (الدكتور)
- أعراب الرواة • الشركة العامة للنشر والتوزيع •
- طرابلس - ليبيا • ١٩٥٧م

- رواية اللغة • دار المعارف • مصر • ١٩٧١م
- رواية اللغة فيما وراء العراق • وزارة المعارف •
- وحدة التأليف والترجمة والنشر • ليبيا •

- عبدالرحمن سميط ، ريلى •
- خاتمة الذهب المسبوك • مختصر من سير الملوك •
- مكتبة المثنى بغداد •

- عبدالواحد وافى (الدكتور)
- علم اللغة • مكتبة نهضة مصر • لجنة البيان العربى •
- القاهرة • ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م

- الحكبرى ، أبو القاسم •
- مسائل خرافية في النحو • (تحقيق محمد خير الحلواني)
• منشورات مكتبة الشهاب • حلب •

- علي أبو المكارم (الدكتور) •
- أصول التفكير النحوي • الجامعة اللبنانية •
• مطبعة دار الثقافة • بيروت •
الناشر دار القلم • ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م

- الحلبي ، الشيخ ياسين •
- حاشية على شرح التصريح على التوضيح •
• دار الفكر • بيروت •

- الحيني ،
- شرح شواهد الإسموني على ألفية ابن مالك •
• مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه • القاهرة •

(الفاء)

- فاضل السامرائي • (الدكتور)
- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري •
• مطبعة الإرشاد • بغداد • ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م

- فتحي عبدالفتاح الدجني • (الدكتور)
- ظاهرة الشذوذ في النحو العربي •
• وكالة المطبوعات • الكويت • ١٩٧٤ م

- أبو اسود الدؤلي ونشأة النحو •
• وكالة المطبوعات • الكويت • ١٩٧٤ م

- الفيروز آبادي ، مخدالدين بن يعقوب •
- القاموس المحيط • المطبعة الحسينية المصرية •
القاهرة • ١٣٣٠ هـ

(القاف)

- القزويني ، زكريا محمد •
- آثار البهيد وأخبار العباد • دار صادر بيروت •
١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

- القفطى • جمال الدين •
- انباء الرواة • (تحقيق أبى الفضل ابراهيم)
- دار الكتب المصرية • ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

(الميم)

- لجنة
- دائرة المعارف العلمية باللغة العربية •
- البيعة الأولى • القاهرة • ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م

(الميم)

- مازن المبارك (الدكتور)
- الرمانى النحوى فى ضوء شرحه لكتاب سيبويه •
- جامعة دمشق • ١٣٨٣هـ - ١٩٦٢م

- محمد حسنين أبو موسى* (الدكتور)
- البعثة القرآنية فى تفسير الزمخشري •
- دار الفكر العربى • القاهرة •

- محمد حسين آل ياسين (الدكتور)
- الدراسات اللغوية عند العرب • دار مكتبة الحياة •
- لبنان • ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

- محمد الخضر حسين
- دراسات فى العربية وتاريخها • المكتب الاسلامى •
- مكتبة دار الفتح • دمشق • ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م

- ح محمد الطنطاوى (الشيخ)
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة • مطبعة وادى الملوك •
- مصر • ١٢٩٧هـ - ١٩٥٤م

- محمد عبدالعزيز النجار (الدكتور)
- ضياء السالك الى أوضح المسالك • مطبعة السعادة •
- القاهرة • ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م

- محمد عيد (الدكتور)
- أصول النحو العربى • عالم الكتب •
- مطبعة دار النشر للثقافة • ١٩٧٣م

- محمد فؤاد عبدالباقي •
- المعجم الفهرس ، لفاظ القرآن الكريم •
دار الكتب المصرية • القاهرة • ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م
- المرادى ، حسن بن قاسم •
- الجنى الدانى فى حروف المعانى • (تحقيق طه محسن) •
جامعة بغداد • ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م
- مرتضى آية الله الشيرازى • (الدكتور)
- الزمخشري لغويا ومفسرا • دار الثقافة للطباعة والنشر •
القاهرة • ١٩٧٧م
- المرتضى ، السيد •
- أمالى المرتضى • مطبعة السعادة • الطبعة الأولى •
مصر • ١٣٢٥هـ
- المرتضى ، أحمد بن يحيى •
- المنية والامل • شرح الملل والنحل •
تصحيح توماس آرتون ١٣١٦هـ
- مصطفى الشكعة (الدكتور)
- اسامى بى مذاهب • دارالنهضة للحريية للطباعة والنشر •
بيروت • ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م
- مصطفى الصاوى الجوينى • (الدكتور)
- منهج الزمخشري فى تفسير القرآن • دار المعارف •
مطبعة الرسالة • مصر • ١٩٥٦م
- المقدسى ، أبو عبدالله محمد بن أحمد •
- أحسن التقاسيم • الناشر • مكتبة خياط •
بيروت •
- المقرئ ، أحمد بن محمد •
- نفع الطيب من غصن الإندلس الرطيب • (تحقيق احسان الجسر) •
دار صادر بيروت • ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

- المقرئ ، اسماعيل بن عمر
- كتاب اللغات في القرآن الكريم (تدقيق صريح المصحف)
- مطبعة الرسالة • القاهرة • ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م

(الفون)

- ناجي معروف •
- عروبة الحلال المنسوبين الى البلدان الأجنبية في الشرق
- الاسلامي • مطبعة الشعب • بغداد • ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

- النسوي ، محمد بن أحمد •
- سيرة حلال الدين منكرتي • (تحقيق حافظ حمدي)
- دار الفكر • مطبعة الاعتماد • مصر • ١٩٥٢م

- النعماني النحلي ، محمد بدر الدين •
- الفضل في شرح أبيات الفضل • دار الجيل • بيروت •

(انباء)

(المهذليون)

- المهذليون •
- ديوان المهذبيين • الدار القومية للطباعة والنشر
- الجلس الأعلى للمثون الاسلامي • القاهرة • ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م

(الراوي)

- وجدي برق غالي •
- المصحفات الحربية • الهيئة العامة للتأليف والنشر
- القاهرة • ١٣٦٦هـ - ١٩٧١م

(آليا)

- اليافعي ، أبو محمد •
- مرآة الجنان وبهجة اليقظان • مطبعة دار المعارف النظامية
- حيدر آباد • ١٣٢٩هـ

- ياقوت الحموي •
- معجم البلدان • دار المنتشرق • بيروت •
- معجم البلدان • دار صادر بيروت • ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

- يوسف اليان سركيس •
- معجم التطويبات العربية • مطبعة سركيس •
- مصر • ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ - ج
التصهيد	١ - ٢٤

الفصل الأول

الزمخشري : نشأته وحياته

اسمه ، تيممه ولقبه	١٦ - ٢٨
مولده	٢٨
أصله وأبنته	٢٨ - ٣١
شخصيته	٣١ - ٣٦
انصرافه من الزواج	٣٦ - ٣٩
جواره أبو أول بيت الله الحرام	٣٩ - ٤١
جواره الثاني	٤١ - ٤٢
مسدة جواره	٤٢ - ٤٥
وفاته	٤٥ - ٤٦

الفصل الثاني

الزمخشري و أبعثزال

نشأة المعتزلة	٤٨ - ٥٠
أصول عقيدة المعتزلة	٥٠ - ٥٢
الزمخشري والفكر المعتزلي	٥٢
قواعد مذاهب المعتزلة وموقف الزمخشري منه	٥٢ - ٦٠

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
التوجيه	٥٢
الحمد	٥٤
المنزلة بين المنزلتين	٥٦
قول وأصل في الفريقين من أهل الجمل وصلين ٥٨ - ٦٠	
منهجهم في تأكيد فكرهم الاعتزالي	
وجهد الزمخشري فيه	٦٠ - ٦٦
الزمخشري والمذاهب الأخرى	٦٦ - ٧٠
<u>الفصل الثاني</u>	
الزمخشري ومنزلة بين العلماء والحكام	
علمه ومنزلة بين العلماء	٧٢ - ٧٢
شيوخه	٧٢ - ٧٨
تلاميذه	٧٨ - ٨١
أجازاته	٨١ - ٨٣
بين العلماء والحكام	٨٣ - ٨٨
تراثه الحلي	٨٨ - ١٢٤
<u>الفصل الرابع</u>	
الزمخشري والنحو	
مذهبه النحوي	١٢٦ - ١٢٨
مما وافق فيه البصريين	١٢٨ - ١٣٢
مما وافق فيه الكوفيين	١٣٢ - ١٣٤
موافقاته لبعض السابقين من النحاة	١٣٤ - ١٤٣
مما وافق أبو حيان فيه الزمخشري	١٤٣ - ١٥٠

الموضوع	المفصلة
ما خالف فيه أبو حيان الزمخشري	١٥٠ - ١٥٦
مؤيدون للزمخشري ضد أبي حيان	١٥٦ - ١٦٠
ما وافق ابن هشام فيه الزمخشري	١٦٠ - ١٦٣
ما تارض ابن هشام فيه الزمخشري	١٦٣ - ١٦٦
من آراء الزمخشري التي انفرد بها	١٦٧ - ١٧١

الفصل الخامس

منهج الزمخشري النحوي

الزمخشري وأصول النحوية	١٧٣ - ١٧٦
منهجه في التأليف النحوي	١٧٦ - ١٧٩
منهجه النحوي في الكشف	١٨٠ - ١٨٣
التجديد في منهجه النحوي	١٨٤ - ١٩٣
شواهد الزمخشري النحوية	١٩٤ - ٢١٢
خصائص أسلوبه	٢١٢ - ٢٢٣
مآخذ علمي الزمخشري	٢٢٣ - ٢٣٣
الخصائص	٢٣٤ - ٢٣٨
ملخص الرسالة	٢٣٨ - ٢٤٨
فهرس المصادر والمراجع	٢٤٨ - ٢٦٢

تمت بتعمد المؤلف